

بَرَكَاتُ الْأَعْيَانِ

مُؤَلَّفٌ عَلَى رُجُومِ
أَعْيَانِ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْفِهْرَاءِ
وَعَلَى مَبَارِحِهَا قَدِيمِ

كَاتِبٌ
الْعَلَمَةُ الْمُتَعَلِّقُ
جَعْفَرُ السَّبَّاحِيُّ

مُؤَلَّفٌ
لِلْمَكْتَبِ الْأَعْيَانِ
بِالْمَدِينَةِ - مِ

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت: ۴۰۱۹۶

تاریخ ثبت:

تذكرة الأعیان

ج ۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



تذكرة الأعيان

يحتوي على تراجم
عدد من أعيان المتكلمين والفقهاء

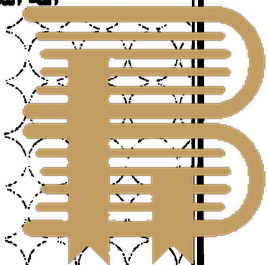
الجزء الثاني

تأليف

العلامة المحقق

آية الله العظمى جعفر السبحاني

شبكة كتب الشريعة



آية الله العظمى السبحاني، ١٣٤٧ق -

تذكرة الأعيان: يحتوي على ترجمة لفيث من أعيان المتكلمين والفقهاء وعلى مباحث هامة/ تأليف جعفر السبحاني.. قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ١٤٢٩ق. = ١٣٨٧.

ISBN: 978-964-357-327-0 (ج.٢)

ج.

أنجرت الفهرسة طبقاً لمعلومات فييا.

١. فقهاء -- تراجم. ٢. متكلمون -- تراجم. الف. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

ب. عنوان

٢٩٧/٣٩٢

BP١٥٣/١ / ٢ من

اسم الكتاب: تذكرة الأعيان/ ج ٢

المؤلف: العلامة المحقق آية الله العظمى جعفر السبحاني

الطبعة: الأولى

المطبعة: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

التاريخ: ١٤٢٩ هـ - ق

الكمية: ١٠٠٠ نسخة

الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

الصف والإخراج باللاينوترون: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

<http://www.imamsadeq.org>

توزيع

مكتبة التوحيد

قم - ساحة الشهداء

الهاتف: ٧٧٤٥٤٥٧ الفاكس: ٢٩٢٢٣٣١

الجوال: ٠٩١٢١٥١٩٢٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فقد ألّفت في سالف الزمان كتاباً حول حياة لفيف من أعيان المتكلمين والفقهاء مشتملاً على مباحث مهمة حول مواضيع مختلفة، وقد انتشر عام ١٤١٩ هـ غير أنّ حوادث الزمان عاقتني طول هذه المدة عن تقديم الجزء الثاني هذا الذي يرفقه الطبع للمهتمين بتراجم العلماء وحياة العظماء ورواد الفكر الذين يضمن بهم الدهر إلّا في فترات خاصّة.

ثم إنّ الذي حفّزني إلى دراسة حياة هؤلاء العباقرة من نواح مختلفة هو أنّ من عوامل التربية الناجحة إراءة نماذج من الشخصيات اللامعة الذين كان لهم دور في بناء الحضارة حتّى يتبع أبناء الجيل الحاضر خطواتهم ويقتفوا آثارهم لكي يستغنوا بذلك عن ما تعرضه أمامهم وسائل الإعلام الأجنبية من شخصيات غريبة كان للسياسة دور في إكبارهم وتبجيلهم.

وهناك أمر آخر ألا وهو أنّ في دراسة حياة الأعيان والشخصيات العلمية

عرفاناً لحقوقهم وشكراً لما قدموه لنا من العلم الناصع والحكمة النافعة، فيكون المورد من مقولة المثل السائر: «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق».

هذا وذاك دعائي لأقوم بترجمة مسهبة لعلماثنا الماضين، وفي ثنايا الكتاب يجد القارئ نكاتٍ علمية وفوائد جليلة، أفادها صاحب الترجمة أو استخلصها من سيرته وسلوكه، أو مما جاد به الفكر.

والقارئ الكريم يجد أنّ هؤلاء العلماء قد عاشوا في ظروف صعبة وعانوا أزماتٍ متعددة ورغم ذلك فقد تسنّموا ذروة العلم وقمة الفضل، وفي ذلك دروس وعبر لأبناء الجيل الحاضر الذين غلبت عليهم الدعة وطلب الراحة، ليعلموا أنّ تسنّم مراقبي الكمال وتسلق قمم النبوغ رهن بذل الجهد والاجتهاد ونعم ما قال القائل:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

أرجو من الله سبحانه أن يجعل هذا الجزء كسابقه مفيداً للجيل الحاضر ونوراً وضاءً للدرب حتى يقتدي بحياة من ترجمناه فيه، أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

جعفر السبحاني

قم - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

أبوهاشم إسماعيل بن محمد

(١٠٥-١٧٣هـ)

بن يزيد بن وداع الحميري

يتميّز الإنسان عن سائر الموجودات بالتفكير وهو موهبة عظيمة، كرمه الله بها، وراح يعكس تفكيره من خلال الكلام إما مشوراً أو منظوماً، فالكلام المشور هو ما يتكلّم به ارتجالاً، والشأن عبارة عن الكلام الموزون المقفى الذي لا يحصل إلا بالتروي والأناة.

ثم إن للإنسان نزوعاً إلى هذا النوع من الكلام قد يبلغ به تهيج العواطف والتذاذ الأسماع بمكان أنه ربما يفقد وعيه. والشعر في الوقت نفسه سلاح شديد الوقع، فإن استعمله الشاعر في الحماسة هاجت النفس لاقتحام الردى والهلكة، وإن استغله في الاستعطاف والاستعطاء حرك العواطف وهيجها، وإن استعان به في التشبيب أغرى الأفتدة بالهوى والمجون، إلى غير ذلك من غايات خاصّة للشعر على وجه الإطلاق، كما أنه سلاح ذو حدين، فالشعر الهادف هو ما يبني المجتمع ويوقظ الشعب ويسوقه نحو العلم والصلاح والفلاح، وغير الهادف منه هو ما يكرّس النزعات الأنانية في المجتمع ويسير به نحو هاوية الانحطاط، ويبعثه نحو الانحلال الخلقي، والله در الشيخ محمد رضا الشيباني شاعر العراق الفحل إذ يقول:

كفى الشعر ذمّاً إنّ للشعر قاتلاً

وما هو إلا قاتل غير فاعل^(١)

ولا خير في شعر إذا لم يقم به

خوّل نبيه أو بناهمةً خامل

إذا قلت أنّ الشعر بحر غبته

متى يستقيم البحر من غير ساحل

قرائننا منها بحور خضارم

ومنها إذا جريت رشحُ الجداول

وأجمعُ أقوال الرجال أسدها

معان كبار في حروف قلائل^(٢)

فالحقّ كما قال الشيبني أنّ قيمة الشعر بمعناه وبتأثيره الخطير في إيقاظ

المجتمع، فربّ قصيدة كثيرة الأبيات لا تجد فيها كلمة حكيمة تُسعد الإنسان في

حياته أو تصدّه عن مزالقه.

ورب بيت واحد يفضّل على قصيدة، لأنّه ينشد إلى حكمة بالغة يأخذ بيد

الإنسان في مزالق الحياة، وقد أشار إلى ذلك الشاعر المذكور.

١. إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾

(الشعراء: ٢٢٥-٢٢٦).

٢. الأدب الجديد لمحمد جمال الهاشمي: ١-٢، طبعة النجف الأشرف.

وقد يبلغ البيت البليغ قصيدة

مطوّلة لكن على غير طائل

وقد يبلغ اللفظ القصير رسالة

إذا عدّت الألفاظ روح الرسائل

ويا للأسف أنّ الشعراء لم يجروا على حلبة واحدة، فهم بين مصلح بناء،

ومفسد هدام مثير للميوعات:

يقول امرؤ القيس في معلقته:

أفأطم مهلاً بعض هذا التّدلُّ

وإن كنت قد ازمنت صرّمي فاجلي

أغرّك مني أنّ حُبّك قاتلي

وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل

وإن تك قد ساءتْك مني خليفة

فسليّ ثيابي من ثيابك تنسلي

وما زرتْ عيناك إلا لتضربي

بسهميك في أحشار قلبٍ مُقتل

وبيضة خذر لا يُرامُ جباؤها

تمتعت من هو بها غير مُعجل^(١)

١. شرح المعلقات السبع للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني: ١٣-١٥، ط عام ١٣٨١ هـ.

وهناك من يبعث روح الشجاعة والتضحية والفداء في المجتمع ويحثه في
المضي قُدماً في سلام العز والكمال، وهذا ما نلمسه بوضوح في الأبيات التالية
لعميد الدين المعروف بالطغراني (المتوفى عام ٥١٠هـ) في لاميته المعروفة بلامية
العجم:

حبّ السلامة يُثني همّ صاحبه

عن المعالي ويُغري المرء بالكسلِ

فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً

في الأرض أو سُلماً في الجوّ واعتزلِ

لو كان في شرف المأوى بلوغُ منى

لم تبرح الشمس يوماً دارة الحملِ

وشأن صدقك عند الناس كذبهم

وهل يطابق معوجّ بمعتدلِ

ملك القناعة لا يُخشى عليه ولا

يحتاج فيه إلى الأنصار والخولِ

ترجو البقاء بدارٍ لا ثبات لها

فهل سمعت بظل غير متقلِّبِ

و ما نرى في الذكر الحكيم من ذم للشعراء، يقول سبحانه: ﴿وَالشُّعْرَاءُ

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾^(١)

فهو راجع إلى الشعراء الذين لا هم لهم سوى الحصول على المزيد من حطام الدنيا من خلال مدح ذوي الجاه والمقام أملاً في نيل عطائهم، أو إشارة شهواته الجائعة التي تعصف بالمجتمع في ورطة الانحلال الأخلاقي.

ثم إنه سبحانه لا ينظر إلى الجميع على حد سواء بل يستثني منهم طائفة، بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١).

وبذلك يتبين موقف الأحاديث الواردة في هذا المضمار، فهي بين منددة بالشعر وبين مادحة له، كما في قوله:

إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٍ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا.^(٢)

وقد كان الشعر هو الوسيلة الوحيدة للإعلام وإثارة العواطف والأحاسيس وبت الأفكار من خلاله، وكان للشعر والشعراء في عصر النبي ﷺ وبعده مقام شامخ، وكان أئمة أهل البيت  يقدرون عليهم بالعطايا والصلوات.

قال البراء بن عازب: إن رسول الله ﷺ قيل له: إن أبا سفيان بن حارث بن عبد المطلب يهجوك، فقام عبد الله بن رواحة فقال: يا رسول الله: ائذن لي فيه، فقال: «أنت الذي تقول ثبت الله»، قال: نعم، قلت يا رسول الله.

فثبت الله ما أعطاك من حسن تثبيت موسى ونصراً مثل ما نصرنا

قال ﷺ: «وأنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك». ^(٣)

١. الشعراء: ٢٢٧.

٢. مستند أحمد: ١/٢٦٩، ٢٧٣؛ سنن الدارمي: ٢/٢٩٦.

٣. مستدرک الحاكم: ٣/٤٨٨.

وقد أنشد كعب بن زهير قصيدته التي قالها في مدح النبي في مسجده الشريف، والتي مطلعها:

بانث سُعادُ فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يفد مكبولٌ

قال الحاكم: لما أنشد كعب قصيدته هذه لرسول الله، وبلغ قوله:

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يُستضاءُ به وصارمٌ من سيوفِ الله مسلول

أشار عليه السلام بكمه إلى الخلق لسمعوا منه. ^(١)

ويروى أن كعباً أنشد «من سيوف الهند» فقال النبي ﷺ: من سيوف الله.

قال المقرئ في حوادث السنة الثامنة من الهجرة: ففي هذه السنة كان إسلام كعب بن زهير بن أبي سلمى، فأسلم وقدم على رسول الله المدينة وأنشده القصيدة فكساها بردة كانت عليه، وقال ابن قتيبة: أعطى رسول الله كعب بن زهير راحلة وبرداً، فباع البرد من معاوية بعشرين ألفاً، فهو عند الخلفاء إلى اليوم. ^(٢)

وقد تأسى أئمة العترة الطاهرة بالنبي ﷺ في تكريم الشعراء المجاهرين بولائهم، المخلصين من الذين كانوا ينظمون القريض لغايات دينية، معرضين عن التردد على بلاط الخلفاء الأمويين والعباسيين، وقد كان لشعرهم يومذاك تأثير بالغ في قلوب الناس، وإيقاظ ضمائرهم، ولهذا الهدف الأسمى كان أئمة أهل البيت يبجلون بشعرهم ويدعون لهم ويغدقون عليهم بالصلات، ولهذا الغاية راجت بين شيعة أئمة أهل البيت ميمية الفرزدق، وهاشميات الكميت، وعينية الحميري، وتائية دعبل الخزاعي، وميمية الأمير أبي فراس، وكانوا يحفظونها

١. مستدرک الحاكم: ٣/ ٥٨٠.

٢. الإمتاع للمقرئ: ١/ ٣٥٦، ط عام ١٤٠١هـ.

وينشدونها في مجالسهم ومحافلهم، فصارت هذه القصائد كالسيف الصارم بيد الموالين.

ومن هذه الطليعة الشاعر المفلت المكثر لثناء أهل البيت السيد الحميري الذي نحن بصدد التقديم له وللشرح الذي قام به نابغة عصره الشيخ بهاء الدين الاصبهاني المعروف بـ «الفاضل الهندي»، فيلزم علينا الإمام بترجمة الشاعر أولاً، ثم الشارح ثانياً حسب ما تقتضيه الحال.

السيد الحميري

هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميري الملقب بالسيد، وكنيته أبو هاشم، وأمه من بني حدّان تزوّج بها أبوه، لأنه كان نازلاً فيهم، ولد عام ١٠٥ هـ^(١)، بعمّان ونشأ في البصرة في حضانة والديه الإباضيين إلى أن عقل وشعر فهاجرهما واتصل بالأمير عقبة بن مسلم وتزوّج لديه حتى مات والداه، فورثهما — كما سيوافيك خبره — ثم غادر البصرة إلى الكوفة وأخذ فيها الحديث عن الأعمش وعاش متردداً بينهما^(٢)، ومات عام ١٧٣ هـ.

ترجمه غير واحد من رجال الفريقين نذكر نصوصهم:

١. فقد ذكره الشيخ الطوسي في رجاله في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، قال: إسماعيل بن محمد الحميري، السيد الشاعر يكتئب أبا عامر.^(٣)
٢. وذكر في الفهرست، وقال: السيد بن محمد، أخباره تأليف الصولي،

١. أخبار السيد للمزنياني: ١٥١-١٥٢.

٢. لسان الميزان: ١/٣٨٣.

٣. رجال الطوسي برقم ١٠٨.

أخبرنا بها ابن عبدون عن أبي بكر الدوري عن الصولي. (١)
 ٣. ولم يترجمه النجاشي مستقلاً، وإنما ذكر من جمع أخباره وسيوافيك أسماء
 من جمع أخبار السيد.

٤. وقال ابن شهر آشوب في المعالم في فصل الشعراء المجاهدين:
 السيد أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد (٢) [بن محمد] (٣) بن وداع بن
 مفرغ الحميري.

من أصحاب الصادق عليه السلام ولقي الكاظم عليه السلام وكان في بدء الأمر خارجياً
 ثم كيسانياً ثم إمامياً. (٤)
 ٥. وقال العلامة في «الخلاصة» في القسم الأول من الباب الثاني من فصل
 الهمة.

إسماعيل بن محمد الحميري: ثقة، جليل القدر، عظيم الشأن
 والمنزلة عليه السلام. (٥)

إلى غير ذلك من كلمات الإطراء في حقه في معاجم أصحابنا، وأما ما ذكره
 غيرهم، فإليك نصوص بعضها:

٦. قال ابن عبد ربه: السيد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة
 من تعظيمها له تلقي له الوسادة في مسجد الكوفة. (٦)

٧. وقال أبو الفرج الاصفهاني (المتوفى عام ٣٥٦هـ): كان السيد شاعراً

١. الفهرست: ١٤٤ برقم ٣٥٠.

٢. وفي المصدر مزيد ولعله مصحف يزيد كما في أخبار السيد للمرزباني.

٣. هذه الزيادة ليست في أخبار السيد المرزباني.

٤. معالم العلماء: ١٤٦. ٥. الخلاصة: ٥٧، باب الهمة، برقم ٢٢.

٦. العقد الفريد: ٢/ ٢٨٩.

متقدماً مطبوعاً، يقال: إنَّ أكثر الناس شعراً في الجاهلية و الإسلام ثلاثة: بشار، أبو العتاهية، والسيد، فإنه لا يعلم أنّ أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. (١)

كان السيد أسمر، تامّ القامة، أشنب (٢)، ذا وفرة، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدث في محل قوم أعطى كلّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه. (٣)

٨. ونقل عن التوزي، أنه قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيد، فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم عليّ أن أخبره فأخبرته، فقال: أنشدني قصيدة منه، فأنشدته قصيدة ثم أخرى، وهو يستزيدني، ثم قال: قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول! لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحداً من طبقتة. (٤)

أقول: «كلّ إناء بالذي فيه ينضح» (٥)، إنَّ الأصمعي ناصبي عنيد يبغض علي بن أبي طالب عليه السلام والعترة الطاهرة عليهم السلام فلا غرو في أن يدعو على السيد بما عرفت، ولكن مع ذلك لم يستطع أن يُسدل الستار على عظمة السيد في مجال الشعر، وإنه سلك طريق الفحول في عالم القريض، ويتلوه في المذهب والإطراء أبو عبيدة، ومع ذلك يقول في حقّ السيد أشعر المُحدّثين السيد الحميري وبشار. (٦)

٩. وروى عمر بن شبة، قال: أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى يوماً وعنده رجل من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً، فلما رأيَ أطبقه، فقال له أبو عبيدة: إنَّ أبا

١. الأغانى: ٧/ ٢٢٩. ٢. الشنب: اليأس والبريق والتحديد في الأسنان.
٣. الأغانى: ٧/ ٢٣١. ٤. الأغانى: ٧/ ٢٣٢.
٥. مثل يُضرب. ٦. الأغانى: ٧/ ٢٣٢.

زيد ليس ممن يحتشم منه، فأقرأ، فأخذ الكتاب وجعل يقرأه، فإذا هو شعر السيد، فجعل أبو عبيدة يُعجب منه ويستحسنه، قال أبو زيد: وكان أبو عبيدة يرويه، قال: وسمعت محمد بن أبي بكر المقدمي، سمعت جعفر بن سليمان الضُّبعي ينشد شعر السيد. ^(١)

١٠. وحكى عن الموصلي عن عمّه، قال: جمعت للسيد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة فخلتُ أن قد استوعبت شعره حتى جلس إلي يوماً رجل ذو أطمار رثة، فسمعني أنشد شيئاً من شعره فأنشدني له ثلاث قصائد لم تكن عندي، فقلت في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كله، ثم أنشدني بعده ما ليس عندي، لكان عجيباً، فكيف وهو لا يعلم وإنها أنشد ما حضره، وعرفت حيثئذ أن شعره مما لا يدرك ولا يمكن جمعه كله. ^(٢)

١١. قال غانم الوراق: خرجت إلى بادية البصرة فصرت إلى عمر بن تميم، فأثبتني بعضهم، فقال: هذا الشيخ والله راوية، فجلسوا إلي وأنسوا بي وأنشدتهم وبدأت بشعر ذي الرمة، فعرفوه، وبشعر جرير فعرفوهما ثم أنشدتهم للسيد.

قال: فجعلوا يمرقون لإنشادي ويطربون، وقالوا: لمن هذا، فأعلمتهم، فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله. ^(٣)

١٢. قال الزبير بن بكار: سمعت عمي يقول: لو أن قصيدة السيد التي يقول فيها:

أن يوم التطهير يوم عظيم خصّ بالفضل فيه أهل الكفا

١. الأغاني: ٧/ ٢٣٦.

٢. الأغاني: ٧/ ٢٣٧.

٣. الأغاني: ٧/ ٢٣٩.

قرئت على منبر ما كان فيها بأس، ولو أنّ شعره كله كان مثله لرويناه وما عييناه. ^(١)

١٣. حدث الحسين بن ثابت، قال: قدم علينا بدويّ، وكان أروى الناس لجرير، فكان ينشدني الشيء من شعره، فأُشِّد في معناه للسيد حتى أكثرت، فقال لي: ويحك! من هذا؟ هو والله، أشعر من صاحبنا. ^(٢)

وهذه الكلمات التي نقلها ابو الفرج الاصفهاني تعرب عن تضرّع السيد في الأدب العربي وبلوغه الذروة في القريض بحيث لا يجاريه فيه أحد، وقد نال إعجاب عباقرة الشعر وجهابذة الأدب، ولولا كفاحه ونضاله وتهالكه في حب أهل البيت، ومناهضته للجهاز الأموي والعباسي، لحظي بمكانة مرموقة في بلاط الخلفاء، وعلى الرغم من ذلك، فقد شهدت بفضلته الأعداء، والفضل ما شهدت به الأعداء، وقد أتاح سبحانه لسان أعدائه على تمجيده وتعظيمه.

أسرة السيد

والعجب أنّ أسرة السيد الحميري كانت من بني حمير الذين قطنوا عمان وكانوا أباضية المذهب يكتنون العدا لعل بن أبي طالب عليه السلام. وعلى الرغم من كلّ ذلك فقد ظهر من هذا المنبت السوء، موال لأهل البيت عليهم السلام، مخلص في حبههم، ذاب عن حريم ولايتهم بشعره وبيانه وجسمه وروحه، على نحو لم يُر له مثيل فيمن غبر.

روى سليمان بن أبي شيخ عن أبيه: أنّ أبوي السيد كانا إباضيين، وكان

منزلها بالبصرة في غرفة بني ضبة، وكان السيد يقول: طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة، فإذا سئل عن التشيع من أين وقع له؟ قال: غاصت عليّ الرحمة غوصاً.

وروي عن السيد أنّ أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله، فأتى عقبة بن سلم الهنائي، فأخبره بذلك فأجاره وبوّأه منزلاً وهبه له، فكان فيه حتى ماتا فورثهما. ^(١)

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيد: كنت عنده يوماً في جناح له، فأجال بصره فيه، ثم قال: يا إسماعيل طال والله ما شتمت أمير المؤمنين عليّ في هذا الجناح، قلت: ومن كان يفعل؟ قال: أبواي. ^(٢)

وقال المرزباني بسنده عن العباسة بنت السيد، قالت: قال لي أبي: كنت وأنا صبيّ أسمع أبويّ يثلبان أمير المؤمنين ﷺ فأخرج عنهما وأبقى جائعاً، وأوثر ذلك على الرجوع إليهما فأبيت في المساجد جائعاً لحيتي فراقهما وبغضي إياهما حتى إذا أجهدتني الجوع رجعت فأكلت ثم خرجت، فلما كبرت قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر، قلت لأبويّ: إنّ لي عليكما حقاً يصغر عند حقكما عليّ فجنّباني إذا حضرتمكما ذكر أمير المؤمنين ﷺ، بسوء، فإن ذلك يسزعجني وأكره عقوقكما بمقالتكما، فتماديا في غيبيهما، فانتقلت عنهما، وكتبت إليهما شعراً، وهو:

خف يا محمد فالتق الاصباح

وأزل فساد الدين بالإصلاح

١. الأغاني: ٧/ ٢٣٠.

٢. الأغاني: ٧/ ٢٣٥.

أتسب صنسو محمد ووصيه

ترجو بذلك الفوز بالإنجاح

هيهات قد بعدت عليك وقرّبا

منك العذاب وقابض الأرواح

أوصى النبي له بخير وصية

يوم الغدير بأبين الأفصاح

فتواعداني بالقتل، فأتيت الأمير عقبة بن مسلم فأخبرته خبري، فقال لي: لا تقرّ بها، وأعدّ لي منزلاً أمر لي فيه بما أحتاج إليه وأجرى عليّ جراءة تفضل عن مؤنتي^(١).

تفانيه في حبّ أهل البيت ﷺ ونشر مناقبهم

إنّ الأثر البارز في حياة السيد هو تفانيه في حبّ أئمة أهل البيت ﷺ ونشر مناقبهم بقريظته وشعره وبيانه ولسانه، ونقده اللاذع لأعداء العترة الطاهرة ومناوئهم، على نحو لا يرضى أن يتبوأ مجلساً ليس فيه ذكر لأحمد ولا لوصيه ﷺ .

روى أبو الفرج الاصبهاني، عن الحسن بن علي بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي: كنا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء فتذاكرنا السيد، فجاء فجلس

وحضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض، فقلنا: يا أبا هاشم، مِمَّ القيام؟ فقال:

أني لأكـره ان أطيل بمجلس

لأذكر فيه لفضل آل محمد

لا ذكر فيه لأحمد ووصيه

وبينه ذلك مجلس نظف^(١) ردئ

أن الذي ينسأهم في مجلس

حتى يفارقه لغير مسدد^(٢)

وهناك وثائق تاريخية تعرب عن إخلاص السيد وولائه المنقطع النظر

للمعزة الطاهرة، نقتطف منها هذه الشذرات، فإن الاستيعاب يطيل بنا الكلام.

١. ذكر التميمي - وهو علي بن إسماعيل - عن أبيه، قال: كنت عند أبي

عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إذ استأذنه آذنه للسيد، فأمر بإبصاله، وأعد

حرمه خلف ستره، ودخل فسلم وجلس، فاستنشده، فأنشده قوله:

أمرُّ على جدت الحسين

من فقل لأعظمه الزكيه

أعظمه ألا زلت من

وظف^(٣) ساكية زويه

٢. الأغاني: ٧ / ٢٦٧.

١. التظف: السوء الفاسد.

٣. وظفأه: بيئة الروطف، والروطف في السحاب: أن يكون في وجهه كالمحل الثقيل، أو هو استرخاء في

جوانبه لكثرة مائه.

وإذا مـررت بقـبره
 فأطل به وقف المطية
 وأبك المطهر للمطـ
 هـر والمطهرة النقية
 كجاء مـعولة أنت
 يوماً لواحدھا المنية

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تنحدر على خديه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك. ^(١)

٢. روى الشيخ ابن قولويه (المتوفى عام ٣٦٧هـ) بسنده عن أبي هارون المكفوف: قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال: لا، كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره، قال فأنشدته.

امرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
 قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: مر، فمررت، قال: ثم قال: زدني زدني، قال: فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببياك
 قال: فبكى وتهايج النساء. ^(٢)

٣. روى أبو سليمان الناجي، ومحمد بن حليم الأعرج، قالاً:

١. الأغانى: ٧/ ٢٤٠-٢٤١.

٢. كامل الزيارات: ٢١٠، الباب ٣٣ نواب من قال في الحسين عليه السلام شعراً، الحديث ٥.

كان السيد إذا استنشد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلا بقوله:

أجدّ بآل فاطمة البكورُ فدمعُ العين منهمر غزير

وهناك منام صادق ينمُّ عن أنّ البيت المزبور حظى بإعجاب الرسول ﷺ.

حدث إبراهيم بن هاشم العبدي البصري، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وبين يديه السيد الشاعر وهو ينشد:

أجدّ بآل فاطمة البكور فدمع العين منهمر غزير

حتى أنشده إياها على آخرها وهو يسمع:

قال: فحدثت هذا الحديث رجلاً جمعني وإياه طوس عند قبر علي بن موسى الرضا، فقال لي: والله لقد كنت على خلاف فرأيت النبي ﷺ في المنام وبين يديه رجل ينشد:

أجدّ بآل فاطمة البكور

إلى آخرها، فاستيقظت من نومي وقد رسخ في قلبي من حبّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنت أعتقد. ^(١)

قال إسحاق: وسمعت العتبي، يقول: ليس في عصرنا هذا أحسن مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيد، ثم قال لبعض من حضر: أنشدنا قصيدته اللامية التي أنشدتناها اليوم، فأنشده قوله:

هل عند من أحبيت تنويل أم لا فإنّ اللوم تضليل

يقول فيها:

أقسم بالله وآلائه
إن علي بن أبي طالب
والمرء عما قال مسؤول
على التقى والبر مجبول

فقال العتيبي:

أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب. (١)

٤. سمع السيد محدثاً يحدث أن النبي ﷺ كان ساجداً فركب الحسن والحسين على ظهره، فقال عمر: نعم المطي مطيكما، فقال النبي ﷺ: ونعم الراكبان هما.

فانصرف السيد من فوره، وقال في ذلك:

أتى حسناً والحسين النبي
فقداهما ثم حياهما
فسراحا وتحتها عاتقاه
وليدان أمهما ببرة
وشبيخهما ابن أبي طالب
خليتي لا تُرجيا وأعلمها
وأن عمى الشك بعد اليقين
ضلال فلا تلججا فيهما
وقد جلسا حجرة يلعبان
وكانا لديه بذاك المكان
فنعم المطية والراكبان
حصان مطهرة للحصان
فنعم الوليدان والوالدان
بأن الهدى غير ما تزعمان
وضعف البصيرة بعد العيان
فبشت لعمركما الخصلتان

أُرجى عليّ إمام الهدى وعثمانُ ما أعند المرجيان
 ويُرجى ابنُ حربٍ وأشيعه وهُوجُ الخوارج بالنهروان
 يكون إمامهم في المعاد حيثُ الهوى مؤمن الشيصبان^(١)

إلى غير ذلك من قصائد جمة ذكر فيها فضائل الإمام علي وأهل بيته عليهم السلام.

ويكفيك في ذلك ما ذكره المعتر في طبقاته:

كان السيد أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر لم
 يترك لعلّي بن أبي طالب فضيلة معروفة إلا نقلها إلى الشعر، وكان يملّه الحضور في
 محتشد لا يذكر فيه آل محمد صلوات الله عليهم، ولم يأنس بحفلة تخلو عن
 ذكرهم.^(٢)

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أكثر شعراء العصر الأموي والعباسي قد انكبوا
 على عتبة بلاط الجهاز الحاكم رغبة منهم في الصلة والعطايا، ولكن السيد تترّه
 عن هذه الوصمة و أناخ راحلته على عتبة أئمة أهل البيت عليهم السلام فلم يمدح
 شخصاً إلا للضرورة، ولذلك تجدد أنه يعيب بشاراً في شعره لما مدح من ليس أهلاً
 له، فأقبل عليه، وقال:

أيها المادح العباد ليُعطى إنَّ الله ما بأيدي العباد
 فاسأل الله ما طلبت إليهم وارحُ نفع المنزّل العواد
 لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسمي البخيل باسم الجواد

١. الأغاني: ٢٥٨/٧ - ٢٥٩.

٢. طبقات الشعراء: ٧.

قال بشار: من هذا؟ فعرفه، فقال لولا أنّ هذا الرجل قد شُغل عتاً بمدح

بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا. ^(١)

كما نقل أنّ السيد دخل على المهدي لما بايع لابنيه موسى و هارون، فانشأ

يقول:

ما بال مجرى دمعك الساجم	أمن قذى بات بها لازم
أم من هوى أنت له ساهر	صباية من قلبك الهائم
آليت لا أسدح ذانائل	من معشر غير بني هاشم
أولتهم عندي يد المصطفى	ذي الفضل والمنّ أبي القاسم
فاتها بيضاء محمودة	جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبي جعفر	خليفة الرحمن والقائم
وطاعة المهدي ثم ابنه	موسى على ذي الإريسة الحازم
وللسيد السرايع المرتضى	مفترض من حقّه اللازم
ملكهم خمسون معدودة	برغم أنف الحاسد الراضم
ليس علينا ما بقوا غيرهم	في هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها إلى هابط	عليه عيسى منهم ناجم ^(٢)

وقد بلغ السيد في إخلاصه لأهل البيت أنّه كان يجاهر بعقيدته ومودته لهم

في مجلس الخلفاء وإن وُشي عليه ما وشي ولم يكن يتقي في ذلك أبداً.

١. الأغاني: ٧/ ٢٣٧.

٢. الأغاني: ٧/ ٢٥٦٢٥٥.

روى عبد الله بن أبي بكر العتكي أنّ أبا الخلال العتكي دخل على عقبة بن مسلم والسيد عنده، وقد أمر له بجائزة، وكان أبو الخلال شيخ العشيبة وكبيرها، فقال له: أيها الأمير، أعطني هذه العطايا رجلاً ما يفتّر عن سبّ أبي بكر وعمرا، فقال له عقبة: ما علمت ذلك ولا أعطيته إلا على العشرة والمودة القديمة وما يوجب حقه وجواره مع ما هو عليه من موالة قوم يلزمنا حقهم ورعايتهم.

فقال له أبو الخلال: فمره إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر و عمر حتى نعرف براءته مما ينسب إليه من الرفض، فقال: قد سمعك، فإن شاء فعل، فقال السيد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمد	ولا عهده يوم الغدير المؤكدا
فإني كمن يشري الضلالة بالهدى	تنصّر من بعد التقى وتهودا
ومالي وريم أو عديّ و أتما	أولو نعمتي في الله من آل أحمد
تتم صلاتي بالصلاة عليهم	وليست صلاتي بعد أن أتشهدا
بكاملسة إن لم أصلّ عليهم	وأدعّ لهم ربّساً كريماً ممجّدا
بذلت لهم وديّ ونصحي ونصري	مدى الدهر ما سميت يا صاح سيداً
وإنّ أمراً يلحني على صدق ودهم	أحقّ وأولى فيهم أن يُفَنّدا
فإن شئت فاختر عاجل الغم ضلّة	وإلا فامسك كي تصان وتحمدا

ثم نهض مغضباً، فقام أبو الخلال إلى عقبة، فقال: أعذني من شرّه، أعاذك الله من السوء أيها الأمير.

قال: قد فعلت على ألا تعرّض له بعدها. (١)

ارتجاله في إنشاء الشعر

روى أبو الفرج الاصبهاني: كان السيد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائل علي «رضي الله عنه» ويخرج من عنده، ويقول في تلك المعاني شعراً، فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه، فوقف بالكُناسة، ثم قال: يا معشر الكوفيين، من جاءني منكم بفضيلة لعلي بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يحدّثونه وينشدهم، حتى أتاه رجل منهم، وقال: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «رضي الله تعالى عنه» عزم على الركوب، فلبس ثيابه وأراد لبس الخُفّ فلبس أحد خُفّيه، ثم أهوى إلى الآخر ليأخذه فانتقض عقاب من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسود وانساب فدخل حُجراً، فلبس عليّ رضي الله عنه الخُفّ قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً، ففكر هنيهة، ثم قال:

الأيا قوم للمعجب العجّاب	لُخِفَ أبي الحسين وللمُجّابِ
أتى خُفّأله وانساب فيه	لينهش رجله منه بنابِ
فخر من السماء له عُقاب	من العُقبان أو شبه العقابِ
فطار به فحلّق ثم أهوى	به للأرض من دون السحابِ
إلى جُحر له فانساب فيه	بعيد القعر لم يُرتج بياِبِ
كريمه الوجه أسود ذو بصيص	حديدُ الناب أزرق ذو لُعبِ
ودفع عن أبي حسن عليّ	نقيعُ سهامه بعد انسيابِ ^(١)

وزاد المرزباني بعد نقل القصة: ثم حرك فرسه وثناها وأعطى ما كان معه من المال والفرس للذي روى له الخبر، وقال: إني لم أكن قلت في هذا شيئاً.^(١)

صلته الوثيقة بالإمام الصادق عليه السلام

إن أئمة أهل البيت كانوا يُثْمَنون جهود الشعراء المخلصين المجاهرين بالولاء الذين نذروا أنفسهم في هذا السبيل، ولبسوا في ذلك جلباب البلايا، منهم شاعرنا المفلح السيد إسماعيل فكان الإمام الصادق يتفقده حيناً بعد حين.

روي أن أبا عبد الله عليه السلام لقي السيد بن محمد الحميري، وقال: سمتك أمك سيّداً، وقفت في ذلك، وأنت سيّد الشعراء، ثم أنشد السيّد في ذلك.

ولقد عجبت لقائل لي مرة	علامة فهم من الفقهاء
سماك قومك سيّداً صدقوا به	أنت الموفق سيّد الشعراء
ما أنت حين تخصّ آل محمّد	بالمدح منك وشاعر بسواء
مدح الملوك ذوي الغنى لعطائهم	والمدح منك لهم بغير عطاء
فابشر فانك فايّز في حبهـم	لو قد وردت عليهم بجزاء
ما يعدل الدنيا جميعاً كلّها	من حوض أهد شربة من ماء ^(٢)

مذهبه

كان السيد أباضي المنبت، ثم صار شيعياً كيسانياً، يقول بإمامة محمد بن

١. أخبار شعراء الشيعة: ١٧١، ط عام ١٤١٣ هـ.

٢. رجال الكشي: ٢٤٥، ط النجف الأشرف.

الحنفية، لكنّه عدل عنه إلى الإمامية على يد الإمام الصادق عليه السلام، وعليه أكثر المؤرخين.

يقول السيد الحميري عن نفسه: كنت أقول بالغلو واعتقد غيبة محمد بن علي الملقب بابن الحنفية، قد ضللت في ذلك زماناً، فمنّ الله عليّ بالصادق جعفر ابن محمد عليه السلام وأنقذني به من النار وهداني إلى سواء الصراط... وتبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدتي التي أولها:

ولمّا رأيت الناس في الدين قد غروا	تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
وناديت باسم الله والله أكبر	وأيقنت ان الله يعفو ويغفر
ودنت بدين غير ما كنت دابناً	به ونهاني سيد الناس جعفر
فقلت: فهبني قد تهوّدت برهة	والآفـديني دين من يتنصر
وإنّي إلى الرحمن من ذاك تائب	وإنّي قد أسلمت والله أكبر
فلمست بقال ما حييت وراجع	إلى ما عليه كنت أخفي وأضمّر
ولا قائلاً حيّ برضوى محمّد	وإن عاب جهال مقالي فأكثروا
ولكنّه تمّ مضى لسبيله	على أفضل الحالات يُقفى ويخبر
مع الطيبين الطاهرين الأولى لهم	من المصطفى فرغ زكّي وعنصر ^(١)

وهانحن نذكر بعض الكلمات، التي أشارت إلى مذهبه:

١. قال المرزباني: كان السيد بلا شك كيسانياً يذهب إلى أن محمد بن الحنفية هو القائم المهدي وأنه مقيم في جبال رضوى، وشعره في ذلك يدل على أنه

كما ذكرنا كيسانياً فمن قوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى وبنا إليه من الصبابة ألوق
حتى متى وإلى متى وكم المدى يا ابن الوصي وأنت حي ترزق
إني لأمل أن أراك وأنتي من أن أموت ولا أراك لأفرق

غير أنه ﷺ رجع عن ذلك وذهب إلى إمامة الصادق ﷺ وقال:

تجفرت باسم الله والله أكبر

وأيقنت أن الله يعفو ويعفر

ويثبت مهما شمساء ربي بأمره

ويمحو ويقضي في الأمور ويقدر^(١)

ومن زعم أن السيد أقام على الكيسانية فهو بذلك كاذب عليه وطاعن فيه،
ومن أوضح ما دل على بطلان ذلك، دعاء الصادق ﷺ وثناؤه عليه.^(٢)

٢. وقال المعتز في طبقات الشعراء: حدّثني محمد بن عبد الله، قال: قال
السدي راوية السيد: كان السيد أول زمانه كيسانياً يقول برجعة محمد الحنفية،
وأنشدني في ذلك:

حتى متى؟ وإلى متى؟ ومتى المدى

يا ابن الوصي وأنت حي ترزق

والقصيدة مشهورة، وحدّثني محمد بن عبد الله، قال: قال السدي: ما زال

١. هذا البيت ذكره المعتز في طبقاته كما سيوافيك.

٢. أخبار شعراء الشيعة: ١٦٥.

السيد يقول بذلك حتى لقي الصادق عليه السلام بمكة أيام الحج فناظره وألزمه الحجّة، فرجع عن ذلك، فذلك قوله في تركه تلك المقالة ورجوعه عما كان عليه ويذكر الصادق:

تجفّرت باسم الله والله أكبر
وأيقنت أنّ الله يعفو ويعفّر
ويثبت مهما شاء ربي بأمره
ويمحو ويقضي في الأمور ويقدر^(١)

٣. وقال الصدوق: فلم يزل السيد ضالاً في أمر الغيبة يعتقدونها في محمد بن الحنفية، حتى لقي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد منه دلالات الوصية، فسأله عن الغيبة، فذكر له أنّها حق، ولكنها تقع بالثاني عشر من الأئمة عليهم السلام، وأخبره بموت محمد بن الحنفية وأنّ أباه محمد بن علي ابن الحسين بن علي عليه السلام شاهد دفنه، فرجع السيد عن مقالته، واستغفر من اعتقاده ورجع إلى الحقّ عند اتضاحه له ودان بالإمامة.^(٢)

٤. وقال المفيد: وكان من الكيسانية أبو هاشم إسماعيل بن محمد الحميري الشاعر عليه السلام، وله في مذهبهم أشعار كثيرة، ثمّ رجع عن القول بالكيسانية وتبرأ منه ودان بالحقّ، لأنّ أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام دعاه إلى إمامته، وأبان له عن فرض طاعته، فاستجاب له فقال بنظام الإمامة وفارق ما كان عليه.^(٣)

١. طبقات الشعراء: ٧.

٢. كمال الدين: ٢٠.

٣. الفصول المختارة: ٩٣.

وخامسهم محمد ارتضاه
 له في المآثرات إذن مقام
 وجعفر سادس النجباء بدر
 يبهجته زها البدر التهام
 وموسى سابع وله مقام
 تقاصر عن أدانيه الكرام
 علي ثامن والقبر منه
 بأرض الطوس إن قحطوا رهام
 وتاسعهم طريد بني البغايا
 محمد الزكوي له حسام
 وعاشرهم علي وهو حصن
 يحنُّ لفقده البلسد الحرام
 وحادي العشر مصباح المعالي
 منير الضوء الحسن الهمام
 وثاني العشر حان له القيام
 محمد الزكوي به اعتصام
 أولئك في الجنان بهم مساعي
 وجبرتي الخوامس والسلام^(١)

وفاته

أثار نبأ وفاة السيد ضجة كبيرة في المجتمع الكوفي، فقد توفي السيد عام ١٧٣ هـ وقيل ١٧٨ هـ^(١).

روى المرزباني باسناده عن ابن أبي حودان، قال: حضرت السيد ببغداد عند موته، فقال لغلام له: إذا متُّ فأتِ مجمع البصريين وأعلمهم بموتي وما أظنه يجيء منهم لأرجل أو رجلان، ثم اذهب إلى مجمع الكوفيين فأعلمهم بموتي وأنشدهم:

يا أهل كوفان إني وامق لكم

مذ كنت طفلاً إلى السبعين والكبر

أهواكم وأواليكم وأمدحكم

حتماً عليّ كمحتوم من القدر

بحبكم لوصي المصطفى وكفى

بالمصطفى وبه من سائر البشر

إلى أن قال:

وكفّنوني بياضاً لا يخالطه

شيء من الوشي أو من فاخر الخبر

ولا يشيعني النصّاب إتهم

شرُّ البريّة من انثى ومن ذكر

عسى الإله ينجيني برحمته

ومدحي الغرر الزاكين من سقر

فإنهم ليسارعون إليّ ويكبرون ، فلما مات فعل الغلام ذلك ، فما أتى من البصريين إلا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان وعطره ، وأتى من الكوفيين خلق عظيم ومعهم سبعون كفنًا ووجه الرشيد بأخيه علي وبأكفان وطيب ، فردت أكفان العامة عليهم وكفن في أكفان الرشيد ، وصلّى عليه علي بن المهدي وكبر خمساً ، ووقف على قبره إلى أن سطح ومضى كل ذلك بأمر الرشيد. ^(١)

ونقل أبو الفرج الاصبهاني ، عن بشير بن عمارة ، قال : حضرت وفاة السيد في الرميثة ببغداد ، فوجه رسولاً إلى صفّ الجزارين الكوفيين يُعلمهم بحاله ووفاته ، فغلط الرسول فذهب إلى صفّ السموسين فشتموه ولعنوه ، فعلم أنه قد غلط ، فعاد إلى الكوفيين يُعلمهم بحاله ووفاته ، فوافاه سبعون كفنًا ، قال : وحضرناه جميعاً ، وأنه ليتحسّر تحسراً شديداً وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلم ، إلى أن أفاق إفاقة ، وفتح عينيه ، فنظر إلى ناحية القبلة ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بوليك ! قالها ثلاث مرات ، مرة بعد أخرى .

قال : فتجلّى والله في جبهته عرق بياض ، فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدر ، وتوفي فأخذناه في جهازه ودفناه في الجنيثة ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد. ^(٢)

نعم ثمة أوهام حيكت حول وفاة السيد نشير إلى بعضها:

١ . أخبار شعراء الشيعة : ١٧٠ .

٢ . الأغاني : ٧ / ٢٧٨ .

قال أبو الفرج الاصبهاني : كنت عند جعفر بن محمد، فأتاه نعي السيد، فدعا له و ترخّم عليه، فقال رجل: يابن رسول الله، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة، فقال: حدثني أبي عن جدّي، أنّ محمّي آل محمد لا يموتون إلّا تائبين وقد تاب، ورفع مُصلّي كانت تحته، فأخرج كتاباً من السيد يعرفه فيه أنّه قد تاب ويسأله الدعاء له. ^(١)

أقول: إنّ ما ذكره صاحب الأغاني لا يوافق التاريخ القطعي، فإنّ الإمام توفي عام ١٤٨ هـ و توفيّ السيد عام ١٧٣ هـ وعلى قول ١٧٨ هـ فكيف يصحّ ما ذكره !؟

ويقرب من ذلك ما ذكره الكشي بسنده عن محمد بن النعمان، قال: دخلت على السيد بن محمد، وهو لما به قد اسود وجهه وازرقت عيناه وعطش كبده وسلب الكلام، وهو يومئذ يقول بمحمد بن الحنفية، وهو من حشمه، وكان ممن يشرب المسكر فجئت، وكان قد قدم أبو عبد الله ﷺ الكوفة، لأنّه كان انصرف من عند أبي جعفر المنصور، فدخلت على أبي عبد الله، فقلت: جعلت فداك أنّي فارقت السيد بن محمد الحميري، وهو لما به قد اسودّ وجهه وازرقت عيناه وعطش كبده وسلب الكلام فإنّه كان يشرب المسكر.

فقال أبو عبد الله ﷺ: اسرجوا حماري، فاسرج له فركب ومضى، ومضيت معه، حتى دخلنا على السيد وإنّ جماعة محدقون به، فجلس أبو عبد الله ﷺ عند رأسه، وقال: يا سيد، ففتح عينه ينظر إلى أبي عبد الله ﷺ ولا يمكنه الكلام وقد اسودّ وجهه، فجعل يبكي وعينه إلى أبي عبد الله، ولا يمكنه الكلام، وأنا لتبين فيه أنّه يريد الكلام ولا يمكنه، فرأينا أبا عبد الله ﷺ حرك شفّيته فنطق السيد،

فقال: جعلني الله فداك، أبأوليائك يفعل هذا؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا سيد قل بالحق يكشف الله ما بك ويرحمك ويدخلك جنته التي وعد أوليائه، فقال في ذلك:

تجعفرت باسم الله والله أكبر

وأيقنت أنّ الله يعفو ويغفر

فلم يبرح أبو عبد الله عليه السلام حتى قعد السيد على أسته. ^(١)

إنّ المتبادر من الخبر أنّ السيد كان في حالة الاحتضار، وإنه اعتنق المذهب الإمامي في ذلك الوقت، مع أنّك عرفت أنّ السيد قد توفي بعد وفاة الإمام الصادق بسنوات طويلة.

وليس من البعيد أن يُتهم السيد بشرب النبيذ للحط من مكانته، ومن كان محباً للوصي عليه السلام ومتفانياً في حبه، كيف يخالفه، وإنه ليعلم أنّ شرب النبيذ أبشع منكر عنده.

ويظهر من الحجاج الذي دار بينه وبين شاعر أهل البيت الكميّ الأسدي، أنّ السيد كان عارفاً بالكتاب والسنة وإقامة الحجج الدامغة وإفحام الخصم، فمن تنوّز قلبه بالكتاب والسنة، كيف يشرب النبيذ أو آخر عمره، ونكفي هنا بسرد هذه الواقعة التاريخية التي تكشف بوضوح عن تضلّعه في العلم والفقه والتاريخ.

قال المرزباني: قيل إنّ السيد حجّ في أيام هشام، فلقي الكميّ فسلمّ عليه، وقال: أنت القاتل:

١. رجال الكشي: ٢٤٤-٢٤٥، ط النجف الأشرف.

ولا أقول إذا لم يعطيا فدكا بنت الرسول ولا ميراثه كفرًا
الله يعلم ماذا تأتيان به يوم القيامة من عذر إذا حضرا

قال: نعم، قلته تقية من بني أمية، وفي مضمون قولي شهادة عليهما إثمها
أخذًا ما كان في يدها.

فقال السيد: لولا إقامة الحجّة لوسعني السكوت لقد ضعفت يا هذا عن
الحق، يقول رسول الله ﷺ: فاطمة بضعة مني يربني ماراها، وإنّ الله يغضب
لغضبها ويرضى لرضاها، فخالفت رسول الله ﷺ، وهب لها فدكاً بأمر الله له،
وشهد لها أمير المؤمنين والحسن والحسين وأمّ أيمن بأن رسول الله أقطع فاطمة
فدكاً فلم يحكما لها بذلك، والله تعالى يقول: ﴿يَرْتُنِي وَيَرْتُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(١)
ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^(٢). وهم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم،
الصلاة وشهادة المرأة لأبيها أنّه ﷺ قال: مروا فلاناً بالصلاة بالناس، فصدقت
المرأة لأبيها، ولم تصدق فاطمة والحسن والحسين وأمّ أيمن في مثل فدك، وتطالب
مثل فاطمة بالبيّنة على ما ادّعت لأبيها.

وتقول أنت مثل هذا القول وبعد فما تقول في رجل حلف بالطلاق
أنّ الذي طلبت فاطمة ﷺ هو حق وإنّ علياً والحسن والحسين وأمّ أيمن ما
شهدوا إلاّ بحق ما تقول في طلاقه؟ قال: ما عليه طلاق.

قال: فإن حلف بالطلاق إثمهم قالوا غير الحق؟

قال: يقع الطلاق، لأنهم لا يقولون إلاّ الحق، قال: فانظر في أمرك، فقال

١. النساء: ١٩.

٢. النمل: ٢٧.

الكميت: أنا نائب إلى الله مما قلت، وأنت أبا هاشم أعلم وأفقه منا. ^(١)
ومن تتبع شعره الطافح بالكتاب والسنة، وثباته على المبدأ وتحمل
المصائب والمشاق في سبيل عقيدته، لوقف على سخافة ما اتهم به من شرب
الخم والنبيذ.

وأين الصامد في سبيل الحق من المخمور الذي لا يبالي بما يدور حوله؟!
هذه نبذة مختصرة من سيرة السيد الحميري وأخباره وشعره، ومن أراد
التفصيل فليرجع إلى المصادر التي تعرضت لبيان أخبار السيد وأخص بالذكر
منها:

أ: الأغاني ^(٢) لأبي الفرج الاصبهاني المتوفى عام ٣٥٦هـ.

ب: أخبار السيد الحميري، تأليف أبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني
الخراساني (المتوفى عام ٣٨٤هـ)، تحقيق الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني.
مضافاً إلى ما في المعاجم والتراجم حول السيد، كأعيان الشيعة للسيد
الأمين، والغدير للشيخ الأميني، وقد بلغوا الغاية، شكر الله مساعيهم.

ثم إنَّ هناك من جمع أخبار السيد في كتب خاصة من أصحابنا وغيرهم.
فقد ذكر النجاشي من جمع أخبار السيد، وقال:

أحمد بن عبد الواحد بن أحمد البزاز أبو عبد الله شيخنا المعروف بابن
عبدون، له كتب منها أخبار السيد بن محمد. ^(٣)

وقال: إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان له كتاب أخبار السيد، وكتاب

١. الأغاني: ٢٢٩/٧-٢٧٨ و ٢/٤ و ٢٠٦/٦ و ٢٧٦/٨ و ٢٥٤/١٨.

٢. أخبار شعراء الشيعة: ١٧٨-١٧٩.

٣. رجال النجاشي: ٨٧، برقم ٢١١.

مجالس هشام. (١)

وقال: عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودي، شيخ البصرة
واخباريها، ثم ذكر تأليفه الكثيرة، منها: أخبار السيد بن محمد. (٢)

وقد عقد الدكتور الشيخ هادي الأميني محقق كتاب «أخبار السيد
الحميري» للمرزباني عنواناً لمن ألف في أخباره وذكر منهم:

١. أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسن بن عباس بن إبراهيم بن أيوب
الجوهري (المتوفى عام ٤٠١ هـ).

٢. أحمد بن إبراهيم بن المعلّى بن العمي ينسب إلى العم، وهو مرة بن مالك
ابن حنظلة بن زيد مناة بني تميم. (٣)

٣. صالح بن محمد الصرابي شيخ أبي الحسن الجندي. (٤)

٤. كاظم بن الشيخ باقر بن حسين مظفر، له أخبار وشعر السيد. (٥)

قصيدته العينية

لقد نالت قصيدتان من قصائد السيد أقبالاً واسعاً من قبل الأدباء
والشعراء، و أكتب غير واحد من المحققين على شرحها وهما:

١. القصيدة المذهبة التي مستهلها:

١. رجال النجاشي برقم ١٧٥.

٢. رجال النجاشي برقم ٦٣٨.

٣. رجال الطوسي برقم ٣٠؛ رجال النجاشي برقم ٧٠.

٤. رجال النجاشي برقم ١٤١.

٥. معجم رجال الفكر والأدب: ٤١٩.

هلا وقعت على المكان المُعشَب بين الطويلع فاللوى من كُجُب

وتناهز القصيدة ١١٢ بيتاً، شرحها السيد الشريف المرتضى (المتوفى عام ٤٣٦هـ) وطبع في مصر عام ٣١٣هـ كما شرحها الحافظ النسابة المعروف بتاج العلى الحسيني (المتوفى عام ٦١٠هـ).

٢. القصيدة العينية التي مستهلها:

لأم عمر باللوى مربع طامسة أعلامه بلقع

التي تناهز ٥٤ بيتاً شرحها غير واحد من المحققين والأدباء، كما اعتنى بها أئمة أهل البيت عليهم السلام بالسمع، ودعوة الآخرين إلى سماعها وحفظها كما سيوافيك، وقد شرحها أعلام الطائفة، وقد ناهزت شروح القصيدة ١٥ شرحاً. وقد وقفنا على بعضها وذكر قسماً منها شيخنا المجيز الطهراني، وبعضاً منها شيخنا المحقق الأمين وإليك أسماؤهم:

١. الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانساري (المتوفى عام ١٠٩٩هـ).

٢. ميرزا علي خان الكلبايگاني تلميذ العلامة المجلسي.

٣. المولى محمد قاسم الهزار جريبي (المتوفى عام ١١١٢هـ) وقد صنف فيها التحفة الأهدية.

٤. بهاء الدين محمد بن تاج الدين الحسن الاصبهاني الشهير بالفاضل الهندي (١٠٦٢ - ١١٣٥هـ) وهذا هو الذي يزفه الطبع إلى القراء الكرام، وستقوم بترجمة الشارح عن قريب.

٥. الحاج المولى محمد حسين القزويني المتوفى في القرن الثاني عشر.

٦. الحاج المولى صالح بن محمد البرغاني.

٧. الحاج ميرزا محمد رضا القراجة داغي التبريزي، فرغ منه سنة ١٢٨٩هـ وطبع في تبريز سنة ١٣٠١هـ.

٨. السيد محمد عباس بن السيد علي أكبر الموسوي (المتوفى ١٣٠٦هـ)، أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر.

٩. الحاج المولى حسن بن الحاج محمد إبراهيم بن الحاج محتشم الأردكاني (المتوفى عام ١٣١٥هـ).

١٠. الشيخ بخشعلي اليزدي الحائري (المتوفى ١٣٢٠هـ).

١١. ميرزا فضل علي بن المولى عبد الكريم الإيرواني التبريزي (المتوفى سنة ١٣٣٧هـ) مؤلف «حدائق العارفين».

١٢. الشيخ علي بن علي رضا الخوئي (المتوفى ١٣٥٠هـ).

١٣. السيد أنور حسين الهندي (المتوفى ١٣٥٠هـ).

١٤. السيد علي أكبر بن السيد رضي الرضوي القمي.

١٥. الحاج المولى علي التبريزي مؤلف (وقائع الأيام) المطبوع.^(١)

قد كان لقصيدته العينية التي نحن بصدد التقديم لها دوي واسع في المجتمع الإسلامي، وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يُشيد بهذه القصيدة ويضرب سترًا لتسمعها النساء.

روى في الأغاني عن فضيل الرسان، قال: دخلت على جعفر بن محمد أعزبه عن عمّه زيد، ثم قلت له: ألا أنشدك شعر السيد؟ فقال: أنشد، فأنشدته قصيدة يقول فيها:

فالناس يوم البعث رايتهم
 خمس فمنها هالك أربع
 قائدها العجل وفرعونهم
 وسامري الأئمة المفظع
 ومارق من دينه مخرج
 أسود عبداً لكع أوكع
 وراية قائدهسا وجهه
 كأنه الشمس إذا تطلع

فسمعت مجيباً من وراء الستور، فقال: من قائل هذا الشعر؟ فقلت:
 السيداً فقال: رحمه الله. (١)

وروى المرزباني، قال: حدثني فضيل بن عمر الحبال، قال: دخلت على أبي
 عبد الله عليه السلام بعد قتل زيد عليه السلام فجعل يبكي، ويقول: رحم الله زيدا أنه العالم
 الصدوق، ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه.

فقلت: أنشدك شعر السيد؟ فقال: امهل قليلاً، وأمر بستور، فسدلت،
 وفتحت أبواب غير الأولى، ثم قال: هات ما عندك فأنشدته:

لأم عمرو باللوى مربع دارسة أعلامه بلقع (٢)

١. الأغانى: ٧/ ٢٥٢، وما في ذيله من العبارة المشعرة بوقاة السيد حين إنشاء الشعر فموضوعة، لأن

السيد توفي بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام.

٢. أخبار شعراء الشيعة: ١٥٩.

وظاهر هذين النصين أنّ المجلس انعقد بعد وفاة زيد الشهيد بقليل. لأنّ فضيل الرسان دخل على جعفر بن محمد الصادق ليعزيه عن عمه، وقد استشهد زيد في صفر عام ١٢٢ هـ أو ١٢٣ هـ وعلى ذلك، فقد أنشأ السيد القصيدة في هذه السنة أو قريبة منها و بما أنّه ولد عام ١٠٥ هـ فقد كان في ريعان شبابه حين قتل زيد وأنشأ القصيدة في تلك الأيام.

ولا غرو في ذلك، وقد نقل المرزباني عن العباسة بنت السيد، أنّها قالت: قال لي أبي: كنت وأنا صبي أسمع أبويّ يثلبان أمير المؤمنين عليه السلام فأخرج عنها وأبقى جائعاً، وأوثر ذلك على الرجوع إليهما، فأبيت في المساجد جائعاً لخبّي فراقهما وبغضي إيتاهما حتى إذا أجهدني الجوع رجعت فأكلت ثم خرجت، فلما كبرت قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر....^(١)

ونقل المرزباني عن أبي إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طباطبا، قال: سمعت زيد بن موسى بن جعفر، يقول: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم وقدامه رجل جالس عليه ثياب بيض، فنظرت إليه فلم أعرفه، إذ التفت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: يا سيد، أنشدني قولك: «لأُمِّ عمرو في اللّوى مَرَبِعٌ».

فأنشده إيتاهما كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلّها في النوم. قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحاناً ردّي الإنشاد، فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتعتع فيها ولم يلحن.^(٢)

وقد نقل العلامة المجلسي مناماً عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، نقله

١. أخبار شعراء الشيعة: ١٥٤.

٢. المصدر نفسه: ١٦١-١٦٢، وقريب منه ما نقله الشريف الرضي في خصائص الأئمة.

عنه سهل ابن ظبيان يتعلق بهذه القصيدة وقائلها. ^(١)

إلى هنا تم ما كتبنا نرمي إليه من ترجمة سيد الشعراء السيد إسماعيل الحميري، و ما يرجع إلى قصيدته العينية.

ولهذه القصيدة المعروفة بالعينية شروح كثيرة ذكرها شيخنا العلامة الأميني في موسوعته «الغدير» أنها إلى خمسة عشر شرحاً. ^(٢)

وللفاضل الهندي بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (١٠٦٢-١١٣٧ هـ) - نابغة عصره ونادرة دهره الذي ستأتي ترجمته هنا في ص ٢٥٥ - شرح لها حقق وطبع بإشرافنا، باسم: «اللؤلؤ العبقري في شرح القصيدة الحميرية».

١. بحار الأنوار: ٤٧/٣٢٨-٣٣٢.

٢. الغدير: ٢/٣٢٢.

أبو بصير شخصيته وثقافته

(.....هـ)

السنة الشريفة هي الحجّة الثانية التي استأثرت باهتمام المسلمين بعد الكتاب العزيز، وهي وحي بمعناها لا بلفظها، خلافاً للقرآن فهو وحي بلفظه ومعناه، وقد أمر سبحانه الأخذ بكلّ ما أمر الرسول ﷺ أو نهى عنه، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا﴾^(١).

السنة هي الحدّ المائز بين الحقّ والباطل، والمصباح المنير لرواد الحقّ والحقيقة لا يعادها شيء بعد القرآن الكريم.

السنة هي المرجع لبيان مجملات الكتاب والموضحة لعموماته ومطلقاته، فلو تركت السنة وأهملت على الإطلاق أو اقتصرنا على السنة المتواترة لاندثرت الشريعة ونُحيت أحكامها.

السنة هي فصل الخطاب والحجّة القاطعة في مقام التشريع والقضاء، وتبين شروط العبادات وموانعها، فلا غنى لمسلم عن السنة، كما لا غنى له عن الكتاب.

وهناك كلمات مأثورة عن أئمة أهل البيت ﷺ تكشف بوضوح عن المقام

السامي الذي حازته السنة تقطف منها ما يلي:

١. قال الإمام الباقر عليه السلام: «كل من تعدى السنة رد إلى السنة».

٢. وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا فيه كتاب أو سنة».

٣. وقال عليه السلام: «أيضاً في شأن السنة: «فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا فيها حتى أرش الخدش».

فقد دَوَّن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإملاء منه عليه السلام وقد سمعها من فلق فمه. وهي المسماة بـ«الجامعة».

ارتحل رسول الله صلى الله عليه وآله ولبي دعوة ربه وترك للأمة كتزين ثمينين، وقال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي» فالعتره هم حفاظ السنة ومبنيها عبر القرون والأجيال، وقد تلقاها منهم الأمل فالأمل من تلاميذهم وخريجي مدرستهم ما لا يحصىه إلا الله سبحانه، وقد ذكر الحسن بن الوشاء أنه أدرك في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول: حدّثني جعفر بن محمد. ^(١)

وتمنّ تخرج على يدي الإمامين الهمامين الباقر والصادق عليهما السلام هو الراوية المعروف بـ«أبي بصير» وقد وقع في أسناد كثير من الروايات تناهز ٢٢٧٥ مورداً أو أكثر، وهو يروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وأبي عبد الله الصادق عليه السلام وأبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام.

فإذا كانت هذه مكانة الرجل ومنزلته، فيجب أن نقف على أحواله من خلال كلمات الرجالين والروايات الماثورة عنه.

فنقول: ادّعى أنّ أباً بصير كنية مشتركة بين رجال خمسة:

١. رجال النجاشي: ١/١٣٩ برقم ٧٩.

١. يحيى بن أبي القاسم الأسدي.
٢. ليث بن البخترى المرادي الكوفي.
٣. يوسف بن الحارث.
٤. عبد الله بن محمد الأسدي.
٥. حماد بن عبد الله بن أسيد الهروي.

فلو صحَّ اشتراك لفظ «أبي بصير» بين هؤلاء لصار مشتركاً بين الثقة وغيره، وعندئذ تسقط أكثر الروايات المروية عنه بلفظة «أبي بصير» من دون أن يقترب بلقب يميّزه عن غيره. فإنَّ الأولين ثقتان بلا كلام دون الثلاثة الأخيرة، فلم تحرز وثاقتهم غير أنَّ بعض المحققين ذهب إلى انصراف لفظة «أبي بصير» عند إطلاقه إلى الأولين فحسب، وعلى هذا كلياً أُطلق أبو بصير، فإن تبيّن المراد فهو، وإلا فالأمر يتردّد بين يحيى بن أبي القاسم الثقة، وليث بن البخترى المرادي الثقة، فلا أثر للتردّد.^(١)

ولأجل تحقيق هذا الكلام، نستعرض كلمات الرجلين في هذا الصدد.

١. أبو بصير يوسف بن الحارث

لقد عدَّ الشيخ الطوسي يوسف بن الحارث من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام وكنّاه بأبي بصير، وقال: يوسف بن الحارث، بترى يكتنّى أبا بصير.^(٢)
وقد تبعه العلامة في «الخلاصة»^(٣)، وابن داود في رجاله^(٤)، والميرزا

١. معجم رجال الحديث: ٤٧/٢١ برقم ١٣٩٥٩.

٢. رجال الشيخ: ١٥٠، أصحاب الباقر عليه السلام، باب الياء برقم ١٧.

٣. الخلاصة: ٢٦٥ برقم ١.

٤. رجال ابن داود: ٢٨٥ برقم ٥٥٧.

الاسترأبادي في «منهج المقال»^(١).

والظاهر أنّ مصدر الشيخ هو رجال الكشي، فإنه ذكره في عداد البترين، وقال: وقيس بن الربيع بترى، كانت له محبة، فأمّا مسعدة بن صدقة بترى - إلى أن قال:- و أبو نصر بن يوسف بن الحارث بترى.

وعلى هذا فقد تطرق التحريف إلى كلام الشيخ من وجهين:

أ: تصحيف «أبي نصر» بـ «أبي بصير».

ب: إسقاط لفظة «ابن» على وجه صار «أبو بصير» كنية يوسف، مع أنه في كلام الكشي كنية ابن يوسف.

وأول من تنبّه إلى ذلك هو المحقق القهبائي، واعتذر عن وقوع التحريف في كلام الشيخ بأنّ عجلته الدينيّة صارت سبباً لهذا التحريف، ثمّ قال: وعلى هذا التحريف اشتهر عند الطائفة ضعف حديث أبي بصير، لاعتقادهم أنّ أبا بصير مشترك بين أربعة، منهم هذا البترى، فاشترك الحديث بينه وبين غيره^(٢).

وقال أيضاً في ترجمة محمد بن إسحاق بن يسار المدني الذي جاء في ترجمته ذكر أبو نصر بن يوسف بن الحارث البترى: «هكذا في نسخ هذا الكتاب (رجال الكشي) وهي متعددة عندنا، واشتبه على الشيخ عليه السلام في أصحاب الباقر عليه السلام وتبعه غيره، مثل العلامة في الخلاصة، وابن داود في رجاله، وغيرهما، فقرأوا هكذا: أبو بصير يوسف بن الحارث بترى، فصار حيث شدّ أبو بصير في مرتبة من يروي عن

١. منهج المقال: ٣٨٤، قسم الكنى.

٢. مجمع الرجال: ٦/٢٧٩، قسم التعليقة.

الإمام الصادق عليه السلام، وهذا خلاف الواقع^(١).

واحتمال تطرّق الاشتباه إلى نسخة الكشي بعيد جداً، وقد قام بتصحيحه المحقق الشيخ حسن المصطفوي بعرضها على سبع نسخ مصححة وغير مصححة والتي يرجع تاريخ كتابتها بعضها إلى سنة ٥٧٧ هـ^(٢).

وبذلك تبيّن أنّ ما يظهر من الشيخ وغيره من كون يوسف بن الحارث من المكّنين بأبي بصير، ممّا لا وجه له.

٢. أبو بصير عبد الله بن محمد الأسدي

ومَن كُنّي بأبي بصير من الرواة هو عبد الله بن محمد الأسدي، وهذا ما نراه في عنوان رجال الكشي، بهذه الصورة: في أبي بصير عبد الله بن محمد الأسدي. طاهر بن عيسى، قال: حدثني جعفر بن أحمد الشجاعى، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن عبد الله بن وضاح، عن أبي بصير، سألت أبا عبد الله عليه السلام عن مسألة في القرآن...^(٣) هذا ولكنّ في صحته نظراً.

أولاً: أنّ من المحتمل كون العنوان راجعاً إلى النُّسَاح لا إلى المؤلف أي الكشي.

ثانياً: لو كان العنوان من المؤلف نفسه، فقد اشتبه الأمر على الكشي، لأنّ المراد من أبي بصير في السند هو يحيى بن أبي القاسم، لا عبد الله بن محمد

١. مجمع الرجال: ١٤٩/٥، قسم التعليقة بصرف يسير.

٢. رجال الكشي: ص ٢٠، قسم التعليقة.

٣. رجال الكشي: ١٧٤ برقم ٢٩٩.

الأسدي، وذلك لأنَّ عبد الله بن وضاح مَن يروي عن يحيى بن أبي القاسم كثيراً، بشهادة قول النجاشي: عبد الله بن وضاح، أبو محمد، كوفي، ثقة، من الموالي صاحبَ أبا بصير يحيى بن القاسم كثيراً و عرف به، له كتب يعرف منها: كتاب الصلاة، أكثره عن أبي بصير.^(١)

فالعنوان لا ينطبق على السند الذي نقل بعده.

ويؤيد ذلك ما رواه علي بن إبراهيم في تفسيره في آخر سورة الكهف عن جماعة، منهم: الحسين بن أبي العلاء، و عبد الله بن وضاح، وشعيب العرقوفي، جميعاً عن أبي بصير، عن مولانا أبي عبد الله عليه السلام.^(٢)

فإنَّ شعيباً العرقوفي ابن أخت أبي بصير يحيى بن أبي القاسم، كما ذكره النجاشي.^(٣)

و يؤيده أيضاً كون الحسين بن أبي العلاء في تلك الجماعة، فإنَّ الشيخ يروي مناسك الحج لأبي بصير عن طريقه.

قال في الفهرست: يحيى بن القاسم يكنى أبا بصير، له مناسك الحج، رواه علي بن أبي حمزة، والحسين بن أبي العلاء.^(٤)

وعلى هذا فلم نجد دليلاً على إطلاق أبي بصير على عبد الله بن محمد الأسدي غير وجود لفظ «أبي بصير» في العنوان فقط.

نعم كتناه الشيخ الطوسي بأبي بصير، وقال: «عبد الله بن محمد الأسدي»

١. رجال النجاشي: ٢/ ١٠ برقم ٥٥٨.

٢. تفسير القمي: ٢/ ٤٧.

٣. رجال النجاشي: ١/ ٤٣٥ برقم ٥١٨.

٤. الفهرست: ١٧٨ برقم ٧٧٦.

كوفي، يكتى أبا بصير.^(١)

ولعل الشيخ تبع ما وجدته من العنوان في رجال الكشي، فكناه به.

ثم إن عبد الله بن محمد الأسدي غير عبد الله بن محمد الحجال الذي يصفه النجاشي، بقوله: عبد الله بن محمد الأسدي، مولاهم، كوفي، الحجال، المزخرف «أبو محمد»، وقيل: إنه من موالي بني تميم، ثقة ثقة، ثبت، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا.^(٢)

وعده البرقي من أصحاب الرضا عليه السلام، قائلاً: عبد الله بن محمد الحجال أخو عبد الله، ومن ولده أحمد بن عبد الله الكرخي.^(٣)

كما عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وقال: عبد الله بن محمد الحجال، مولى «بني تميم» ثقة.^(٤)

فأين الحجال من الأسدي الذي هو من أصحاب الباقرين عليهما السلام؟!
وبذلك ظهر أمران:

الأول: عدم صحّة تكتية عبد الله بن محمد الأسدي بأبي بصير.

الثاني: عدم ثبوت وثاقة عبد الله بن محمد الأسدي، وأمّا الموثق في كلام النجاشي و الشيخ، فهو الحجال من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام.

١. رجال الشيخ ١٢٩، أصحاب الإمام الباقر عليه السلام برقم ٢٦.

٢. رجال النجاشي: ٢/ ٣٠ برقم ٥٩٣.

٣. رجال البرقي: ٥٥.

٤. رجال الشيخ: باب أصحاب الرضا، باب العين، برقم ١٨. وقد جاءت لفظة: «مولى بني تميم

الله» في رجال البرقي في موارد لاحظ ص ٥٤.

٣. أبو بصير حماد بن عبيد الله^(١) بن أسيد الهروي

و الأصل في وصفه بـ «أبي بصير» ما نقله الكشي في ترجمة يونس بن عبد الرحمن، قال: روى عن أبي بصير حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروي، عن داود بن القاسم، أن أبا جعفر الجعفري، قال: أدخلت كتاب «يوم و ليلة» الذي ألفه يونس ابن عبد الرحمن على أبي الحسن العسكري عليه السلام فنظر فيه وتصفحه كله ثم قال: «هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله»^(٢).

والظاهر تطرق التصحيف إلى العبارة، فإن هذه الفقرة من متمات الجمل السابقة، وإليك نصها:

«سمعت الفضل يقول: ما نشأ في الإسلام رجل من سائر الناس كان أفقه من سلمان الفارسي ولا نشأ رجل بعده أفقه من يونس بن عبد الرحمن عليه السلام [روى عن أبي بصير]. وأما ما بعده، أعني: حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروي، عن داود بن القاسم إلى أبي جعفر الجعفري، قال: أدخلت كتاب يوم و ليلة... فهو جملة مستقلة لا صلة لها بما سبق، وإنما تطرق الخطأ من قبل النساخ حيث جعلوا قوله: «روى أبو بصير» مقطوعاً عما قبله وراجعاً إلى ما بعده.

مضافاً إلى أن في بعض النسخ «أبو نصر» مكان أبو بصير، و على فرض الصحة فهو من مشايخ الكشي، الذي كان من علماء النصف الأول من القرن الرابع، ولا صلة له بمن يروي عن الإمامين مباشرة وبلا واسطة.

إلى هنا تبين أنه لم يثبت كون أبي بصير كنية أحد من الرواة غير: يحيى بن أبي

١. من النسخة المصححة المحققة وفي النسخة القديمة: «عبد الله».

٢. رجال الكشي: ٤٨٤ برقم ٩١٥.

القاسم، وليث البخثري، و بيا أنّ الرجالين اتفقوا على توثيقها، فإذا صحّ السند إليه يحكم عليه بالصحة سواء علمنا أنّ المراد من هو أم لم نعم.

إنّ الكتاب المائل بين يديك هو مسند أبي بصير المشترك بين شخصين ثقتين، فيلزم علينا تسليط المزيد من الأضواء على ترجمتهما و بيان شيء من أقوال الرجالين في حقهما، والإشارة إلى من تخرج عليهما في الحديث.

١. أبو بصير: يحيى بن أبي القاسم الأسدي

عزّه الرجاليون بالوثاقة تماماً، قال النجاشي: يحيى بن القاسم أبو بصير الأسدي، وقيل: أبو محمد، ثقة، وجيه، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وقيل: يحيى بن أبي القاسم، و اسم أبي القاسم إسحاق، وروى عن أبي الحسن موسى عليه السلام، له كتاب يوم وليلة، أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد ابن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن شيبان، قال: حدثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير بكتابه، ومات أبو بصير سنة خمسين ومائة. ^(١)

وعده الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: يحيى بن القاسم أبو محمد، يعرف بأبي بصير الأسدي مولاهم، كوفي، تابعي، مات سنة خمسين ومائة بعد أبي عبد الله عليه السلام. ^(٢)

وقال في الفهرست: يحيى بن القاسم، يُكنى أبا بصير، له كتاب مناسك الحج، رواه علي بن أبي حمزة، والحسين بن أبي العلاء، عنه. ^(٣)

١. رجال النجاشي: ٤١١/٢، برقم ١١٨٨.

٢. رجال الطوسي: ٣٣٣، أصحاب الصادق عليه السلام، باب الياء، برقم ٩.

٣. الفهرست: ٣٦٢ برقم ٧٨٧.

وقال العقيقي: يحيى بن القاسم الأسدي، مولاهم، ولد مكفوراً رأى الدنيا مرتين، مسح أبو عبد الله ﷺ على عينيه، وقال أنظر ما ترى، قال: أرى كوة في البيت وقد أرانيها أبوك من قبلك.^(١)

وعده الكشي من أصحاب الإجماع، وقال: اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر ﷺ وأصحاب أبي عبد الله ﷺ، وانقادوا لهم بالفقه، فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خريزوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، قالوا: أفقه الستة زرارة، وقال بعضهم: مكان أبي بصير الأسدي: أبو بصير المرادي، وهو ليث بن البختری.^(٢)

فقد تبين من ذلك منزلة الرجل ومكانته وهو ممن اتفقت العصابة على تصديقه.

غير أنّ هناك إبهامات تحوم حول شخصيته، وهي:

الأول: هل اسم والده: القاسم أو أبو القاسم؟

قد وقفت على أنّ الشيخ في الرجال والفهرست وهكذا العقيقي، عبروا عنه بالقاسم، وهكذا النجاشي، غير أنّه نقل قولاً بأنّ كنية أبيه أبو القاسم واسمه إسحاق. والظاهر هو صحة الثاني، لوجوه:

١. أنّ الشيخ سمّاه بأبي القاسم عند ذكره في أصحاب الإمام الباقر ﷺ

قال: يحيى بن أبي القاسم، يكتى أبا بصير، مكفور، واسم أبي القاسم: إسحاق.

١. الخلاصة: ٢٦٤، القسم الثاني برقم ١٦٨٧.

٢. رجال الكشي: ٢٠٦.

٢. وعده الشيخ المفيد من أصحاب أبي جعفر عليه السلام قائلاً: وأبو بصير يحيى ابن أبي القاسم، مكفوف، مولى لبني أسد، واسم أبي القاسم إسحاق، وأبو بصير كان يكتى بأبي محمد.^(١)

٣. وقال الكشي في ترجمة ليث بن البخترى: محمد بن مسعود (العياشي) قال: سألت علي بن الحسن بن فضال عن أبي بصير، قال: كان اسمه يحيى بن أبي القاسم فقال: أبو بصير، كان يكتى أبا محمد، وكان مولى لبني أسد.^(٢)

٤. وقد ورد في اسناد الفقيه يحيى بن أبي القاسم، روى الصدوق بسنده الصحيح، عن أبان الأحمري، عن أبي بصير يحيى بن أبي القاسم الأسدي، عن أبي جعفر عليه السلام.^(٣)

٥. وروى بسنده الصحيح عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن يحيى بن أبي القاسم، عن جعفر بن محمد عليه السلام.^(٤)

وهذه الوجوه تثبت أن اسم أبيه إسحاق، وكنيته أبو القاسم، فهو يحيى بن أبي القاسم لا يحيى بن القاسم.

٦. وقد عبر عنه البرقي في رجاله، بقوله: أبو بصير يحيى بن أبي القاسم الأسدي.^(٥)

١. الاختصاص: ٨٣. ٢. رجال الكشي: ١٧٣ برقم ٢٩٦.

٣. الفقيه: ٤، باب ما يجب من إحياء القصاص، الحديث ٢٢١.

٤. الفقيه: ٤، باب الوصية من لدن آدم، الحديث ٤٥٧.

٥. رجال البرقي: ١١. نعم ورد بعد الجملة التي أشرنا إليها قوله: واسم أبي القاسم: يحيى بن القاسم، ولعله من تصحيف النساخ، ولعل الصحيح اسم أبي القاسم إسحاق ثم ابتدأ بترجمة شخص آخر، وهو يحيى بن القاسم، ولا صلة له بأبي بصير المتقدم عليه.

الثاني: هل يحيى بن أبي القاسم هو يحيى الحذاء أو غيره؟

قد وقفت على منزلة أبي بصير عند الأصحاب وأئمة الحديث، وربما يحكم على حديثه بالضعف بتصور أنه هو يحيى بن أبي القاسم الحذاء الذي عدّه الشيخ من أصحاب الكاظم، وقال: يحيى بن القاسم الحذاء واقفي.^(١)

وقال الكشي: حمدويه ذكر عن بعض أشياخه يحيى بن القاسم الحذاء الأزدي، واقفي.

ولأجل ذلك نرى أنّ الشهيد الثاني يذكر بأنّ أبا بصير الذي روى عن الصادق عليه السلام مشترك بين اثنين: ليث بن البخري المرادي، وهو المشهور بالثقة، و ليث بن القاسم الأسدي وهو واقفي، ضعيف، مخلط.^(٢)

ولكن الحقّ تعدّدهما، وذلك للوجه التالية:

الأول: ما يظهر من عبارة الكشي أنّها متعدّدان حيث قال في عنوان بحثه.

(في يحيى بن أبي القاسم أبي بصير و يحيى بن القاسم الحذاء) ثم ذكر

الأحاديث.^(٣)

فإنّ مقتضى سياق الكلام تعدّد المعنون، لظهور العطف في المغايرة أولاً، وتكنية الأول بأبي بصير دون الآخر ثانياً، وتخصيص الرواية التي نقلها عن حمدويه بالحذاء، حيث قال: حمدويه ذكره عن بعض أشياخه: يحيى بن القاسم الحذاء الأزدي، واقفي ثالثاً، وتقييد الثاني بالحذاء دون الأول رابعاً.

١. رجال الشيخ: ٣٤٦، أصحاب الكاظم عليه السلام، باب الياء، برقم ١٦.

٢. المسالك: ٤١٣/٢.

٣. رجال الكشي: ٤٧٤، برقم ٩٠٦.

كل ذلك يشعر بتعدد المعنوين.

الثاني: كلام الشيخ في رجاله، فقد جاء فيه:

يحيى بن القاسم الحذاء، واقفي.

يوسف بن يعقوب، واقفي.

يحيى بن أبي القاسم، يكتى أبا بصير.^(١)

فإن الفصل بينهما بأجنبي، أي يوسف بن يعقوب دليل التعدد، مضافاً إلى تسمية الثاني بأبي بصير دون الأول.

الثالث: أن أبا بصير مات سنة خمسين ومائة، والوقف إنما حصل بعد زمان وفاة الإمام موسى الكاظم عليه السلام وقد استشهد عليه السلام سنة ١٨٣ هـ فعلى ذلك فلا يمكن أن يوصف من مات على رأس خمسين بعد المائة بالوقف.

كل ذلك يدعم بأن أبا بصير الأسدي غير يحيى بن القاسم الحذاء.

الرابع: قد عرفت أن النجاشي عنون أبا بصير الأسدي ووصفه بأنه ثقة وجيه، ولكن الشيخ وصف يحيى بن القاسم الحذاء بالوقف، ومن طبيعة الحال أن النجاشي كان واقفاً على حكم الشيخ بالوقف على الحذاء، فلو كان المعنونان متحدين كان على النجاشي أن يشير إلى نظر الشيخ، مع أنه سكت عن ذلك.

هذه الوجوه وغيرها مما ذكرها المحقق الكلباسي (المتوفى ١٣٥٦ هـ) في كتابه يثبت تعدد المعنوين وأن هذا لا يوجب الشك في صحة رواية أبي بصير الأسدي. وهناك وجه آخر وهو أن أبا بصير أدرك عصر أبي جعفر الباقر عليه السلام الذي

١. رجال الشيخ: ٣٤٦ أصحاب الكاظم عليه السلام، برقم ١٦، ١٧، ١٨.

توفي عام ١١٤ هـ وأدرك عصر الإمام الصادق عليه السلام وبعده بستين، وتوفي سنة ١٥٠ هـ.ق.

فلو كان يحيى بن القاسم الخذاء هو نفس أبي بصير الأسدي كان على الشيخ أن يذكره في عداد أصحاب الإمام أبي جعفر الباقر والصادق عليهما السلام، ولا يخصه بأصحاب الإمام الكاظم عليه السلام.

نعم ذكر في أصحاب الإمام الباقر يحيى بن القاسم الخذاء، ولكنه لم يصفه بالوقف، وهو يعرف أنّ الخذاء المطلق غير الخذاء الموصوف بالوقف.

وقد حقق الموضوع غاية التحقيق الشيخ الكلباسي (المتوفى عام ١٣٥٦ هـ) في كتابه^(١) حيث أثبت تعدد المعنويين وأنّ هذا لا يوجب الشك في صحة رواية أبي بصير الأسدي. وقد صدرنا في هذا البحث عن تحقيقاته الشافية «قدس الله سرّه»، مع المراجعة إلى المصادر والمدارك.

٢. أبو بصير ليث بن البخترى

ليث بن البخترى المرادي، أحد الثقات المختبين.

قال الكشي بعد عنوانه بالنحو التالي:

في أبي بصير ليث بن البخترى المرادي.^(٢)

ثم نقل عن جميل بن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «بشر

١. سماء المقال: ١/٣١٧-٣٣٠.

٢. أنّ العنوان وإن كان خاصاً بليث بن البخترى ولكن الروايات التي أوردها تحت ذلك العنوان تعمته وأبا بصير الأسدي، وهذا يدلّ على سقوط الأسدي من العنوان.

المختبين بالجنة: بريد بن معاوية العجلي، و أبا بصير ليث بن البخري، ومحمد بن مسلم، و زرارة؛ أربعة نجباء، أمنا الله على حلاله وحرامه، لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست. (١)

وقال النجاشي: ليث بن البخري المرادي (أبو محمد) وقيل أبو بصير الأصغر، يروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام. له كتاب، يرويه جماعة منهم: أبو جميلة المفضل بن صالح. (٢)

وقال الشيخ في الفهرست: ليث المرادي، يكنى أبا بصير، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن موسى عليهما السلام، له كتاب. (٣)

وقال في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام: ليث بن البخري المرادي، يكنى أبا بصير، كوفي.

وقال في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: ليث بن البخري المرادي، أبو يحيى، و يكنى أبا بصير، أسند عنه.

وذكر في أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام: ليث، يكنى أبا بصير.

وقد ذكر الكشي روايات في مدحه منها ما عرفت، ومنها ما سنذكر.

قال: روى عن سليمان بن خالد الأقطع، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما أحد أحياء ذكرنا وأحاديث أبي عليه السلام، إلا زرارة، و أبو بصير ليث المرادي، ومحمد بن مسلم، و بريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط

١. رجال الكشي: ١٦٩، برقم ٢٨٥-٢٨٦.

٢. رجال النجاشي: ١٩٣/٢ برقم ٨٧٤.

٣. الفهرست: ١٣٠ برقم ٥٧٤.

هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا والسابقون إلينا في الآخرة.^(١)

مميزات المحدّثين: الأسدي والمرادي

قد عرفت أنّ أبا بصير المذكور في الأسانيد كنية مشتركة بين يحيى الأسدي وليث المرادي ولا يتجاوز عنهما، وإنّ كلاً منهما ثقة بلا كلام، ولذلك لا فائدة مهمة تنطوي على تميز أحدهما عن الآخر. ولكن ثمة قرائن يُستشف منها تعيين المراد منه فيما إذا أُطلق لفظة أبي بصير.

فيما يميز به الأسدي عن المرادي

إنّ الطريق الواضح لتعيين المراد من أبي بصير عند الإطلاق هو التعرف على الذي ينقل عنه الرواية، فإنّ طائفة من الرواة تخرّجوا على يدي يحيى الأسدي، وأخرى على يدي ليث المرادي. وها نحن نذكر أسماء من تخرّج على الأسدي:

١. علي بن حمزة البطائني

إنّ علي بن حمزة البطائني كان قائد أبي بصير، وقد أكثر الرواية عنه مصرّحاً باسمه.

يقول النجاشي: علي بن أبي حمزة «واسم أبي حمزة سالم البطائني» كوفي، وكان قائد أبي بصير يحيى بن القاسم، وله أخ يسمّى جعفر بن أبي حمزة.^(٢)

١. رجال الكشي: ١٣٦ برقم ٢١٩.

٢. رجال النجاشي: ٦٩/٢، برقم ٦٥٤.

وقد روى الصدوق في «كمال الدين» روايات أبي حمزة عن يحيى بن أبي القاسم^(١)، كما صرح باسمه فيما رواه الصدوق عن ابن أبي حمزة في الخصال^(٢).

٢. شعيب العرقوفى

إنَّ شعيباً العرقوفى ابن أخت أبي بصير يحيى بن أبي القاسم، قال النجاشي: شعيب العرقوفى، أبو يعقوب ابن أخت أبي بصير يحيى بن القاسم، روى عن أبي عبد الله عليه السلام وأبي الحسن عليه السلام، ثقة، عين^(٣).

٣. الحسين بن أبي العلاء

ذكر الشيخ في ترجمة يحيى بن القاسم، قال: يكتنى أبا بصير، له كتاب مناسك الحج، رواه علي بن أبي حمزة والحسين بن أبي العلاء عنه^(٤).

٤. الحسن بن علي بن أبي حمزة

ذكر النجاشي أنه يروي عن أبي بصير عن طريق الحسن بن علي بن أبي حمزة، قال في بيان طريقه إلى يحيى بن القاسم الأسدي: أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، قال: حدثنا يحيى بن زكريا بن شيبان، قال: حدثنا الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير بكتابه^(٥).

١. لاحظ كمال الدين: ٢٥٩/١، الحديث ١٤ وج ٢/٣٤٠، الحديث ٢٠.

٢. الخصال: ٤٤٣/٢، الحديث ٣٦.

٣. رجال النجاشي: ٤٣٥/١، برقم ٥١٨.

٤. الفهرست: ٢٠٧ برقم ٧٩٧.

٥. رجال النجاشي: ٤١١/٢ برقم ١١٨٨.

٥. المعلّى بن عثمان

روى الكليني في الكافي في باب «الثوب يصيبه الدم» بسند ينتهي إلى المعلّى ابن عثمان عن أبي بصير، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وهو يصلي، فقال قائدي: إن في ثوبه دمًا، فلما انصرف، قلت له: إن قائدي أخبرني أن بثوبك دمًا، فقال لي: إن لي دماميل ولست أغسل ثوبي حتى تبرأ. فإن الظاهر أنه الأسدي، لأنه المحتاج إلى القائد فتأمل. (١)

فيما يميّز به المرادي عن الأسدي

ليس هناك قرينة خاصة يميّز بها المرادي عن الأسدي سوى ذكر الراوي اسم أبي بصير بعد كنيته، وها نحن نذكر كل من روى عن أبي بصير المرادي مصرحاً باسمه وإليك قائمة بأسمائهم:

الأول: عبد الله بن مسكان

روى عبد الله بن مسكان عن أبي بصير ٢١ حديثاً مصرحاً باسمه وهي ميثوثة في أبواب كثيرة:

١. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
- الكافي: ٢ / ٦٠، باب الرضا بالقضاء من كتاب الإيمان، الحديث ٢.
٢. عن ابن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
- بحار الأنوار: ٧٢ / ٣٣٣، باب ذم الشكاية من الله تعالى من أبواب الإيمان

والكفر، ح ١٩.

٣. عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير يعني ليث بن البخري المرادي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١/ ٢٦، الباب ٢ من أبواب مقدمات العبادات، ح ٢٠ نقله عن المحاسن.

٤. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٢/ ٨٩٩، الباب ٧٥ من أبواب الدفن، ح ٣، نقله عن الكافي.

٥. عن ابن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١/ ٢٠٩، باب صفة التيمم، ح ١١.

٦. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١/ ٢٥٨، باب تطهير الثياب، ح ٣٧.

٧. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١/ ٢٠٩، باب التيمم، ح ١١.

٨. عن ابن مسكان، عن ليث عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٣/ ١٣٨، باب ١٨ من أبواب المواقيت، ح ٩، نقله عن علل الشرائع.

٩. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٣/ ١٨١، الباب ٤٤ من أبواب المواقيت، ح ١.

١٠. عن ابن مسكان عن ليث، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

التهديب: ١٦٨/٢، باب تفسير ما تقدم ذكره في الصلاة من المفروض
والمسنون، ح ١٢٥.

١١. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي، قال: قلت لأبي
عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٦/٦٨، ٤، باب الخواتيم من كتاب الزبي والتجمل، ح ٦.

١٢. عن ابن مسكان عن ليث المرادي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٤/٩٠٩، الباب ٧ من أبواب السجود، ح ٦ نقله عن علل
الشرائع.

١٣. عن عبد الله بن مسكان عن أبي بصير المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٥/١١٩، الباب ١٨ من أبواب صلاة العيد، ح ١، نقله عن
كتاب الإقبال.

١٤. عن ابن مسكان عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٤/١١٠، باب الصائم يسعط ويصيب في أذنه الدخن أو يحتقن،
ح ٤.

١٥. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٤/١٢٨، باب من صام في السفر بجهالة، ح ٣.

١٦. عن ابن مسكان عن أبي بصير يعني المرادي، قال: قلت لأبي
عبد الله عليه السلام.

الفقيه: ٢/٣٠٠، باب الحلق والتقصير، ح ١.

١٧. عن ابن مسكان عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
التهذيب: ٥/ ٤٩٠، باب الزيادات في فقه الحج، ح ٤٠١.
١٨. عن ابن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
التهذيب: ٧/ ٤٧، باب البيع بالنقد والنسيئة، ح ٩.
١٩. عن ابن مسكان عن أبي بصير يعني المرادي، قال: قلت لأبي
عبد الله عليه السلام.
- الفقيه: ٤/ ٢٠٧، باب ميراث الأجداد والجدات، ح ٢٠.
٢٠. عن ابن مسكان عن ليث المرادي، و عبد الأعلى بن أعين عن أبي
عبد الله عليه السلام.
- التهذيب: ١٠/ ١٨٧، باب القود بين الرجال والنساء من كتاب الديات،
ح ١.
٢١. عن عبد الله بن مسكان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
الكافي: ٢/ ٦٠، باب الرضا بالقضاء، ح ٢.

الثاني: المفضل بن صالح (أبو جميلة)

روى أبو جميلة المفضل بن صالح عن أبي بصير المرادي ١٦ حديثاً مصرحاً
باسمه وهي مبثوثة في أبواب مختلفة:

١. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
التهذيب: ١/ ٣٤٩، باب الأحداث الموجبة للطهارة، ح ٢٢.
٢. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

- الوسائل: ١/ ٢٥١، الباب ٣٥ من أبواب أحكام الخلوة، ح ١.
٣. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
- الوسائل: ٢/ ٦١١، الباب ٢ من أبواب النفاس، ح ١.
٤. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
- الوسائل: ٤/ ٩٧٦، الباب ٢٠ من أبواب السجود، ح ٣.
٥. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
- الكافي: ٣/ ٤٦٠، باب صلاة العيدين والخطبة، ح ٤.
٦. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
- الكافي: ٤/ ٣٤٢، باب ما يلبس المحرم من الثياب وما يكره له لباسه من كتاب الحج، ح ١٦.
٧. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
- التهذيب: ٥/ ٣٣٩، باب الكفارة من خطأ المحرم من كتاب الحج، ح ٨٨.
٨. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
- الكافي: ٦/ ٢٠٨، باب صيد البزاة والصقور من كتاب الصيد، ح ١٠.
٩. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
- التهذيب: ١٠/ ٢٥٢، باب ديات الأعضاء والجوارح والقصاص فيها من كتاب الديات، ح ٣١.
١٠. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.
- الكافي: ٦/ ١٦٨، كتاب الطلاق، باب العبد إذا تزوج بإذن مولاه، ح ٢.

١١. عن المفضل بن صالح عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٨٩/١٩، باب ١٦ من أبواب موجبات الضمان، ح ٢.

١٢. عن أبي جميلة عن ليث المرادي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.

البحار: ١٢٩/٢٢، تاريخ نبينا عليه السلام باب ما جرى بينه وبين أهل الكتاب، ح ١٠٥ نقله عن الكافي.

١٣. عن أبي جميلة عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام.

البحار: ٧٢، باب الكبر من كتاب الإيمان والكفر، ح ٥، نقله عن الكافي.

١٤. عن أبي جميلة عن ليث المرادي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١/١٦٥، باب حكم الحيض والاستحاضة والنفاس والطهارة، ح ٤٥.

١٥. عن أبي جميلة عن ليث المرادي، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٤٠٣/٦، باب لبس الحرير والديباج من كتاب الزي والتجمل، ح ٢.

١٦. عن أبي جميلة عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٣٠٩/٢، باب الكبر من كتاب الإيمان والكفر، ح ٥.

الثالث: عاصم بن حميد

روى عاصم بن حميد روايات مختلفة عن أبي بصير المرادي مصرحاً باسمه:

١. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعني المرادي عن أبي جعفر عليه السلام.

الوسائل: ٥٦٩ / ١٥، الباب ١٥ من أبواب الكفارات، ح ٤، نقله عن
فقه الرضا عليه السلام.

٢. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعني المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٤١ / ١٨، الباب ٧ من أبواب صفات القاضي، ح ١٠.

٣. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعني المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.

البحار: ٣١١ / ٦٤، باب الذباب والبق والزنبور من كتاب السماء والعالم،
ح ٣ نقله عن التهذيب.

٤. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير ليث المرادي، قال: سألت أبا
عبد الله عليه السلام.

التهذيب: ١٨٥ / ٤، باب علاقة وقت فرض الصيام وأيام الشهر، ح ٣.

٥. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعني ليث المرادي عن أبي جعفر عليه السلام.

الوسائل: ٥٥ / ٦، الباب ١ من أبواب من تجب عليه الزكاة و من لا تجب
عليه، ح ٦.

٦. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعني المرادي، قال: سألت أبا
عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٢٩ / ٩، الباب ٤٧ من أبواب تروك الإحرام، ح ٦، نقله عن
علل الشرائع.

٧. عن عاصم بن حميد عن أبي بصير يعني المرادي، قال: سألت أبا
عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ١٨٥ / ١٣، الباب ٢ من أحكام المضاربة، ح ١، نقله عن
الفقيه.

هؤلاء هم الذين أكثروا النقل عن أبي بصير المرادي مصرحين باسمه، وهناك من نقل رواية أو روايتين مصرحين باسمه.

الرابع: حميد بن المثني العجلي المعروف بأبي المعزا

١. عن أبي المعزا حميد بن المثني عن أبي بصير يعني المرادي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام.

الوسائل: ٣/ ١٤، الباب ٥ من أبواب أعداد الفرائض ونوافلها، ح ٢، نقله عن معاني الأخبار.

٢. عن أبي المعزا عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
الوسائل: ٨/ ١٧٣، الباب ٣ من أبواب أقسام الحج، ح ٧.

الخامس: أبان بن عثمان

عن أبان عن ليث المرادي عن أبي عبد الله عليه السلام.
الوسائل: ١/ ٦٦٩، الباب ٤٠ من أبواب الاحتضار، ح ٤.

السادس: رفاعه بن موسى الأسدي النخاس

عن رفاعه بن موسى عن ليث المرادي عن أبي بصير^(١)، قال سمعته يقول:
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المحاسن: ٣٧، ثواب ما جاء في التسييح، ح ٤٠.

١. هكذا في النسخة ولعل لفظة «عن» زائدة أو مصحف يعني.

السابع: أبو أيوب الخزاز و عبد الله بن بكير

أبو أيوب الخزاز و عبد الله بن بكير عن ليث المرادي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام.

الكافي: ٧ / ٣١٠، باب المسلم يقتل الذمي أو يجرحه والذمي يقتل المسلم أو يجرحه من كتاب الديات، ح ١١.

التهذيب: ١٠ / ١٨٦، باب القود بين الرجال والنساء من كتاب الديات، ح ٢٧.

ونستخلص مما سبق أمرين:

الأول: هؤلاء هم الذين رووا عن أبي بصير مصرحين باسمه في بعض الأحيان، وليكن هذا قرينة على أن المراد هو ليث البخري عند الإطلاق فيما إذا انتهت سلسلة السند إليهم.

الثاني: أن السبر في المسانيد المنتهية إلى أبي بصير يكشف عن حقيقة، وهي أنهم يطلقون أبا بصير ولا يصرحون باسمه إلا إذا كان المراد منه هو ليث المرادي. ولعل هذا قرينة على أن المطلق ينصرف إلى الأسدي، وكأنه غني عن التصريح بالاسم لشهرته بين الرواة، دون المرادي فهو بحاجة إلى ذكر الاسم، ويؤيد ذلك تسمية الأسدي بأبي بصير الكبير والمرادي بأبي بصير الصغير، ولعل ملاكهما هو كبر السن وصغره أو كثرة نقل الروايات أو قلتها. والله العالم.



ولما كان أبو بصير ممن أكثر الرواية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام و يعد رواية كبيرة وقد أثبتت حوله إبهامات قام غير واحد من المحققين بتأليف رسائل أو

تدوين بحوث نفيسة حوله، وإليك بعض أسماء تلك الرسائل والبحوث:

١. عديمة النظير في ترجمة أبي بصير: للعلامة السيد مهدي الخوانساري (المتوفى عام ١٢٤٦هـ) ألفه عام ١٢٣٠هـ. ^(١) طبعت في آخر الجوامع الفقهية.

٢. رسالة في المكتبين بأبي بصير: تأليف المحقق الخبير الشيخ محمد تقي التستري (١٣٢٠-١٤١٦هـ).

٣. سماء المقال في علم الرجال: تأليف المحقق أبو الهدى الكلباسي (المتوفى سنة ١٣٥٦هـ)، وقد أفاض بالبحث في الجزء الأول من كتابه. ^(٢)

٤. معجم رجال الحديث: تأليف المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧-١٤١٣هـ) فقد عالج في موسوعته الروايات الواردة في حق أبي بصير المشعرة بالذم والمدح. ^(٣)

كما أكمل بحوثه في أجزاء أخرى. ^(٤)

ولأجل ذلك لم نستعرض حال الأحاديث التي وردت في حق أبي بصير التي نقلها الكشي في ترجمته.

ويشبه أن تكون هذه الروايات مثل ما ورد في حق زرارة من الذم صوتاً لنفسه ونفيسه، أو من وضع الوضّاعين الحاقدين على شيعة أهل البيت.

وفي الختام نتقدم بالشكر إلى الفاضل الجليل ولدنا الخبير بالحديث الشيخ

١. الذريعة: ٤/١٤٨.

٢. لاحظ سماء المقال: ١/٢٩٨-٣٩٢.

٣. لاحظ معجم رجال الحديث: ١٤/١٤٠-١٥١.

٤. معجم رجال الحديث: ٢١/٤٤-٦٤.

بشير المحمدي المازندراني الذي شمرَّ عن مساعد الجد بإحياء المسانيد الماثورة عن أصحاب الأئمة عليهم السلام شكر الله سعيه و أجرل أجره. وهو حفظه الله ذووب في عمله، مقبل على شأنه، وقد أتخف المكتبة الإسلامية بمسند يضم في طياته قرابة (٣٠٠٠) حديث من أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وهذا العدد الهائل من الروايات الذي هو ضعف ما روي عن زرارة بن أعين ومحمد بن مسلم، فإنما هو لأجل أن المسند جمع أحاديث محدّثين كبيرين، هما: يحيى بن أبي القاسم الأسدي، وليث بن البختری المرادي رضوان الله عليهما.

الشيخ الطبرسي

إمام المفسرين في القرن السادس، حياته وآثاره (١٤٦٧-١٥٤٨هـ)

الشيخ الطبرسي مؤلف التفاسير الثلاثة

لا تجد كتاباً سماوياً أحدث ضجّة وتحولاً في الحياة البشرية مثلما أوجده القرآن الكريم في حياة الأمم، فقد شيد الحضارة الإسلامية وأرسى كيانها وأعطى لها دستوراً جامعاً في مجال الحياة العامة، ولأجل هذه المكانة السامية لهذا الكتاب، شارك المسلمون عبر القرون في تسهيل فهم القرآن بتأليف تفاسير بصور مختلفة مذكورة في المعاجم.

وممن صنف في هذا المجال هو الشيخ الجليل أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، من أعلام الإمامية في القرن السادس الهجري، فقد زود المكتبة الإسلامية بتأليفه الثلاثة القيمة في تفسير القرآن الكريم المعروفة بـ:

١ . «مجمع البيان لعلوم القرآن» .

٢ . «الكاف الشاف» اقتصر فيه على الطرائف الأدبية، والظرائف البلاغية

الواردة في الكشاف .

٣ . «جوامع الجامع»، جمع فيه طرائف الكتابين وظرائفهما .

فمجمع البيان أكبر تفاسيره و ما يليه أصغرهما والثالث أوسطهما، ولا أظن

أن يكون لهذا المفسر العظيم كتاب آخر في التفسير، وإن كان ربما ينسب إليه غير هذه الثلاثة .

وقد ألف غير واحد من المحققين مقالات ورسائل في ترجمة مفسرنا الكبير غير أنا نشير في هذا المقال إلى نكات خلت منها أكثر المقالات التي ألفت لبيان سيرته .

ولادته

ذكر المترجمون أنه توفي عام ٥٤٨ هـ ولم يسيروا إلى ولادته غالباً، ولكن يمكن استكشاف تاريخ ولادته مما ذكره هو في آخر الجزء الأول من كتابه «مجمع البيان» فإنه أرخ فراغه عند تفسير قوله سبحانه: ﴿فمن خاف من موصٍ جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾. ^(١) بقوله: وفرغ من تأليفه يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة ٥٣٠ هـ. ^(٢)

هذا من جانب، ومن جانب آخر أنه ذكر في مقدمة كتابه أنه شرع بهذا التفسير وقد ذرف سنه على الستين واشتعل الرأس شيباً. ^(٣)

وتستعمل تلك الجملة فيما إذا تجاوز السن عن الستين، كما أنه إذا بلغ نفس الستين يقال: ذرف سني الستين.

فعل هذا فهو عند الشروع بهذا الكتاب تجاوز سنه عن الستين بسنة واحدة أو ستين، فلنفرض أنه كان ابن ٦٢ .

١. البقرة: ١٨٢.

٢. مجمع البيان: ١/ ٢٧٠.

٣. مجمع البيان: ١/ ١٠.

فلو استغرق تأليف الجزء الأول حوالي سنة فقد بلغ سنه عند الفراغ عنه ٦٣ سنة ولا غرو في ذلك، لأنه ألف الأجزاء العشرة الباقية في سبع سنوات، وبما أن تأليف الكتاب في بدء الأمر يواجه صعوبات جمة، فلا عجب أن يستغرق تأليف الجزء الأول منه سنة كاملة.

وعلى ضوء هذا فقد كان مؤلفنا في سنة ٥٣٠ من أبناء الثالثة والستين فلو نقصنا ٦٣ سنة من ٥٣٠ هـ لكانت ولادته نحو ٤٦٧ هـ. ٥٣٠-٦٣=٤٦٧.

مجمع البيان كتاب خالد

ربّ كتاب يبذل المؤلف جهده الحثيث لتأليفه ونشره بحلّة قشبية ولكن لا يحظى برغبة القراء لاقتنائه، فيبقى في زوايا المكتبات ولا ترى أشراً منه إلا في المعاجم وفهارس المكتبات، وربّ كتاب يأخذ بمجامع القلوب وينال إعجاب المحققين و تتوالى عليه الرغبات طيلة قرون دون أن يُبلى، كـ «الشرائع في الفقه» للمحقق الحلي (٦٠٢-٦٧٦ هـ)، و «لسان العرب في اللغة» لابن منظور الإفريقي (المتوفى ٧٠٧ هـ)، و«اللفية ابن مالك في النحو» لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي (٦٠٠-٦٧٢ هـ) فهذه الكتب ونظائرها قد كُتبت على جبينها الخلود مادامت الحضارة.

وأما كتاب «مجمع البيان» فيعتبر من الكتب التفسيرية الخالدة لمزاياه الخاصة، ولأجل ذلك نرى أنه مضى على تأليفه حوالي تسعة قرون وهو بعد غصّ طريّ يرجع إليه اللغوي في لغة القرآن، و المقرئ في قراءته، والمؤرّخ في قصصه وأسباب نزوله، والفقيه في تفسير آيات الأحكام، والمتكلم في معارفه وبحوثه الكلامية.

ومن لطيف ما واجهت أنني في سالف الزمان حللت ضيفاً على كلية الإلهيات في استنبول، ودُعيتُ لإلقاء محاضرة حول أحكام السفر، فإذا بأستاذ التفسير رُحّب بي ودعاني إلى غرفته الخاصة المكتظة بالكتب وأراني كتاب «مجمع البيان» وقال بأنه يرجع إليه في تفسيره.

وهذا هو الشيخ عبد المجيد سليم الشيخ الأسبق لجامع الأزهر ووكيل جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية يصف الكتاب بالنحو التالي ويقول:

«إن كتاب «مجمع البيان لعلوم القرآن» الذي ألفه الشيخ العلامة ثقة الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي من علماء القرن السادس الهجري، هو كتاب جليل الشأن، غزير العلم، كثير الفوائد، حسن الترتيب، لا أحسبني مبالغاً إذا قلت إنه في مقدّمة كتب التفسير التي تعد مراجع لعلومه وبحوثه.

ولقد قرأت في هذا الكتاب كثيراً، ورجعت إليه في مواطن عدة، فوجدته حلالاً معضلات، كشافاً مبهمات، ووجدت صاحبه عميقَ التفكير، عظيمَ التدبير، متمكناً من علمه، قوياً في أسلوبه وتعبيره، شديد الحرص على أن يجلي للناس كثيراً من المسائل التي يفيدهم علمها»^(١).

وهذا هو اعتراف من أحد كبار المشايخ المعاصرين الذي كان من رواد التقريب بين المذاهب، وينظر إلى مذهب الشيعة نظرتة إلى سائر المذاهب، فلا غرو في أن يعجبه «مجمع البيان» ويثني عليه بما ذكر.

إن الشيخ محمد حسين الذهبي وزير الأوقاف والشؤون الدينية في مصر -

الذي اغتيل عام ١٣٩٧ هـ مؤلف كتاب «التفسير والمفسرون» - تناول التفسير المعروفة لدى السنة والشيعة بالبحث والتمحيص من القرن الثالث إلى العصر الحاضر، وأبان النقاط الإيجابية والسلبية لكل تفسير تناوله.

فمع أنه بخص حقوق أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى عدّ علياً عليه السلام المفسر الثالث في الإسلام وهذا تلميذه ابن عباس المفسر الأول وسعيد بن جبير المفسر الثاني، وكما بخص حقوق مفسري الشيعة، وعلى الرغم من ذلك فقد خضع لتفسير «مجمع البيان» وأشاد به وقال ما هذا نصّه:

«والحق أنّ تفسير الطبرسي بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية، وآراء اعتزالية، كتاب عظيم في بابيه، يدلّ على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة، والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه في تناسق تام، وترتيب جميل، وهو مجيد في كلّ ناحية من النواحي التي يتكلّم عنها، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفرد أجاد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال، وهو ينقل أقوال من تقدّمه من المفسرين معزوة لأصحابها، ويرجح ويوجه ما يختار منها - إلى أن قال - . والحق أن يقال: أنه ليس غالباً في تشييعه ولا متطرفاً في عقيدته»^(١).

بِراسته في الترتيب والتنظيم

إنّ من أهمّ ميزات هذا الكتاب هو الترتيب الفائق المشاهد فيه ، حيث جمع علوم القرآن في كتابه لكن بتنسيق وتهذيب لم يسبق له أحد ، ولم يلحقه أحد ، فذكر اختلاف القراءات في الآيات وحججها ، كما ذكر إعرابها ومعاني لغاتها وأسباب نزولها كلّاً في فصل خاص ، ولم يخلط بين المباحث ، فعلى القارئ الذي يريد الوقوف على موضوع خاص لا يكّد نفسه في العثور على ما يريد ، وهذه الميزة كانت موضع إعجاب الشيخ شلتوت ، فقال في هذا الموضوع :

لقد قلتُ : إنّ هذا الكتاب نسيج وحده بين كتب التفسير ، وذلك لأنّه مع سعة بحوثه وعمقها وتنوّعها ، له خاصية في الترتيب والتبويب ، والتنسيق والتهذيب ، لم تعرف لكتب التفسير من قبله ، ولا تكاد تعرف لكتب التفسير من بعده ، فعهّدنا بكتب التفسير الأولى أنّها تجمع الروايات والآراء في المسائل المختلفة ، وتسوقها عند الكلام على الآيات سوقاً متشابكاً ، ربما اختلط فيه فنّ بفن ، فما يزال القارئ يكّد نفسه في استخراج ما يريد من هنا وهناك حتّى يجتمع إليه ما تفرّق ، وربما وجد العناية ببعض النواحي واضحة إلى حد الإملال ، والتقصير في بعض آخر واضحاً إلى درجة الإخلال ، أمّا الذين جاءوا بعد ذلك من المفسرين ، فثلثن كان بعضهم قد أطنبوا ، وحققوا وهذبوا ، وفصلوا وبوتوا ، إنّ قليلاً منهم أولئك الذين استطاعوا مع ذلك أن يحتفظوا لتفسيرهم بالجوّ القرآني الذي يشعر معه القارئ بأنّه يجول في مجالات متصلة بكتاب الله اتصالاً وثيقاً وتطلبها خدمته حقاً لا لأدنى ملابسة وأقل مناسبة .^(١)

١ . مجمع البيان : تقديم الإمام شلتوت : ٢٠ .

الطبرسي وأداؤه لحقّ معاصره

إنّ السنّة الجارية بين المعاصرين - إلاّ من عصمهم الله - عدم الاهتمام بآثار معاصريهم في مجال العلم والفن، بل ربما ينظرون إليه بعين التحقير، ومع ذلك فإنّ هناك رجالاً أحراراً خرقوا حجاب التعاصر ويرى للمعاصر حقاً مثلما لغيره، ويقول في ذلك:

قل لمن لا يرى المعاصر شيئاً ويرى للأوائل التقديما
إنّ ذاك القديم كان حديثاً وسيبقى هذا الحديث قديماً^(١)

فمن هذه الطائفة السامية شيخنا أبو علي الطبرسي فأنه بعدما فرغ من كتابه الموسوم بـ «مجمع البيان لعلوم القرآن» عثر على كتاب الكشاف لحقائق التنزيل للزمخشري (٤٧١-٥٢٨هـ) قرأ في طرائف وطرائف أحب أن يجمعها في كتاب خاص، فيقول في هذا الصدد:

إنّي لما فرغت من كتابي الكبير في التفسير الموسوم بـ «مجمع البيان لعلوم القرآن»، ثمّ عثرت من بعد، بالكتاب الكشاف لحقائق التنزيل لجار الله العلامة، واستصلحت من بدائع معانيه وروائع ألفاظه ومبانيه، ما لا يلقى مثله في كتاب مجتمع الأطراف، ورأيت أن أسمه وأسميه بالكاف الشاف، فخرج الكتابان إلى الوجود، وقد ملكا أزيمة القلوب، إذ أحرزا من فنون العلم غاية المطلوب، وجادت جدواهما، وتراءت ناراهما، وتبعّد في استجماع جواهر الألفاظ وزواهر المعاني صداهما، فسارا في الأمصار مسير الأمثال، وسريا في الأقطار مسرى الخيال.

ثم اقترح عليّ ولدي أبو نصر الحسن - أحسن الله نصره وأرشد أمره وأمره - أن أحرر من الكتابين كتاباً ثالثاً، يكون مجمع بينهما ومحجر عينهما، يأخذ بأطرافهما ويتصف بأوصافهما، فيتحقق ما قيل: إن الثالث خير^(١).

اختبار صحة ما ادعاه المؤلف

ادّعى الإمام الطبرسي أنه ألف «مجمع البيان» ولم يكن قد اطلع على تفسير الكشاف للزنجشري، وهذا خبر هو يخبر به، وهو بما أنه عالم صدوق نصدّق خبره، ومع ذلك فلنا أن ندعم هذا الخبر عن طريق الرجوع إلى المواضع المشتركة بين الكشاف ومجمع البيان كي يتبين الأمر في ضوء الواقع، فإنّ الزنجشري معتزلي، والطبرسي إمامي، وكلاهما من العدلية يشتركان في أصول كثيرة كلامية، وهذا هو الذي اختبره شلتوت عند تقديمه لمجمع البيان، فقال:

رجعت إلى أول موضع يظن انها يتلاقيان فيه، وهو تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *.

فأما الإمام الطبرسي في كتابه «مجمع البيان» فقد تحدث من ناحية المعنى في موضعين:

أحدهما: معنى «لا يؤمنون» وما يتصل به من بيان عدم التعارض بين العلم الإلهي والتكليف، لأنّ العلم يتناول الشيء على ما هو به، ولا يجعله على ما هو به.
الثاني: معنى «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» وبيان الآراء المختلفة فيه، وقد ذكر أربعة آراء، وأيد الرابع منها وقواه بشواهد.

وهذا هو نص كلامه في الوجه الرابع لنضجه موضع المقارنة مع كلام الزمخشري حتى يتبين الفرق بينهما:

«ورابعها: أن الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له، فهو خلاف من ذكر في قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، ومثل قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾، ﴿وَقُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ﴾ ويقوى ذلك أن المطبوع على قلبه، وُصِفَ بقلّة الفهم لما يسمع من أجل الطبع، فقال: ﴿بل طبع الله عليها يكفرهم فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقال: ﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهَمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فعدل الختم على القلوب، بأخذه السمع والبصر، فدلّ هذا على أنّ الختم على القلب هو أن يصير على وصف لا يتنفع به فيما يحتاج فيه إليه، كما لا يتنفع بالسمع والبصر مع أخذهما، وإنّما يكون ضيقه بالأ يتسع لما يحتاج إليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحقّ والباطل، وهذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له، إذا بولغ في وصفه بالجبن، لأنّ الشجاعة محلّها القلب، فإذا لم يكن القلب الذي هو محلّ الشجاعة لو كانت، فإن لا تكون الشجاعة أولى، قال طرفة:

فألهيبت لا فؤاد له والثبيت قلبه قيمه

وكما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له، وأنه يراعه، وأنه مجوف؛ كذلك وصف من بعد عن قبول الإسلام بعد الدعاء إليه، وإقامة الحجّة عليه، بأنه مختوم على قلبه، ومطبوع عليه، وضيق صدره، وقلبه في كنان وفي غلاف، وهذا من كلام الشيخ أبي علي الفارسي، وإنّما قال ختم الله، وطبع الله، لأنّ ذلك كان لعصيانهم الله تعالى، فجاز ذلك اللفظ، كما يقال: أهلكته فلانة إذا أعجب بها، وهي لا

تفعل به شيئاً، لأنه هلك في اتباعها».

هذا هو نص كلامه، ومنه يتبين:

١. أنه ممن يؤيد الرأي القائل بأن الختم ليس حقيقياً، وإنما هو على معنى

من المجاز.

٢. وأنه يستعين في بيان ذلك بالآيات المشابهة لهذا الموضع في القرآن

الكريم، وبالشعر، ويقول أبي علي الفارسي، وبما هو مألوف في العربية من مثل هذا التعبير بإسناد الفعل إلى من لم يفعله، ولكن وقع بسبب منه، فالختم أسند إلى الله لأنه بمعناه الذي فسر به كان بسبب عصيانهم لله، كما يقال أهلكته فلانة وهي لم تهلكه وإنما هلك باتباعها.

وأما الإمام الزمخشري في كتابه «الكشاف» فقد عرض لهذا الموضوع في تفصيل أكبر، وضرب له كذلك أمثلة من الشعر والكلام العربي، وأورد فيه بعض الأسئلة ورد عليها، ومع كون الفكرة التي يؤيدها الإمام الزمخشري هي نفس الفكرة التي رأينا الإمام الطبرسي يؤيدها. فإن عبارة الزمخشري أوسع وأشمل، وأمثله من الشعر أوضح في بيان المقصود، وتخرجه العربي لهذا التعبير مبني على دراسة فنية بلاغية مقررة المبادئ بين العلماء، فلو كان الطبرسي قد اطلع على كتاب «الكشاف» لكان قد أيد ما ذهب إليه بما ذكر الزمخشري نقلاً عنه أو تلخيصاً له، ولكننا لا نجد بين العبارات في الكتابين تلاقياً إلا على الفكرة، أما الأمثلة والعرض واسلوب البحث فمختلفة.

والآن نورد نص الإمام الزمخشري، كما أوردنا نص الإمام الطبرسي، ونودع للقراء أن يتأملوا النصين، على ضوء ما قلناه، فسيوضح لهم أن الطبرسي قطعاً لم ير «الكشاف» وهو يؤلف «مجمع البيان».

قال الزمخشري:

«فإن قلت: ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟

قلت: لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة، وإنما هو من باب المجاز،
ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه، وهما الاستعارة والتمثيل.

أما الاستعارة فإن تجعل قلوبهم — لأن الحق لا ينفذ فيها، ولا يخلص إلى
ضمايرها من قبل إعراضهم عنه، واستكبارهم عن قبوله واعتقاده — وأسماعهم —
لأنها تمججه، وتنبو عن الإصغاء إليه، وتعاف استماعه — كأنها مستوثق منها
بالختم، وأبصارهم — لأنها لا تحتل آيات الله المعروضة، ودلائله المنصوبة، كما
تحتلها أعين المعتبرين المستبصرين — كأنها غُطِّي عليها، وحجبت، وحيل بينها
وبين الإدراك.

وأما التمثيل فإن تُثْمَل — حيث لم يتفعوا بها في الأغراض التي كلفوها
وحُلقوا من أجلها — بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستفهام بها بالختم
والتغطية، وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعِي ختماً عليه فقال:

ختم الإله على لسان عذافر ختماً فليس على الكلام بقادر

وإذا أَرَادَ النطق خلت لسانه لحمًا يجرکه لصقر ناقرا

فإن قلت: لِمَ أسند الختم إلى الله تعالى، وإسناده إليه يدل على المنع من قبول
الحق والتوصل إليه بطرقه، وهو قبيح، والله يتعالى عن فعل القبح علواً كبيراً،
لعلمه بقبحه، وعلمه بغناه عنه، وقد نص على تنزيه ذاته بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ
لِّلْعَبِيدِ﴾، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل؟

قلت: القصد إلى صفة القلوب بآتها كالمختوم عليها، وأما إسناد الختم إلى الله عز وجل؛ فلينبه على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقى غير العرضي، ألا ترى إلى قولهم فلان مجبول على كذا، ومفطور عليه، يريدون أنه بليغ في الثبات عليه، وكيف يُتخيل ما تُخيل إليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم، وسماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيدُ بعذاب عظيم، ويجوز أن تضرب الجملة كما هي - وهي «ختم الله على قلوبهم» - مثلاً، كقولهم: سال به الوادي إذا هلك؛ وطارت به العنقاء، إذا أطال الغيبة، وليس للوادي، ولا للعنقاء عمل في هلاكه، ولا في طول غيبته، وإنما هو تمثيل: مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي، وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء، فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق، بحال قلوب ختم الله عليها، نحو قلوب الأعمام^(١) التي هي في خلوها من الفطن كقلوب البهائم، أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أو بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئاً ولا تفقه، وليس له عز وجل فعلٌ في تجافياها عن الحق، ونبوها عن قبوله، وهو متعالٍ عن ذلك، ويجوز أن يستعار الإسناد في نفسه من غير الله، فيكون الختم مسنداً إلى اسم الله على سبيل المجاز، وهو لغيره حقيقة، تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى: يلبس الفاعل، المفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان، والمسبب له، فإسناده إلى الفاعل حقيقة، وقد يسند إلى هذه الأشياء عن طريق المجاز المسمى استعارة، وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل، كما

١ . جمع أغمتم، وأصل الغتمة اللون المائل إلى السواد، كأنه وصف به من ليس له قلب صاف، قال المؤلف في كتابه «أساس البلاغة»: فلان أغمتم، من قوم غتم وأغتام، وفيه غتمة، وهي المعجمة في المنطق من الغتم، وهو الأخذ بالنفس.

يضاهي الرجل الأسد في جرأته، فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق، وفي عكسه: سيل مفعم، وفي المصدر: شعر شاعر، وذيل ذائل، وفي الزمان: نهاره صائم، وليله قائم، وفي المكان: طريق سائر، ونهر جار؛ وأهل مكة يقولون: صلى المقام، وفي المسبب: بنى الأمير المدينة، وناقاة ضبوث وحلوب^(١) الخ.

هذا هو نصّ كلام الزمخشري في الكشف، وبينه وبين كلام الطبرسي فرق بعيد، ومثل هذا هو الذي جعل مؤلف «مجمع البيان» لا يقنع بما وصل إليه، حتى يصله بما جد له من العلم، فيخرج ما أخرج من كتاب جديد، جمع فيه بين الطريف والتليد!

نفسيات المؤلف

إنّ ما قام به المفسّر الكبير الشيخ الطبرسي يعرب عن أمور:
أولاً: أنّه أدّى حقّ معاصره الزمخشري ولم يبخس حقّه، وصرح بأنّ في كتاب «الكشاف» طرائف وظرائف خلى عنها كتاب «مجمع البيان».

ثانياً: أنّه خرق بذلك حجاب التعاصر الذي لم يزل سائداً عبر قرون بين الكتاب والمحققين، حيث إنّ براعة المؤلف لا تُقدّر في حياته إلا نادراً فبعد ما قضى نحوه تتجلى عبقريته على ألسن الخطباء والكتاب.

ثمّ إنّ الإمام شلتوت يصف ذلك الخلق العلمي والخصلة المحمودة من المؤلف ويقول:

إنّني أظنّ هنا موقف الإكبار والإجلال لهذا الخلق العلمي، بل لهذه

١. ضبت بالشيء وعليه: قبض قبضاً شديداً، وهو مثله في الوزن أيضاً، فالناقاة الضبوث ضد الناقاة الحلوب.

العظمة في الإخلاص للعلم والمعرفة، فهذا الصنيع يدل على أن الرجل كان قد بلغ به حب الدراسات القرآنية حداً كبيراً، فهو يتابعها في استقصاء، ثم يجهد نفسه في تسجيلها وترتيبها على هذا النحو الفريد الذي ظهر في «مجمع البيان»، ثم لا يكتفي بما بذل في ذلك من جهد كفيل بتخليد ذكره، حتى يضيف إلى آثاره العلمية ما جدّ له بعد ان انتهى من تأليف كتابه، ولعلّه حيثُ كان قد بلغ السبعين أو جاوزها.^(١)

ونضيف ونقول: إن تلك الخصلة الإنسانية قد لمسناها من بعض مشايخنا المحققين نظير السيد الإمام حسين البروجردي (١٢٩٢ — ١٣٨٠) فاتّه ألف موسوعة كبيرة، جمع فيها أسانيد كلِّ راوٍ إلى الإمام فقط ورتبها في فهارس كاملة، وبذلك فتح باباً جديداً في التعرف على قيمة الراوي من حيث عدد مشايخه وتلاميذه ومقدار روايته. وقد بذل جهداً شاقاً في هذا السبيل التهمت منه بضع سنين.

ولما غادر موطنه «بروجرد» وألقى عصا الإقامة في مدينة قم عام ١٣٦٤، عرض أثره هذا على مشايخ الحوزة وعلمائهم، ولما وقف على أنه ليس أول من تظن بذلك والتفت إليه، بل سبقه بعض محققي علم الرجال كالشيخ محمد الأردبيلي المتوفى في أوائل القرن الثاني عشر، في كتابه «جامع الرواة» فاتّه يختار في ترجمة الرواة جملة من الأسانيد من الكتب الأربعة وغيرها ويستدل بها على شيوخ الراوي وتلاميذه وطبقتهم من دون استقصاء، رغب السيد الأطلاع على هذا الكتاب المخطوط، ولما رجع إليه ووقف على قيمة الكتاب قام بطبعه قبل أن يقوم بنشر كتابه حتى قدّم له مقدمة ثمينة أشاد فيها بها لهذا الكتاب من المكانة حيث

قال:

الامتياز القيم الذي أوجب تقديرنا له، إنَّما لكتابه «جامع الرواة» باعتبار ما فيه من جمع رواة الكتب الأربعة وذكر من رووا منه، و من روى عنهم و تعيين مقدار رواياتهم ورفعهم بذلك بعض النقص من كتب الرجال، واتي حين ما كنت ببروجرد و كنت أراجع - في أثناء أبحاثي لمعرفة أسانيد الروايات - ما صنَّفه علماءنا من الفهارس والرجال والمشاركات تفتَّنت لما تفتَّنت له هذا الشيخ الجليل ولغيره من النقص في تلك الكتب ولكني سلكت في رفعها مسلكا آخر غير ما سلكه.^(١)

تقديره لكتاب «التبيان»

إنَّ الإمام الطبرسي من المؤلفين المخلصين الذين لا يبغون من وراء التأليف والتصنيف إلا وجهه الله سبحانه، وسدَّ الفراغ الهائل في المكتبة الإسلامية دون أن يُعير أهمية للشهرة، فهذا هو الملموس في حياة الإمام الطبرسي فإنَّه يُشيد في مقدِّمة «مجمع البيان» بكتاب «التبيان» ويصفه على النحو التالي: إنَّه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق. قد تضمن من المعاني، الأسرارَ البديعة، واحتضن من الألفاظ، اللغة الوسيعة. ولم يقنع بتدوينها دون تبينها. ولا بتعميقها دون تحقيقها. وهو القدوة استضيء بأنواره، وأطأ مواقع آثاره.^(٢)

فنحن نشمن هذا الخلق العلمي الرفيع الذي ينبغي أن يتحلَّى به كلُّ محقق مخلص فيعترف بفضل من تقدم عليه واغترف من علومه وصدر عن كتبه.

١. جامع الرواة: المقدمة ص.ز.

٢. مجمع البيان: ج ١، المقدمة.

من التبيان إلى الميزان

عاش الإمام أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) في القرن الرابع والخامس، وقد أسدى خدمة عظيمة إلى التراث الإسلامي من خلال تأليفه كتاب «التبيان في تفسير القرآن»، وقد تبعه الآخرون ممن جاء بعده في هذا المنهج فألفوا كتباً و موسوعات تفسيرية بين مطبوعة ومخطوطة، مع أنهم - قدس الله أسرارهم - قاموا بواجبهم، لكننا نرى أنّ الفاصلة العلمية بين «التبيان» في القرن الخامس و«الميزان» في القرن الخامس عشر ليست هائلة، وكان المترقب أن يتطور علم التفسير عبر القرون العشرة في الأوساط الشيعية أكثر من ذلك، ولو انتزعنا من تفسير «الميزان» للعلامة الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢) المباحث الفلسفية والاجتماعية منها لم يبق ثمة فاصلة تذكر بينهما، ونرى عكس ذلك في الحقل الفقهي فأين كتاب النهاية والمبسوط للشيخ الطوسي من كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للشيخ محمد حسن النجفي (١١٩١-١٢٦٦)، فإنّ الفاصل بينهما هائل جداً، يعكس حجم التطور الذي وصل إليه الفقه، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ الظروف لم تكن تسمح لعلماء الشيعة بإدخال التطور في حقل التفسير نظير التطوير في الفقه وإن كان ما قاموا به من التماسير القيمة غنى وكفاية، وقد ألمعنا إلى تاريخ التفسير عند الشيعة والآثار التي خلّفوها في ذلك المجال في كتابنا مفاهيم القرآن.^(١)

١. راجع الجزء العاشر من مفاهيم القرآن، تحت عنوان الشيعة والتفسير تدويناً وتطوراً، ص ٣٠٠.

فقاها الإمام الطبرسي

إن الإمام الطبرسي كان إمام المفسرين في عصره وبعده، ولكنه كان إلى جانب ذلك فقيهاً بارعاً في حقل الفقه، حيث نرى أنه يستدل في مواطن كثيرة من تفسيره على آرائه الفقهية بظواهر الآيات والسنة الشريفة، فمع أنه يشير في ذلك الباب إلى آراء الآخرين ولكن يؤيد نظره السامي بوجوه تثبت ما رام إليه.

والذي يدل على اضطراره في الفقه أنه لخص كتاب «الخلاف» للشيخ الطوسي وأسماء «المؤتلف من المختلف»، وهو يصف عمله في ذلك الكتاب بقوله: «لما تصفحت كتاب مسائل الخلاف للشيخ الأوحى السعيد، والقذ في دهره، الفريد أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وجدته قد عول في أكثر مسائله على الاستدلال بإجماع الفرقة المحقة، إذ هو المرجوع إليه المعتمد عليه، المذكور وجه الاستدلال به في كتب أصول الفقه.

ثم إن كان في المسألة خلاف بين الطائفة أوماً إليه، وما لم يكن فيه إجماع أشار إلى طريق آخر في الاستدلال عليه من ظاهر قرآن، أو سنة مقطوع بها، أو دليل خطاب [أو استصحاب حال - على ما يذهب إليه كثير من أصحابنا - أو دلالة أصل أو فحوى من خطاب].

وذكر في بعض مواضع أخباراً من كتب العامة يلزمهم الانقياد لها والعمل بها، فرأيت تكرار ذكر إجماع الفرقة مما لا طائل فيه سوى إطالة الكتاب، فأثبت رؤوس المسائل والخلاف فيها على أوجز الوجوه، فكل مسألة عول فيها على إجماع الفرقة لم أذكر استدلاله إلا إذا اقترن بذلك الإجماع، شيء سواه مما أريد ذكره فأذكره، وإياه، وإن لم يكن في المسألة إجماع للفرقة أشرت إلى ما ذكره من الأدلة أو بعضها وأسقطت من بعض مودعات أدلته ما لم أجد فيه كثير فائدة أو يكون معاداً

ليس في إعادته مزيد عائدة.^(١)

ثم إن الشيخ الطوسي أسمى كتابه باسم «الخلاف» ولكن الإمام الطبرسي خص ذلك الكتاب على النحو الذي مرّ وأسماه بـ «المؤتلف من المختلف» وهذه التسمية تعرب عن سعة صدره وإبتعاده عن العصبية المذهبية، وأن المسلمين أرباب دين واحد وكتاب واحد وأصول واحدة، وإنما اختلفوا فيما روي عن الرسول لا في نفس الرسول، فيمكن أن ينتهي الخصام إلى الائتلاف، وذلك من خلال تأسيس مؤتمرات فقهية أو مجالس تشريعية يطرح فيها المختلفات وتدارس براهينها وما يؤيده البرهان هو المتبع سواء أوافق مذهب إمام أو لا.

آثاره العلمية

إنّ لشيخنا المترجم وراء هذه التفاسير آثاراً ثمينة لها قيمتها العلمية نشير إلى بعضها وإن عبثت بها يدُ التاريخ فلم يبق منها عين ولا أثر.

١. تاج الموالييد.
٢. غنية العابد.
٣. التور المبين.
٤. العمدة في أصول الدين.
٥. الفرائض والنوافل.
٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل.
٧. عدّة السفر وعمدة الحضر.
٨. كنوز النجاح.

١. المؤتلف من المختلف: ١/٣-٤.

٩. الكاف الشاف عن كتاب الكشاف.

إلى غير ذلك من الآثار والمؤلفات التي نسبت إليه في المعاجم.

جامعية مجمع البيان

إن تفسير «مجمع البيان» كتاب جامع لعلوم القرآن، إذ هو ينقل أكثر الآراء أو جميعها في تفسير الآيات بصدر رحب ثم يؤيد ما اختاره، وهذا يدل على أنه كان محيطاً بآراء المفسرين من القدامى والجدد فجمعها ونقلها وبذلك أغنى الباحث عن كثير من التفاسير، ومع ذلك كله ففيه مزايأ أخرى ظاهرة نشير إلى بعضها:

١. في غضون ذلك الكتاب مباحث كلامية طرحها المؤلف حسب اقتضاء الآيات، فلو قام المحقق الكلامي العارف بأسلوب هذه المباحث، بجمعها وترصيفها وتنظيمها لخرج بكتاب كلامي باهر في مختلف الأبواب. وسيوافيك نماذج من آرائه الكلامية في آخر الرسالة.

كما يمكن إجراء ذلك العمل في كتاب «مفاتيح الغيب» لفخر الدين الرازي (٥٤٣-٦٠٨هـ) ففيه مباحث كلامية هامة لمختلف الفرق، فلو انتزعت تلك المباحث بشكل علمي لأصبح كتاباً كلامياً جامعاً بين الأقوال.

وفي تفسير الرازي مزية أخرى، وهو أنه كثيراً ما أيد مذهب أئمة أهل البيت في الفروع والأصول، وأقام براهين قيمة على مختارهم وإن عدل عنها بوجوه واهية - أو سياسية - فانتزاع هذه المباحث من هذا التفسير يوقفنا على موقف الرازي من اتباع الحق ودعمه.

٢. إن أبا علي الجبائي ألف كتاباً باسم «حجة القراءات» والشيخ الطبرسي

قد نقل من ذلك الكتاب عند البحث عن وجوه القراءات، ولعل ذلك الكتاب بجملة موجود في غضون «مجمع البيان»، فلو انتزعت حجج القراءات من المجمع وأشرف عليه محقق بارع لانتهى إلى إحياء ذلك الكتاب المفقود.

٣. أن أول من دوّن سيرة النبي ﷺ هو العالم الشيعي الكبير محمد بن إسحاق (المتوفى عام ١٥١ هـ) واستخرج تفاصيل الوقائع الإسلامية من كتب الماضين، ومن ثنايا رواياتهم ومنقولاتهم واشتهر بسيرة ابن إسحاق، وهي التي تخصها ابن هشام (المتوفى ٢١٨ هـ) وعرفت بالسيرة النبوية.

وقد فقدت سيرة ابن إسحاق، ومع الفحص الأكيد الذي بذله المحققون حول العثور على ذلك الكتر لم يقفوا على نسخة كاملة، غير أنّ الإمام الطبرسي قد نشر كل ما في هذا الكتاب مما يمت إلى المغازي على صفحات كتابه، فللباحث أن يستخرج ما يمت إلى المغازي من سيرة ابن إسحاق من ذلك الكتاب، وبذلك يُعاد الكتاب إلى الساحة ويُعلم المقدار المحذوف منه في سيرة ابن هشام.

تضلعه في التاريخ والقصص

إنّ من سبر كتاب «مجمع البيان» يقف على أنّ المؤلف يذكر قصص الأنبياء ومغازي النبي ﷺ على وجه يناسب كتابه، وهو يعرب عن إلمامه بالتاريخ، ويشهد على ذلك كتابه القيم «إعلام الوري بأعلام الهدى» عرض فيه مؤلفه فضائل وحياة أهل بيت العصمة والطهارة بشكل بديع، رتب كتابه على أربعة أركان، تنفرع منها أبواب وفصول متعدّدة، تناول فيها التفصيل من خلال استعراض حياة المعصوم ﷺ مجمل ما يختص بالتاريخ المتصل به والمعاصر له.

خصّص الركن الأول من كتابه لسيرة رسول الله ﷺ والأحداث الكبرى التي زاملت عصر الرسالة الأولى، وبترتيب وتنسيق دقيقين، تتبّع من خلال ذلك،

معظم الجوانب المتصلة بحياة الرسول ﷺ والقضايا التي ترتبط ارتباطاً عضوياً بالعميقة الإسلامية المباركة، ومنها تأكيدات رسول الله ﷺ وتوجيهاته للأمة بوجود التمسك بأهل بيته المعصومين ﷺ باعتبارهم قرناء القرآن، والأمناء على الرسالة من بعده.

وأما الركن الثاني من الكتاب فقد خصصه لوصي رسول الله ﷺ وخليفته من بعده علي بن أبي طالب ﷺ بين فيه مجمل جوانب حياته المباركة، ودوره المنير في حياة رسول الله ﷺ وبعده، والمحن والفتن التي لازمته حتى استشهاده.

وخصص المؤلف ﷺ الركن الثالث من الكتاب لباقي الأئمة المعصومين ﷺ حتى الإمام الحسن العسكري ﷺ من خلال أبواب وفصول متعددة.

وكان نصيب الإمام المهدي الركن الرابع والأخير من الكتاب حيث تناول معظم الأخبار والروايات المتصلة به، مستوفياً من خلال ذلك، الظروف والأحداث التي عاصرها أبان حضوره الظاهري، متقللاً منها إلى ما رافق غيبته الصغرى والكبرى، وما يتصل بها، والأحداث والوقائع التي ستصاحب ظهوره المنتظر^(١).

بين إعلام الوري وريبع الشيعة

من غريب الأمر أن كتاباً واحداً سُمي باسمين ونسب إلى شخصين، وما هذا إلا كتاب «إعلام الوري» الذي هو من مؤلفات الطبرسي، فقد نسب إلى السيد ابن طاووس وسُمي باسم «ريبع الشيعة»، فالكتابان يختلفان اسماً

ويتحدان من البداية إلى النهاية.

ولذلك نرى أنّ العلامة المجلسي توقّف عن النقل عن كتاب ربيع الشيعة، قال: وتركنا منها - من كتب ابن طاووس - كتاب ربيع الشيعة لموافقته لكتاب «إعلام الوري» في جميع الأبواب والترتيب، وهذا ما يقضى منه العجب!!^(١)

وقال الكاظمي في تكملته: وقد وقفت على «إعلام الوري» للطبرسي و «ربيع الشيعة» لابن طاووس وتتبعتهما من أولهما إلى آخرهما فوجدتهما واحداً من غير زيادة ونقصان، ولا تقديم ولا تأخير أبداً إلّا الخطبة.^(٢)

إنّ انتساب الكتاب إلى الطبرسي أمر قطعي لا ستره عليه، فلا بدّ من تبيين وجه انتسابه إلى السيد ابن طاووس.

وقد نخلص شيخنا المجيز من هذه المشكلة بأنّ للنسخ دوراً في المقام فقال ما هذا نصّه:

أقول: الممارس لبيانات السيد ابن طاووس لا يرتاب في أنّ «ربيع الشيعة» ليس له والمراجع له لا يشكّ في اتّحاده مع «إعلام الوري» للطبرسي، وقد احتمل بعض المشايخ كون منشأ هذه الشبهة أنّ السيد ابن طاووس حين شرع في أن يقرأ على السامعين كتاب إعلام الوري هذا حمد الله، وأثنى عليه وصلّى على النبي وآله صلوات الله عليهم على ما هو ديدنه، ثمّ مدح الكتاب وأثنى عليه بقوله: «إنّ هذا الكتاب ربيع الشيعة» والسامع كتب على ما هو ديدنه هكذا يقول الإمام - و ذكر ألقابه واسمه إلى قوله: أنّ هذا الكتاب ربيع الشيعة» ثمّ كتب كلّما سمعه

١. بحار الأنوار: ١١/ ٣٠.

٢. تكملة الرجال: ١١/ ١.

عنه من الكتاب إلى آخره، فظنّ من رأى النسخة بعد ذلك أن «ربيع الشيعة» اسمه وأن مؤلفه هو السيد ابن طاووس. (١)

وحكى شيخنا في خاتمة المستدرك احتمالاً آخر عن بعض مشايخه، وهو أنّ السيد وجد «إعلام الورى» ناقصاً من أوله، فاستحسنه وكتبه بخطه من غير اطلاع له على اسمه أو اسم مؤلفه، فكتب عليه مدحاً له أنّ هذا الكتاب ربيع الشيعة، ولما وجد بعده بخطه فظنّ أنّه تأليفه وأنه سماه بربيع الشيعة، كما وقع نظير ذلك في «نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر» حيث استحسنه يحيى بن سعيد و استنسخه بخطه وأسقط منه الخطبة الطويلة لخلوها عن الفائدة، فلما وجد بعده بخطه في كتبه ظنّ أنّه تأليفه ونسب إليه.

مشايخه وتلامذته

تلمذ الإمام الطبرسي على لفيف من العلماء، وقد استقصى ذكرهم السيد محسن الأمين في «أعيان الشيعة»، منهم:

١. أبو علي بن شيخ الطائفة الطوسي.
٢. أبو الوفاء عبد الجبار بن علي المقرئ الرازي عن الشيخ الطوسي.
٣. الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي، جدّ منتجب الدين صاحب الفهرست.
٤. الإمام موفق الدين بن الفتح الواعظ البكر آبادي عن أبي علي الطوسي.
٥. أبو طالب محمد بن الحسين الحسيني القصبني الجرجاني.

٦. أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري.
 ٧. أبو الحسن عبيد الله محمد بن الحسين البيهقي.
 ٨. الشيخ جعفر الدورستاني.
- وأما تلامذته فقد روى عنه جملة من العلماء الأعلام منهم:
١. ولده رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل صاحب كتاب مكارم الأخلاق.

٢. منتجب الدين صاحب الفهرست.
 ٣. أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب صاحب المناقب.
 ٤. القطب الراوندي.
 ٥. السيد فضل الله الراوندي.
 ٦. عبد الله بن جعفر الدورستاني.
 ٧. شاذان بن جبرئيل القمي.
 ٨. مهدي بن نزار القاثيني.
 ٩. شرفشاه بن محمد بن زيادة الافطسي.
- وغيرهم ممن عُرفوا بكونهم من تلامذته أو ممن عدّوه من شيوخهم.^(١)

كلمات العلماء في حقّه

هذه هي السيرة الذاتية للإمام الطبرسي، ومع الإحاطة بها، فنحن في غنى

عن نقل كلمات الأعظم في حقّه، فأثكّ لمست منزلة الشيخ ومكانته عن كُتب، وبالتالي نحن في غنى عن مدح وإطراء الآخرين له، ومع ذلك فلاجل أن لايرمينا القارئ بالغفلة عن هذا الجانب، نأتي ببعض كلمات الأعلام.

قال الشيخ متجب الدين تلميذه والراوي عنه في فهرسته: ثقة، فاضل، دين، عين. (١)

وقال الحرّ العاملي في «أمل الأمل»: الشيخ الإمام أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ثقة، فاضل، دين، عين، له تصانيف وذكر جملة منها. (٢)

وقال السيد التفرشي: فاضل، دين، عين، من أجلاء هذه الطائفة، له تصانيف حسنة. (٣)

وقال صاحب المقابس: الشيخ الأجل الأوحد، والأكمل الأسعد، قدوة المفسرين وعمدة الفضلاء المتبحرين: أمين الدين أبي علي. (٤)

وقال الخوانساري في روضاته: الشيخ الشهيد السعيد، الحبر الفقيه الفريد، الفاضل العالم المفسر المحدث الجليل، الثقة الكامل، النبيل الفاضل. (٥)

وقال السيد الأمين في أعيانه: إن فضل الرجل وجلالته وتبحره في العلوم ووثاقته أمر غني عن البيان. (٦)

وقال الزركلي في أعلامه: وإنه مفسر، محقق، لغوي، من أجلاء الإمامية. (٧)

٢. أمل الأمل: ٢/٢١٦، برقم ٦٥٠.

٤. مقابس الأنوار: ١٠.

٦. أعيان الشيعة: ٨/٣٩٨.

١. فهرست متجب الدين برقم ٣٣٦.

٣. نقد الرجال: ٢٢٦.

٥. روضات الجنات: ٥/٣٥٧ برقم ٥٤٤.

٧. الأعلام: ٥/٤٨.

وقال عمر رضا كحالة: بأنه مفسر مشارك في بعض العلوم، ثم أشار إلى جملة من آثاره.^(١)

إلى غير ذلك من الكلمات والإطراءات التي جاءت في المعاجم وفي مقدمة الطبعة اللبنانية والمصرية لمجمع البيان.

حديث الجري والتطبيق في «مجمع البيان»

إن القرآن الكريم معجزة خالدة يشق طريقه للأجيال بمفاهيمه ومعانيه السامية، فهو حجة إلهية في كل عصر وجيل في عامة الحوادث المختلفة صوراً والمتحدة مادة، ومع ذلك نرى أن لفيماً من الأحاديث تذكر نزول قسم كبير من الآيات في حق أئمة أهل البيت عليهم السلام، وبذلك يتجلى في نظر بعض السُّدج أن القرآن لدى الشيعة الإمامية كتاب طاهي، حتى أن الكاتب الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية» يقترح على علماء الشيعة أن يتفحوا تفاسيرهم لكتاب الله من تلك الروايات ويقول: أولها تفسير علي بن إبراهيم القمي الذي جعل من القرآن كتاباً حزبياً كأنه نزل للشيعة وحدهم.^(٢)

ولكن الكاتب كـبعض أسلافه خلطوا بين تطبيق الآية على أوضح مصاديقها وبين نزولها في حق واحد من أئمة أهل البيت، فإن أكثر ما ورد في ذلك من قبيل التطبيق لا أنها نزلت في حق شخص خاص، وإن كانت هناك آيات نزلت في حق الإمام علي عليه السلام بالخصوص، ومع ذلك فأكثر ما يترأى فيها الفكر

١. معجم المؤلفين: ٦٦/٨.

٢. نظرية الإمامة: ٥٠٥.

الطائفي من باب الجري والتطبيق، وهذا هو الذي عالج به شيخنا الإمام المفسر ذلك الجانب في مجال التفسير، نذكر منها نموذجاً:

يقول في تفسير قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾.

وقيل في الصراط المستقيم وجوه:

أحدها: أنه كتاب الله، وهو المروي عن النبي ﷺ وعن علي عليه السلام وابن

مسعود.

وثانيها: أنه الإسلام، وهو المروي عن جابر و ابن عباس.

وثالثها: أنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره، عن محمد بن الحنفية.

والرابع: أنه النبي ﷺ والأئمة القائمون مقامه، وهو المروي في أخبارنا.

والأولى حمل الآية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه، لأن الصراط

المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل، وولاية من أوجب الله طاعته.^(١)

وقد سلك هذا المنهج بعد الإمام الطبرسي، المفسر الكبير العلامة

الطباطبائي في تفسير «الميزان» فإنه حمل أكثر هذه الروايات على الجري والتطبيق،

كيف وهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك

الرجل ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن

مضى».^(٢)

وهذا النوع من التطبيق يسمّى التأويل في مقابل التنزيل، ولأجل أن نرى

نموذجاً من هذا النوع من التأويل نذكر ما يلي:

نص القرآن الكريم بأن النبي ﷺ بشخصه منذر كما نصّ بأن لكل قوم

هاد، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١)، وقد قام النبي بتعيين مصداق الهادي في حديثه، وقال: «أنا المنذر وعلي الهادي إلى أمري» ولكن المصداق لا ينحصر بعلي، بل الهداة الذين تواردوا عبر الزمان هم المصداق لآية المباركة، ولذلك نرى أن الإمام الباقر عليه السلام يقول: «رسول الله المنذر، وعلي الهادي، وكل إمام هاد للقرن الذي هو فيه»^(٢).

وفاته

عاش المترجم بالمشهد الرضوي في خراسان مدة طويلة ثم انتقل إلى مدينة سبزوار من مدن خراسان سنة ٥٢٣هـ وبها ألف كتابه هذا مجمع البيان وبها توفي سنة ٥٤٨هـ ثم نقل جثمانه إلى المشهد الرضوي حيث دفن، وقبره معروف بيزار.

يقول السيد حسين البروجردي مؤلف «نخبة المقال في معرفة علم الرجال»:

وفضل بن الحسن بن فضل
 أبو علي الطبرسي العسطل
 شيخ بن شهر آشوب عنه ينشر
 مفسر عام الوفاة «محشر»

فقوله «محشر» إشارة إلى عام وفاته فإنه بالحساب الأبجدي يكون ٥٤٨هـ.

بيت الطبرسي شجرة طيبة

إن بيت الطبرسي بيت عامر بالعلم والتقوى وإلا فلا غرو أن نقول إنه من

١. الرعد: ٧.

٢. نور الثقلين: ٢/ ٤٨٢ و ٤٨٥.

مصاديق قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْخُذُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(١).

فمفسرنا الكبير شجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين، وهكذا فروعها وأغصانها فقد ترك ذرية طيبة تعد نجومياً في سماء العلم نذكر منها ولده وحفيده، أعني بهما:
١. ولده البار الشيخ رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل مؤلف كتاب «مكارم الأخلاق» الذي طبع في إيران ومصر مراراً.

يعرفه شيخنا المجيز الطهراني بقوله: «مكارم الأخلاق» للشيخ أبي نصر رضي الدين الحسن بن الفضل بن الحسن الطبرسي وقد أخذ فيه عن الآداب الدينية لوالده المفسر وأورد فيه بعض ما في الآداب، رتبته على ١٢ باباً على أسلوب المحذّثين من الشيعة، أوله: «الحمد لله الواحد الأحد الصمد» ولولده علي تسميته الموسوم بـ «مشكاة الأنوار»^(٢).

٢. حفيده الشيخ أبو الفضل علي بن الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن أبي علي المفسر الطبرسي الملقب بـ «أمين الإسلام الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي» صاحب «مشكاة الأنوار» وهو مما يتقل عنه في البحار قال: وهو كتاب ظريف.^(٣)

قال الأفندي التبريزي: وكان رحمته وولده رضي الدين أبو نصر حسن بن الفضل صاحب «مكارم الأخلاق»، وسبطه^(٤)، علي بن الحسن صاحب «مشكاة الأنوار» وسائر سلسلته وأقرباؤه من أكابر العلماء، وعندني أنّ الشيخ أحمد بن علي

٢. الذريعة: ١٤٦/٢٢.

١. إبراهيم: ٢٤-٢٥.

٤. الصحيح «حفيده» لأنه ابن ابنه، لا ابن بنته.

٣. الذريعة: ٥٤/٢١.

بن أبي طالب الطبرسي صاحب الاحتجاج أيضاً من أقرائه.^(١)

ما نسب في حق الطبرسي من أوهام

ثم إنه نسب إلى الطبرسي أمور لم تثبت صحتها ، والمصدر له هو كتاب رياض العلماء للأفندي التبريزي نشير إليها:

١. أنه مات شهيداً

قال الأفندي التبريزي: قد رأيت نسخة من «مجمع البيان» بخط الشيخ قطب الدين الكيدري، وقد قرأها نفسه على الخواجه نصيرالدين الطوسي، ثم إن على ظهرها بخطه أيضاً هكذا: تأليف الشيخ الإمام الأجل السعيد الشهيد وهو صار شهيداً.^(٢)

وهذا مما لم نقف عليه في كتاب قبل تأليف الرياض، وقد توفي الأفندي حوالي عام ١٠٣٤هـ وتوفي صاحب مجمع البيان عام ٥٤٨هـ، وبينهما قرابة خمسة قرون، فلو كان المترجم له توفي شهيداً لبان وجاء ذكره في كتب التراجم.

نعم ذكره العلامة الأميني في كتاب «شهداء الفضيلة» من تلك الزمرة، وقال: صرح بشهادته في الروضات والرياض.^(٣)

٢. أنه قام من القبر حياً

ومن الأوهام التي حيكت حول حياة المؤلف ما ذكره الأفندي أيضاً وتبعه

٢. رياض العلماء: ٤/ ٣٤٤.

١. رياض العلماء: ٤/ ٣٤١.

٣. شهداء الفضيلة: ٤٦.

المحدث القمي في كتابه «الفوائد الرضوية»، حيث قال الأول: ومن عجيب الأمر بل من غريب كراماته - قدس الله روحه القدوسي - ما اشتهر بين الخاص والعام أنه ﷺ قد أصابته السكتة، فظنوا به الوفاة، فغسلوه وكفنوه ودفنوه ثم رجعوا، فأفاق في القبر وقد صار عاجزاً عن الخروج أو الاستعانة بأحد لخروجه، فنذر في تلك الحالة بأن الله إن خلّصه من هذه البلية ألف كتاباً في تفسير القرآن، فاتفق أنّ بعض النباشين قد قصد نبش قبره لأجل أخذ كفته، فلما نبش قبره وشرع في نزع كفته أخذ ﷺ بيد النباش، فتحير النباش وخاف خوفاً عظيماً، ثم تكلم ﷺ معه، فزاد اضطراب النباش وخوفه، فقال له: لا تخف أنا حيّ وقد أصابني السكتة فظنّوا بي الموت ولذلك دفنوني، ثم قام من قبره واطمأن قلب النباش، ولم يكن ﷺ قادراً على المشي لغاية ضعفه التمس من النباش أن يحمله على ظهره ويبلغه إلى بيته، فحمله وجاء به إلى بيته، ثم أعطاه الخلعة وأولاه مالاً جزيلاً، وأصاب النباش على يده ببركته عن فعله ذلك القبيح وحسن حال النباش، ثم إنه ﷺ بعد ذلك قد وفي بنذره وشرع في تأليف كتاب «مجمع البيان» إلى أن وفقه الله تعالى لإتمامه.^(١)

وفي هامش نسخة المؤلف التعليق التالي، وقد ينسب هذا إلى المولى فتح الله الكاشاني صاحب التفسير الكبير الفارسي وقبره بهمدان، وهذه الحكاية سمعت من أهالي همدان في حقّه.

أقول: إنّي لا أنكر صحّة الواقعة فإنّها أمر ممكن، وقد ينقل عن المرتاضين أمور أكثر عجباً من ذلك، ولكن المفسر الكبير لم يكن من

١. رياض العلماء: ٤/ ٣٥٧-٣٥٨. ولاحظ الفوائد الرضوية: ٣٥١، ولكنّه نقل عبارة شيخه في «مستدرک الوسائل» وهو يعرب عن تردده في صحّة المطلب.

المرتابين أولاً، ولو صحّت الواقعة كان عليه أن يذكرها في ديباجة كتابه ثانياً، إذ ليست الواقعة أمراً حقيراً حتى يمر عليها دون أن يذكرها بل كان على الآخرين أيضاً نقلها.

وأول من شكك في صحتها هو المحدث النوري (المتوفى ١٣٢٠هـ) فقال في مستدركه :

ومع هذا الاشتهار لم أجد لها في مؤلف أحد قبله، وربما نسب إلى العالم الجليل المولى فتح الله الكاشاني صاحب تفسير منهج الصادقين.^(١)

وقد نقل شيخنا المدرس الحياباني (١٢٩٤-١٣٧٣هـ) مؤلف «ريحانة الأدب» في كتابه هذا نظير هذه الواقعة في حق محمد هادي بن ملا صالح المازندراني.^(٢)

ولو كان الذهبي مؤلف «التفسير والمفسرون» واقفاً على أن بعض مشايخ الشيعة تلقوا الواقعة أمراً موهوماً لم يذكرها بطعن حيث قال : ومن العجيب أنهم يذكرون قصة في غاية الطرافة والغرابة في سبب تأليفه لتفسيره «مجمع البيان» الذي نحن بصدده فيقولون : ومن عجيب أمر هذا الطبرسي، بل من غريب كراماته وما اشتهر بين الخاص والعام أنه قد أصابته السكتة ... الخ.^(٣)

٣. أنه رأى موسى ﷺ في منامه

ذكر الأفتدي في ترجمته أنه من جملة مقاماته بعض مناماته الطريفة، وقد حكاها نفسه في كتابه «مجمع البيان» في تفسير سورة طه أو سورة ... الخ في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا تَلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى﴾^(٤) الآية، من رؤيته موسى كليم

٢. ريحانة الأدب: ٤/٣٧-٣٨.

٤. طه: ١٧.

١. خاتمة المستدرک: ٣/٧٠.

٣. التفسير والمفسرون: ٢/١٠٠.

الله تعالى و مباحثه صلوات الله عليه بحضرة النبي ﷺ في حال المنام، وشرح ذلك أنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام و كان معه موسى كليم الله، فسأل موسى رسول الله عن معنى قوله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».

وقال: كيف قلت: إن علماء أمتك مثل أنبياء بني إسرائيل مع علومهم وكثرة علومهم، وأبي العلماء أردت من قولك؟ فدخلت في تلك الحالة على رسول الله ﷺ فأشار إلى جانبي وقال: هذا واحد منهم. فلما سمع موسى ﷺ ذلك من رسول الله توجه إليّ وسألني.

فقال موسى: أنا سألتك عن فلان وأجبت بفلان وأطلت في الكلام، فقلت في جواب موسى ﷺ: إن الله تعالى قد سألك عن عصاك بقوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ فلاي سبب أطلت في جوابه تعالى و قلت: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ وكان أن يكفيك أن تقول في جوابه عز من قائل «هي عصاي».

فقال موسى ﷺ في جوابه: نعم ما قلت، ثم تلتطف بي و قال: صدق رسول الله في قوله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل».^(١)

هذا وليس ما بأيدينا من نسخ المجمع، أثر من هذا المقال.^(٢)

١. رياض العلماء: ٤/٣٥٨-٣٥٩.

٢. فقد راجعنا إلى هذه الطبقات التالية:

١. الطبعة الحجرية المطبوعة بإيران عام ١٢٨٢هـ.

٢. طبعة صيدا، المطبوعة فيها عام ١٣٥٤هـ.

٣. الطبعة الإسلامية بطهران، عام ١٣٨٠هـ.

٤. طبعة مصر، عام ١٣٩٤هـ.

٥. طبعة دار المعرفة بيروت ١٤٠٦هـ.

و لم أتوفق لمراجعة النسخ الخطية في المكتبات.

بعض الآراء الكلامية

للشيخ الطبرسي

يُعدّ الشيخ الطبرسي في الرعيّل الأوّل من مفسّري القرآن العظيم و في الوقت نفسه، هو إمام مقدام في حقل الكلام والعقائد والمعارف فتفسيره هذا بحر عظيم يغترف منه كلّ من حاول تفسير الذكر الحكيم والمعارف التي جاء بها القرآن العظيم بثنايا آياته في مختلف سوره، فها نحن نذكر في هذا الفصل شيئاً من آرائه ونظرياته، ليكون كنموذج لما لم نذكر. وربما يقال: إنّ الموضوعات الكلامية في مجمع البيان يناهز ٣٣٥ موضوعاً، وقد بحث عنها المؤلف، إسهاباً تارة، وإيجازاً أُخرى.

وقد أُشير إلى كثير من هذه الموضوعات في المجموعة التي نشرناها في الجزء الأوّل من مجلة علم الكلام، وقد قام بتدوين هذه المجموعة لفيف من طلاب مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام في قسم علم الكلام، شكر الله مساعيهم.

١

الجهاد العلمي جهاد أكبر

يعتقد شيخنا الطبرسي بأن الجهاد العلمي جهاد أكبر، لأنه جهاد في طريق مقارعة المبطلين ودفن شبه الأعداء، يقول في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾^(١).

وفي هذا دلالة على أن من أجل الجهاد وأعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حل شبه المبطلين وأعداء الدين، ويمكن أن يتأول عليه قوله: رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر^(٢).

٢

رفض التقليد في أصول الدين

الإسلام عقيدة وشريعة، فالمطلوب في الأول الاعتقاد الجازم، كما أن المطلوب في الثاني هو العمل بالأحكام، ولما كانت الأصول أساساً للشريعة دعا القرآن الكريم إلى تحصيل العلم ورفض التقليد فيها، ولذلك كثيراً ما ترى أنه يتدّد

١. الفرقان: ٥٢.

٢. مجمع البيان: ٧/٢٧٣، دار المعرفة، بيروت.

بالمشركين في تقليدهم للأباء في عبادة الأصنام، وقد استناد شيخنا الطبرسي لزوم
تحصيل العلم في الأصول والمعارف من آيات كثيرة ربما لا تتمكن من إيراد جميعها
وما قاله حولها، بل تقتصر على ما يلي:

يقول في تفسير قوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(١): أي لكي
توقنوا بالبعث والنشور وتعلموا أنّ القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد
الموت، وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان
التقليد، ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى.^(٢)

وقال عند تفسير قوله: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾^(٣) أي هلا يأتون
على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة، وفي هذا ذم وزجر للتقليد وإشارة إلى أنه لا
يجوز أن يقبل دين إلا بحجة واضحة.^(٤)

وقال عند تفسير قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٥).

وفي هذا دلالة على فساد التقليد، لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم،
والبرهان هو الدليل المؤدي إلى العلم.^(٦)

١. الرعد: ٢.

٢. مجمع البيان: ٦/ ٤٢١.

٣. الكهف: ١٥.

٤. مجمع البيان: ٦/ ٧٠٠.

٥. الأنبياء: ٢٤.

٦. مجمع البيان: ٧/ ٧١.

ضرورة معرفة الله

تعّد معرفة الله سبحانه من أمّهات المسائل الكلامية، التي حازت مساحة شاسعة من الأبحاث الكلامية، واستقطبت اهتمام كبار العلماء والمفكرين لا ستمّا شيخنا الطبرسي حيث قال عند تفسير قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

وفي هذه الآية دلالة على أنّ المعارف غير ضرورية، إذ لو كانت كذلك لما صحّت الحاجة في إثبات الصانع، وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجاج^(٢).

وقال أيضاً عند قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

وفي هذه الآية دلالة أيضاً على وجوب المعرفة وأنها ليست بضرورية على ما قاله أصحاب المعارف، فأنّه سبحانه يبيّن الحجاج عليهم فيها ليعرفوا صحّة ما

١. البقرة: ٢٥٨.

٢. مجمع البيان: ٢/٦٣٦.

٣. المائدة: ١٠٣.

دعاهم الرسول إليه، ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلّدين لأبائهم، ونفى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معاً، لأنّ بينهما فرقاً، فإنّ الاهتداء لا يكون إلا عن حجة وبيان، والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة.^(١)

٤

برهان التمانع

وحاصله: أنّ وحدة النظام وانسجابه وتلاحمه لا تتحقّق إلا إذا كان الكون بأجمعه تحت نظر حاكم ومدبّر واحد، ولو خضع الكون لإدارة مدبّرين لما كان من النظام الموحد أي أثر، لأنّ تعدّد المدبّر والمنظم بحكم اختلافهما في الذات أو في المصنّفات والمشخصات يستلزم بالضرورة الاختلاف في التدبير والإدارة، ويستلزم تعدّد التدبير فناء النظام الموحد وغيابه.

وبعبارة أخرى: إنّ المدبّرين إن كانوا متساويين من كلّ الجهات لم يكن هنا اثنية في المدبّر، وإن لم يكونا متساويين بل كان هناك اختلاف بينهما في الذات أو في عوارضها، فالاختلاف فيها يؤثر اختلافاً في التدبير وهو خلاف الحس.

وقد استفاد من هذا البرهان شيخنا المفسّر حينما قسّر قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢) وقال في تقرير ذلك:

وهذا هو دليل التمانع الذي بنى عليه المتكلّمون مسألة التوحيد. وتقرير ذلك: أنّه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين، والقدم من أخصّ

١. مجمع البيان / ٣ / ٣٩١.

٢. الأنبياء: ٢٢.

الصفات، فالاشتراك فيه يوجب التماثل، فيجب أن يكونا قادرين عاملين حيين، ومن حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مريداً لخصم ما يريد الآخر من إمامة وإحياء، أو تحريك وتسكين، أو إفقار وإغناء، ونحو ذلك.

فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما، وذلك محال؛ وإما أن لا يحصل مرادهما، فينتقض كونها قادرين؛ وإما أن يقع مراد أحدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادراً، فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلّا واحداً.^(١)

وما قرره وإن كان رائعاً، غير أننا نقوم بإيضاحه بوجه آخر ونقول هنا سؤال

وإجابة:

السؤال

إن الأرباب المفروضين وإن كانوا متكثري الذوات ومتغايرها، ويؤدى ذلك بالطبع إلى اختلاف الأفعال وتدافعها، لكن من الممكن أن يتواطؤوا على التسالم وهم عقلاء، ويتوافقوا على التلاؤم رعاية لمصلحة النظام الواحد وتحفظاً على بقائه. هذا هو الإشكال.

الجواب

وأما الإجابة فبوجود الفرق الواضح بين العقلاء والأرباب المفروضين، فإن عمل العقلاء مبني على علومهم، وليست هي إلا قوانين كلية مأخوذة من النظام الخارجي الجاري في العالم. فللنظام الخارجي نوع تقدم على تلك الصور العلمية وهي تابعة لنفس النظام الخارجي، فعند ذلك يتصالح العقلاء المتنازعون حسب

ما تنكشف لهم المصلحة، فيأخذون بالطريق الوسط الذي تجتمع فيه مصالحهم وأغراضهم وغاياتهم. هذا هو حكم العقلاء المتنازعين أولاً فالمتنازلين ثانياً حسب تطابق أعمالهم على النظام السائد.

وأما الأرباب المفروضون فالأمر فيهم على العكس، لأن الكيفية الخارجية تتبع علمهم، لما عرفت من أن التدبير ليس منفكاً عن الخلق والإيجاد، وليس شأنهم شأن مُدراء الدوائر والمنشآت حيث إن شأنهم التبعية للسنن السائدة فيها كما عرفت، فإن تدبير الآلهة تدبير تكويني ينشأ عن الخلق والإيجاد ولو بقاء لا حدوثاً، فعند ذلك يكون الخارج تابعاً لعلمهم لا أنهم يتبعون الخارج والسنن الموجودة فيه. وعلى ضوء ذلك فلا معنى للتوافق في التدبير.

وباختصار هناك فرق بين تدبير خال عن الإيجاد والخلق كرتيسين بالنسبة إلى مرؤوسيهما، فيمكن تصالحهما على كيفية الاستفادة منها، وبين تدبير ملازم للخلق والإيجاد وإدامة الحياة واستمرار الوجود، فالرئيس في الأول يقتضي السنن السائدة والرئيس في الثاني يوجد السنن ويبدعها. ^(١)

٥

برهان النظم

إن برهان النظم من أوضح البراهين على أن العالم مخلوق خالق عالم حكيم عارف بسنن الحياة وانسجام النظام وبقائه، وقد استخدمه القرآن الكريم في غير واحد من آياته على أن العالم له صانع قدير عليم، يقول الطبرسي في تفسير قوله

١. لاحظ الإلهيات: ٢/ ٦٦-٦٧.

سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)

قال ﷺ في تفسير البرهان: وجه الدلالة في خلق السماوات والأرض أن وجودهما متضمن بأعراض حادثه، وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله، والمحدث لا بد له من محدث يحدثه، وموجد يوجده، فدل وجودهما وحدوثهما على أن لهما محدثاً قادراً، ودل إبداعهما بما فيهما من البدائع والأمور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على أن مُبدِعَهما عالم، لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم، كما أن الإيجاد لا يصح إلا من قادر، ودل ذلك أيضاً على أن صانعهما قديم لم يزل، لأنه لو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث فيؤدّي إلى التسلسل، ووجه الدلالة في تعاقب الليل والنهار أن في ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه، ونقصان كل واحد منهما عن الآخر في حال زيادته عليه في حال، وازدياد أحدهما بقدر نقصان الآخر، دلالة ظاهرة على أن لهما صانعاً قادراً حكماً لا يدركه عجز ولا يلحقه سهو.^(٢)

٦

امتناع رؤية الله

في الدنيا والآخرة

اتفق المسلمون على امتناع رؤية الله في الدنيا غير أن الأشاعرة تبعاً لأهل الحديث جوزوا رؤيته سبحانه في الآخرة متمسكين بقوله سبحانه: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ

ناظِرَةٌ * إلى ربِّها ناظِرَةٌ^(١)، وقد أوضحنا دلالة الآية على أنها لا تدلّ على الرؤية حتى ولو قلنا إنّ النظر بمعنى الرؤية، لأنّه سبحانه ينسب النظر إلى الوجوه لا العيون، ويقول: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ ناظِرَةٌ﴾، فمن أراد الوقوف على تفصيله فليرجع إلى كتابنا الإلهيات.^(٢)

غير أنّ شيخنا الطبرسي استدلّ على امتناع الرؤية بالدليل العقلي وقال:
قوله سبحانه: ﴿إلى ربِّها ناظرة﴾ اختلف فيه على وجهين:
أحدهما: أنّ معناه نظر العين.

الثاني: أنّه الانتظار.

واختلف من حمّله على نظر العين على قولين:

١. المراد النظر إلى ثواب ربِّها ونعيم الجنة.

٢. النظر بمعنى الرؤية، والمعنى تنظر إلى الله معاينة. ثم أخذ في ردّ

الاحتمال بقوله:

وهذا لا يجوز، لأنّ كلّ منظور إليه بالعين، مشار إليه بالحدقة واللحاظ، والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين، كما يجلّ سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع، وأيضاً فإنّ الرؤية بالحاسة لاتمّ إلا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك، بالاتفاق، وأيضاً فإنّ رؤية الحاسة لا تتمّ إلا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزّه عن اتصال الشعاع به على أنّ النظر لا يفيد الرؤية في اللغة، فأنّه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤية كما أنّه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفة، بدلالة قولهم: نظرت إلى الهلال فلم أراه، فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً، وقولهم: ما

١. القيامة: ٢٢-٢٣.

٢. الإلهيات: ٢/١٣٣.

زلت أنظر إليه حتى رأيت، والشيء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال: ما زلت أراه حتى رأيت، ولأننا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة، ولا نعلمه رانياً بالضرورة بدلالة أنا نسأله هل رأيت أم لا؟^(١)

٧

الله عادل

اتفق المسلمون على أنه سبحانه عادل واختلفوا في معنى العدل، فقالت الإمامية والمعتزلة: إن العقل الحصيف يدرك معنى العدل والظلم والحسن والقيح، فهو سبحانه بحكم كونه حكماً يفعل ما هو الحسن عند العقل ويترك ما هو القبيح عنده والعدل حسن والظلم قبيح.

وقالت الأشاعرة: إنه سبحانه عادل بمعنى أن كل ما يفعله فهو عدل، فلو عذب الطائع فهو عدل، لأن العالم ملكه والمالك مختار في التصرف فيما يملك. وهذا صار سبباً لانقسام المتكلمين إلى عدلية وغير عدلية، وقد أوضحنا مقالة العدلية في محاضراتنا.^(٢)

وقد استدل شيخنا الطبرسي على نفي الظلم عن ساحتها سبحانه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضِئْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣).

١. مجمع البيان: ١٠/٦٠١.

٢. الإلهيات: ٢/٢٥٣.

٣. النساء: ٤٠.

فقال: وإنما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم، لأنه عالم بقبحه، مستغن عنه وعالم بغناته عنه؛ وإنما يختار القبيح من يختاره لجهله بقبحه، أو لحاجته إليه لدفع ضرر أو لجرّ نفع، أو لجهله باستغنائه عنه، والله سبحانه منزّه عن جميع ذلك وعن سائر صفات النقص والعجز، ولم يذكر سبحانه الذرة ليقرر الحكم عليها، بل إنما خصّها بالذكر لأنها أقلّ شيء مما يدخل في وهم البشر^(١)

٨

القرآن محدث

لقد أحدثت فكرة حدوث القرآن وقدمه في عصر المأمون العباسي جدالاً واسعاً، وانقسم المحدثون والعلماء إلى طائفتين. فأهل الحديث وتبعهم الأشاعرة إلى أنّ القرآن قديم، والعدلية إلى أنّ القرآن حادث. ومن عجيب الأمر أنّهم لم ينقحوا موضع النزاع وما هو المراد من القرآن الذي حكم عليه بالقدم أو الحدوث؟ فإن أرادوا به علم الله سبحانه، فلا شكّ أنّه قديم لا يختلف فيه اثنان؛ وإن أرادوا به ألفاظه وقسطاً وافراً من معانيه، فلا شكّ أنّها محدثة لكون الألفاظ والوضع حادث.

إنّ أهل الحديث والأشاعرة جعلوا الله نداً من خلال تبنيهم قدم القرآن، فلو قالت النصراني بالأقانيم والقدماء الثلاثة فإنّ أهل الحديث حسب ظواهر كلماتهم ذهبوا إلى تعدّد القدماء حسب تعدّد نسخ القرآن.

ولما وقف الإمام الأشعري على مضاعفات القول بقدوم القرآن عدل عن القول بحدوث القرآن الملفوظ، وقال بأن القديم هو الكلام النفسي، وهذا الكلام على إجماله أثار ضجة كبيرة في الأوساط العلمية وزاد الطين بلة وأكثر الجدل واللغط حول حقيقة الكلام النفسي.

نعم عدّ من الألغاز كسب الأشعري وحال البهشمي، وطفرة النظام حتى قال قائلهم:

تَمَّ يَقَالُ وَلَا حَقِيقَةَ عِنْدَ مَعْقُولَةٌ تَدْنُوا إِلَى الْأَفْهَامِ
الْكَسْبُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ، وَالْحَالُ عِنْدَ الْبَهْشَمِيِّ، وَطَفْرَةُ النِّظَامِ

وكان على القائل أن يضيف إلى الثلاثة الكلام النفسي الذي أبداه الإمام الأشعري حفظاً لعقائد أهل السنة وفراراً عن مضاعفات القول بقدوم القرآن الملفوظ!!

وعلى كل تقدير يستدل شيخنا الطبرسي بالآية التالية على أن القرآن محدث، فقال عند تفسير قوله: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

فقال: وفي هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث وأنه غير الله تعالى، لأن القديم لا يصح نسخه، ولأنه أثبت له مثلاً والله سبحانه قادر عليه، وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل، والفعل لا يكون إلا محدثاً.^(٢)

١. البقرة: ١٠٦.

٢. مجمع البيان: ١/٣٤٩.

الأنبياء أفضل من الملائكة

إنّ الرأي السائد بين المتكلمين هو أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة، غير أنّ هناك من ذهب إلى أفضلية الملائكة على الأنبياء، مستدلاً بقوله سبحانه: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١).

قال شيخنا الطبرسي: واستدلّ بهذه الآية من قال بأنّ الملائكة أفضل من الأنبياء، قالوا: إنّ تأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم، لأنّ العادة لم تجر بأن يقال لن يستنكف الأمير بأن يفعل كذا ولا الحارس، بل يقدّم الأدون ويؤخّر الأعظم، فيقال: لن يستنكف الوزير أن يفعل كذا ولا السلطان، وهذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء.

وأجاب أصحابنا عن ذلك بأن قالوا إنّها آخر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأنّ جميع الملائكة أفضل وأكثر ثواباً من المسيح، وهذا لا يقتضي أن يكون كلّ واحد منهم أفضل من المسيح، وإنّما الخلاف في ذلك، وأيضاً فإننا وإن ذهبنا إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة فإننا نقول: مع قولنا بالتفاوت أنّه لا تفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة، ومع التقارب والتداني يحسن أن يقدّم ذكر الأفضل، ألا ترى أنّه يحسن أن يقال ما يستنكف الأمير فلان من كذا، ولا الأمير فلان، إذا كانا متساويين في المنزلة أو متقاربين، وإنّما لا يحسن أن يقال ما يستنكف الأمير

فلان من كذا ولا الحارس، لأجل التفاوت. (١)

واستدل عليه أيضاً على أفضلية الأنبياء بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾. (٢)

فقال: وفي هذه الآية دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث إنهم أمرهم بالسجود لآدم، وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم، وإذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل، علمنا أنه أفضل من الملائكة. (٣)

١٠

الأنبياء لا يجوز لهم التقية

إن التقية من المفاهيم السامية في الإسلام، ولها حدود وضوابط، ورتباً تكون التقية حراماً إذا صارت ذريعة لمفاسد كبيرة، وقد أوضحنا حالها وأقسامها وفوائدها في كتابنا «الانصاف في مسائل دام فيها الخلاف». (٤)

وعلى ضوء ما ذكرنا يحرم على الأنبياء التقية في تبليغ الرسالة، لأنها لا توأكب أهدافهم ومقاصدهم، وقد استدلل الشيخ الطبرسي على عدم جواز التقية عليهم بقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾. (٥)

١. مجمع البيان: ٣/ ٢٢٥.

٢. البقرة: ٣٤.

٣. مجمع البيان: ١/ ١٨٩.

٤. الجزء الثاني، ص ٣٤٦-٢٣١.

٥. الأحزاب: ٣٩.

قال: وفي هذا دلالة على أن الأنبياء لا يجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة، ومتى قيل: فكيف ما قال لنبينا ﷺ: ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾^(١)، فالقول إنه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ وإنما خشي المقالة القبيحة فيه، والعاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من إساءة الظنون به والقول السيء فيه، ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف.^(٢)

١١

إعجاز القرآن من منظار عدم الاختلاف

إنَّ القرآنَ المعجود من المعجزات الخالدة للنبي ﷺ، وقد ذكر المحققون وجوهاً لإعجاز القرآن أوضحنا حالها في الإلهيات على هدى الكتاب والسنة. ومن وجوه إعجازه عدم وجود التناقض فيه مع أنه نزل على النبي ﷺ نجوماً في فترات مختلفة وظروف حرجة تختل فيه أحوال الإنسان، ومع ذلك فالآيات القرآنية كسبيكة واحدة تقع فوق ما يحوم الإنسان حوله من الكلام، وقد استدلل الطبرسي على إعجاز القرآن من منظار عدم الاختلاف بقوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.^(٣) حيث قال:

أي كلام غير الله أي لو كان من عند النبي أو كان يعلمه بشر كما زعموا
﴿لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ قيل: فيه أقوال:

١. الأحزاب: ٣٧.

٢. مجمع البيان: ٨/ ٥٦٦.

٣. النساء: ٨٢.

أحدها: أنّ معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل. عن قتادة وابن عباس .

والثاني: اختلافاً في الأخبار عمّا يسيرون عن الزجاج.

والثالث: من جهة بليغ ومرذول عن أبي علي.

والرابع: تناقضاً كثيراً عن ابن عباس، وذلك كلام البشر إذا طال وتضمن

من المعاني ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض في المعاني والاختلاف في اللفظ،

وكّل هذه المعاني منفي عن كلام الله كما قال: ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا

من خلفه ﴾^(١).

١٢

إخبار القرآن بالغيب

من وجوه إعجازه

ذكر المحققون أنّ من وجوه إعجاز القرآن هو إخباره بالغيب في مواطن

كثيرة، وقد جمعنا شيئاً من أخباره الغيبية في محاضراتنا.^(٢)

وقد ذكر شيخنا الطبرسي في تفسير سورة الكوثر خبراً غيبياً وقال: إنّ في

هذه السورة - ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ - دلالات على صدق نبينا محمد ﷺ وصحة

نبوته:

أحدها: أنّه أخبر عمّا في نفوس أعدائه وما جرى على ألسنتهم ولم يكن بلغه

ذلك، فكان على ما أخبر.

١. مجمع البيان: ٣/١٢٥.

٢. لاحظ الإلهيات: ٣/٤١٣.

وثانيها: أنه قال: ﴿إِنَّا أُخْطِئْنَا كَثْرًا﴾ فانظر كيف انتشر دينه وعلا أمره وكثرت ذريته، حتى صار نسبه أكثر من كل نسب، ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال.

وثالثها: أن جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك وحرصهم على بطلان أمره منذ بعث النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وهذا غاية الإعجاز. ورابعها: أنه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه وأخبره بسقوط أمرهم وانقطاع دينهم أو عقبهم، فكان المخبر على ما أخبر به.^(١)

١٣

النسخ في الشريعة

اتفق المسلمون إلا من شذَّ على جواز النسخ في الشريعة، وليس النسخ دليلاً على جهل الشارع، بل هو بعلمه بعاقبة الأمور يشرع حكماً ظاهراً في الاستمرار، وموقتاً في الواقع، فإذا جاء أمد الحكم ينسخه بحكم آخر. وقد استدلَّ شيخنا الطبرسي على جواز النسخ بقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾.^(٢)

قال: وفي هذه الآية دلالة على جواز النسخ في الشريعة، بل على وقوعه، لأنه قال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ فأخبر أنه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة، وأنه هو الذي نقله عنها، وذلك هو النسخ.^(٣)

٢. البقرة: ١٤٣.

١. مجمع البيان: ١٠/٨٣٨.

٣. مجمع البيان: ١/٤١٨.

نسخ السنة بالقرآن

اتفق القائلون بالنسخ على أن القرآن ينسخ السنة، وقد استشهد الشيخ الطبرسي على هذه الضابطة بالآية التالية: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَأَنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتَ﴾^(١).

وكان في مبدأ الإسلام إذا فجرت المرأة وقام عليها أربعة شهود حُبست في البيت أبداً حتى تموت، ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين ومنسوخة بسورة النور.^(٢)

نسخ القرآن بالسنة

اختلف العلماء في نسخ القرآن بالسنة، فلو كان المراد من السنة هو خبر الواحد فلا شك أنه دليل ظني لا يُنسخ به الدليل القطعي. إن للقرآن الكريم مكانة سامية في الشريعة الإسلامية لا يمكن نسخه

١. النساء: ١٥.

٢. مجمع البيان: ٣/٣٤.

بالنقول المظنونة حتى بالخبر المستفيض، ولو جاز النسخ فإنها يجوز بالسنة القطعية، أي الخبر المتواتر أو الخبر المحضف بالقرائن المفيدة للعلم.

ثم إن شيخنا الطبرسي ذكر دليل من قال بأنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة، وهو قوله سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتَيْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾^(١).
قال: استدلال بالآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز.

ولكنه عليه السلام أمرأ بعيداً وأجاب عن الاستدلال بقوله: لأنه إذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي ﷺ فإنه يقوله بالوحي من الله، فلم ينسخ القرآن ولم يبدله من قبل نفسه، بل يكون تبديله من قبل الله تعالى، ولكن لا يكون قرآناً، ويؤيد ذلك قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

١٦

رأيه في التصوير

رسماً كان أو مجسماً

ذهب الشيخ الطبرسي إلى كراهة التصوير مطلقاً، وقال في تفسير قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُ بِالْأُذُنِ الْعِجَلِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٣) ما هذا الفظه:

١. يونس: ١٥.

٢. مجمع البيان: ٥/١٤٧.

٣. البقرة: ٥١.

قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ أي اتَّخَذْتُمُوهُ إِهْلًا، لأنهم بنفوس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين، لأن فعل ذلك ليس بمحظور وإنما هو مكروه، وأما الخبر الذي روي أنه ﷺ لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ، فالمراد به من شبه الله بخلقه، أو اعتقد فيه أنه صورة. (١)

١٧

الاتهام بإنكار علم الغيب

وقد اتهم شيخ المفسرين وإمامهم بأنه من المنكرين لعلم الأئمة ﷺ بالغيب تمسكاً بما قاله في تفسير قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾. (٢)

قال ما هذا لفظه:

وذكر الحاكم أبو سعيد في تفسيره: أنها تدلّ على بطلان قول الإمامية: أنّ الأئمة يعلمون الغيب وأقول: إنّ هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم، فاتأنا لا نعلم أحداً منهم بل أحداً من أهل الإسلام يصف أحداً من الناس بعلم الغيب ومن وصف مخلوقاً بذلك فقد فارق الدين، والشيعية الإمامية برآء من هذا القول، ومن نسبهم إلى ذلك فالله في ما بينه وبينهم. (٣)

أقول: ما ذكره أمين الإسلام لا يهدف إلا إلى نفي علم الغيب عنهم ﷺ على

١. مجمع البيان: ١/٢٣٣.

٢. المائدة: ١٠٩.

٣. مجمع البيان: ٣/٤٠٣.

غرار علمه سبحانه به، وأمّا علم الغيب المكتسب بإذن الله سبحانه فلا ينفيه بشهادة قوله: «ومن وصف مخلوقاً بذلك فقد فارق الدين» إذ أيُّ صلة بين مفارقة الدين والقول بأن الله سبحانه علم شيئاً من العيوب لبعض عباده الصالحين.

والذي يدلُّنا إلى مرامه ومقصده ما ذكره في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾. (١)

فقال في ذيل هذه الآية ما هذا لفظه: وجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدوان والتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضوع من تفسيره فقال: «هذا يدلُّ على أنّ الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافاً لما تقول الرافضة: إنّ الأئمة يعلمون الغيب» ولا شك أنّه عنى بذلك من يقول بإمامة الاثني عشر ويدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي ﷺ، فإنّ هذا دأبه وديدنه فيهم، يشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم، وينسب الفضائح والقبايح إليهم، ولا نعلم أحداً منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق، فإنّما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا يعلم مستفاد، وهذه صفة القديم سبحانه، العالم لذاته لا يشركه فيها أحد من المخلوقين ومن اعتقد أنّ غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملّة الإسلام.

فأمّا ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام رواه عنه الخاص والعام من الأخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها، مثل قوله وهو يومي به إلى صاحب الزنج: «كأني يا أحنف وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجب ولا قعقة لجم، ولا صهيل خيل يشرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام».

وقوله يشير إلى مروان: «أما أن له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقي الأمة منه ومن ولده موتاً أحمر».

وما نقل من هذا الفن عن أئمة الهدى عليهم السلام من أولاده، مثل ما قاله أبو عبد الله عليه السلام لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبياعوا ابنه محمداً: «والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهم - وأشار إلى العباسية - وأن ابنك لمقتولان»، ثم نهض وتوكل على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له: «أرايت صاحب الرداء الأصفر؟» - يعني أبا جعفر المنصور - قال: نعم، فقال: «إننا والله نجده يقتله». فكان كما قال.

ومثل قول الرضا عليه السلام: بورك قبر بطوس، وقبران ببغداد، فقيل له: قد عرفنا واحداً فما الآخر؟ قال: ستعرفونه، ثم قال: قبري وقبر هارون هكذا - وضم أصبعيه...^(١)

وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب النباحي وقد ناوله قبضة من التمر: «لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزدناك».

وقوله من حديث علي بن أحمد الوشاء حين قدم مرو من الكوفة: «معك حلة في السفت الفلاني دفعتها إليك ابنتك وقالت اشتر لي بثمانها فيروزجاً». والحديث مشهور.

إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام. فإن جميع ذلك متلقى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما أطلعه الله عليه، فلا معنى لنسبة من روي عنهم هذه الأخبار المشهورة إلى أنه

١. نظير قوله لموسى بن مهران في مسجد المدينة عندما كان هارون يطالب: «أتروني وإياه ندفن في بيت واحد». عيون أخبار الرضا: ٢/٢٢٦.

يعتقد كونهم عالين بالغيب، وهل هذا إلا سب قبيح وتضليل لهم، بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير، الله يحكم بينه وبينهم وإليه المصير.^(١)

١٨

ترتيب السور

على رؤية الإمام الطبرسي

نزل القرآن المجيد نجوماً على قلب سيد المرسلين في فترة تربو على ٢٣ سنة، وقد قضى النبي ﷺ من تلك الفترة ١٣ عاماً في مكة المكرمة و١٠ في المدينة المنورة، فالسور النازلة في الفترة الأولى مكية وفي الثانية مدنية، غير أن المهم تمييز المكي عن المدني.

وقد أخرج الإمام الطبرسي بسنده عن ابن عباس حديثاً جامعاً يتميز بها المكي عن المدني ويُزاح بها بعض الأوهام والشبهات التي دارت حول الآيات النازلة في حق أئمة أهل البيت عليهم السلام، وإليك نص الحديث الذي رواه الإمام الطبرسي ولا يستغني عنه أي مفسر، قال:

حدثنا السيد أبو الحمد محمد بن نزار الحسيني القائني. قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال: حدثنا أبو نصر المفسر قال: حدثني عمي أبو حامد إملاء قال: حدثني الفزاري أبو يوسف يعقوب بن محمد

المقري قال: حدثنا محمد بن يزيد السلمي قال: حدثنا زيد بن موسى قال: حدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس.

قال: أول ما أنزل بمكة ﴿اقرأ باسم ربك﴾، ثم ﴿ن والقلم﴾، ثم المزل، ثم المدثر، ثم ﴿تبت﴾، ثم ﴿إذا الشمس كورت﴾، ثم ﴿ستج اسم ربك الأعلى﴾، ثم ﴿والليل إذا يغشى﴾، ثم ﴿والفجر﴾، ثم ﴿والضحى﴾، ثم ﴿الم نشرح﴾، ثم ﴿والعصر﴾، ثم ﴿والعاديات﴾، ثم ﴿إننا أعطيناك الكوثر﴾، ثم ﴿الهاكم التكاثر﴾، ثم ﴿أرأيت﴾ ثم الكافرون، ثم ﴿ألم تر كيف﴾، ثم ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، ثم ﴿قل أعوذ برب الناس﴾، ثم ﴿قل هو الله أحد﴾، ثم ﴿والنجم﴾، ثم ﴿عيس﴾، ثم ﴿إننا أنزلناه﴾، ثم ﴿والشمس﴾، ثم البروج، ثم والتين، ثم لإيلاف، ثم الفارعة، ثم القيامة، ثم همزة، ثم والمرسلات، ثم ق، ثم ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾، ثم الطارق، ثم ﴿اقتربت الساعة﴾، ثم «ص»، ثم «الأعراف»، ثم ﴿قل أوحى﴾، ثم يس، ثم الفرقان، ثم الملائكة، ثم كهيعص، ثم طه، ثم الواقعة، ثم الشعراء، ثم النمل، ثم القصص، ثم بني إسرائيل، ثم يونس، ثم هود، ثم يوسف، ثم الحجر، ثم الأنعام، ثم الصافات، ثم لقمان، ثم القمر، ثم سبأ، ثم الزمر، ثم حم المؤمن، ثم حم السجدة، ثم جمعق، ثم الزخرف، ثم الدخان، ثم الجاثية، ثم الأحقاف، ثم الذاريات، ثم الغاشية، ثم الكهف، ثم النحل، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم الأنبياء، ثم المؤمنون، ثم ألم تنزيل، ثم الطور، ثم الملك، ثم الحاقة، ثم ذو المعارج، ثم عم يتساءلون، ثم النازعات، ثم انفطرت، ثم انشقت، ثم الروح، ثم العنكبوت، ثم المطففين، فهذه أنزلت بمكة وهي خمس وثمانون سورة.

ثم أنزلت بالمدينة: البقرة، ثم الأنفال، ثم آل عمران، ثم الأحزاب، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد، ثم سورة محمد، ثم الرعد، ثم

سورة الرحمن، ثم هل أتى، ثم الطلاق، ثم لم يكن، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله، ثم النور ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات، ثم التحريم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم سورة الصف، ثم سورة الفتح، ثم سورة المائدة، ثم سورة التوبة فهذه ثمان وعشرون سورة.

وقد رواه الأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس في كتاب الإيضاح و زاد فيه: وكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة.

وإسناده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن البصري: إن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة على الترتيب: اقرأ باسم ربك، و ن، والمزمل - إلى قوله: وما نزل بالمدينة ويل للمطففين والبقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والمائدة والمنتحنة والنساء وإذا زلزلت والحديد وسورة محمد ﷺ والرعد والرحمن وهل أتى على الإنسان إلى آخره.

و بإسناده عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «سألت النبي عن ثواب القرآن؟ فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ثم اقرأ باسم ربك ثم ن - إلى أن قال: - وأول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم المنتحنة ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل أتى - إلى قوله: - فهذا ما أنزل بالمدينة، ثم قال النبي ﷺ: جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية، وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفاً، لا يرغب في تعلم القرآن إلا السعداء، ولا يتعهد

قراءته إلا أولياء الرحمن.^(١)

ثم إنه ﷺ استمد بهذا الحديث وغيره على ردّ من زعم أنّ سورة الإنسان (هل أتى) مكية فلا يصحّ ما اشتهر من نزول آيات من هذه السورة في حقّ علي وفاطمة والحسين، أعني قوله سبحانه: ﴿يُؤْفُونَ بِاللَّيْلِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَظِيرًا﴾^(٢) الخ.

حيث أنكر بعض المعاندين نزول هذه الآيات في حقّهم ﷺ بحجة أنّ السورة مكية لا مدنية والحسنان ولدا في المدينة لا في مكة.

ويظهر من شيخ المفسرين أنّ هذه الشبهة كانت ذاتعة في عصره، فبهذا الحديث حاول أن يردّها بأنّ السورة مدنية لا مكية.

وقال في هذا الصدد بعد نقل الحديث: إنّ بعض أهل العصية قد طعن في هذه القصة بأن قال: هذه السورة مكية، فكيف يتعلّق بها ما كان بالمدينة؟! واستدلّ بذلك على أنّها مخترعة جرأة على الله سبحانه وهداوة لأهل بيت رسوله، فأحسبُ إيضاح الحقّ في ذلك، وإيراد البرهان في معناه وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه على أنّه كما نرى يحتوي على السر المخزون والدر المكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره، وهو معرفة ترتيب السور في التنزيل وحصر عددها على الجملة والتفصيل، اللهم أمددنا بتأييدك وأيدنا بتوفيقك فأنت الرجاء والأمل وعلى فضلك المعول والمتكل.^(٣)

ولم تزل هذه الشبهة تدور بين المعاندين والمشككين حتّى أنّ ابن تيمية كرر

١. مجمع البيان: ١٠/٦١٢-٦١٤.

٢. الدر: ٧.

٣. مجمع البيان: ١٠/٦١٤.

هذه الشبهة وأدان بها العلامة الحلي، فقال: ذكر هذا الرجل (العلامة الحلي) أشياء في الكذب تدل على جهل ناقلها مثل قوله: نزل في حقهم - في حق أهل البيت - هل أتى، فإن هل أتى مكية باتفاق العلماء، وعلي إنها تزوج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة، وولد الحسن والحسين بعد نزول هل أتى، فقوله: إنها نزلت فيهم من الكذب الذي لا يخفى على من له علم بنزول القرآن وأحوال هذه السادة الأخيار.^(١)

وقال ابن حزم: لسنا من كذب الرافضة في تأويلهم ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً﴾ وأن المراد بذلك علي (رض)، بل هذا لا يصح، بل الآية على عمومها وظاهرها لكل ما فعل ذلك.^(٢)

ومع الأسف أن هؤلاء الذين يرفضون نزول هذه الآيات في حق أئمة أهل البيت عليهم السلام يصدرون عن الهدى والنص الخفي، وإلا فقد نقل نزوله كبار المحدثين وقطاحل المفسرين حتى أن الحافظ أبا محمد العاصمي أفرد كتاباً في هذا الموضوع أسماه «زين الفتى في تفسير سورة هل أتى» وهو مخطوط لم يطبع، مضافاً إلى أنه نقله غيره بوفرة وقد أخرج العلامة الأميني في غديره مصادر نزول هذه الآيات في حق أئمة أهل البيت ربما تناهز الـ ٣٤ مصدراً.^(٣)

١. منهاج الكرامة: ١١٧/٢.

٢. الفصل في الملل والنحل: ١٤٦/٤.

٣. لاحظ الغدير: ١٥٥/٣ - ١٦٠، ط مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

الاستدلال على ما تنفرد به الإمامية

إنّ الإمام الطبرسي يذكر في مقدمة الكتاب خصائص تفسيره ويقول: ...والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر ما يتفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات في مواضع كثيرة، منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع، والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار، فوق الإيجاز ودون الإكثار^(١) والسابر في مجمع البيان يجد أنّ الشيخ الطبرسي أفاض الكلام فيما تنفرد به الإمامية على النحو الذي وصف أي على وجه الاعتدال والاختصار فوق الإيجاز ودون الإكثار، ونحن نذكر هنا ذج من استدلالاته.

١ . الاستدلال على المسح بالقرآن الكريم

من المواضع التي تنفرد بها الشيعة الإمامية هو مسح الرجلين في الوضوء دون غسلهما، وقد كان المشح هو الأمر الرائج في عصر الرسول وبعده بفترة، وكان قسم كبير من الصحابة يمسحون الأرجل إلى أن غلبت المصلحة المزعومة على النص فصار الغسل هو الرائج بين السنة، وقد ذكرنا تفسير ذلك في كتابنا «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف» والشيخ الطبرسي عندما وصل إلى تفسير قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ بين

كيفية دلالة الآية المباركة على المسح، وقال في ذلك الصدق:

اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء: إن فرضها الغسل، وقالت الإمامية: فرضها المسح دون غيره، وبه قال عكرمة وقد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وأنس وأبي العالية والشعبي، وقال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل، وإليه ذهب الطبري والجبائي إلا أنها قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم.

وقال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية: يجب الجمع بين المسح والغسل.

وروي عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله ﷺ فمسح على رجليه، وروي عنه أنه قال: إن في كتاب الله المسح ويأبى الناس إلا الغسل وقال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

وقال قتادة: فرض الله غسلتين ومسحتين.

وروي ابن عليه عن حميد عن موسى بن أنس أنه قال لأنس ونحن عنده: إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر، فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم واسمحو برؤوسكم وأنه ليس شيء من بني آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبها^(١)، فقال أنس: صدق الله وكذب الحجاج، قال الله تعالى: ﴿واسمحو برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ قال فكان أنس إذا مسح قدميه بلهما.

وقال الشعبي: نزل جبرئيل ﷺ بالمسح، ثم قال: إن في التيمم يُمسح ما كان غَسلاً، ويلقى ما كان مَسْحاً.

١. وفي المطبوع: «عراقيبها» والصحيح ما أثبتناه، وهي جمع «عرقوب» وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ويل للعراقيب من النار».

وقال يونس: حدثني من صحب عكرمة إلى واسط قال: فما رأيته غسل رجله إنما كان يمسح عليها.

وأما ما روي عن سادة أهل البيت عليهم السلام في ذلك فأكثر من أن يحصى. ^(١)

تفسير القراءتين على القولين

فمن أوجب الغسل حمل قراءة النصب على أنه معطوف على وجوهكم في قوله سبحانه: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾، كما أنه حمل قراءة الجر على الخفض بالجوار وربما فسروا وجه الجر بها عن أبي زيد أنه قال: المسح خفيف الغسل، فقد قالوا تمسحت للصلاة، وقوي ذلك بأن التحديد والتوقيت إنما جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح، فلما وقع التحديد في المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد وهذا قول أبي علي الفارسي.

ولا يخفى أن الجميع لا يخلو من تعسف.

أما الأول فيلزم الفصل بين المعطوف ﴿وأرجلكم﴾ والمعطوف عليه ﴿وجوهكم﴾ بجملة معترضة تامة، أعني: ﴿والمسحوا برءوسكم﴾ وهو غير جازم. وأما الثاني: فلأن الخفض بالجوار لا يجوز في كتاب الله، لأنه لغة شاذة، ومجرد وروده في مثل معروف «حُجِرَ ضَبَّ خَرِبٍ» لا يكون دليلاً على تفسير أفصح الكلام به.

وأما الثالث: فلأن القول بأن التحديد جاء في المغسول ولم يجئ في الممسوح من غرائب الكلام.

فإن الممسوح كالمغسول، فالوجه مغسول غير محدد والأيدي مغسولة،

محددة.

والرأس ممسوح غير محدد، والأرجل ممسوحة محددة بالكعبين.
نفترض صحة ما ذكره فهل يصحح ما ذكره، التصرف في المسح، المقابل
للغسل، بحمله على الغسل الخفيف، كلاً ولا.

ثم إن الشيخ الطبرسي ذكر وجه القراءتين على القول بالمسح وقال:
وأما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجر والنصب في ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾
على ظاهره من غير تعسف.

أما الجر فللعطف على الرؤوس.

وأما النصب فللعطف على موضع الجار والمجرور في برؤوسكم.

وأما ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى، ثم استشهد بقول القائل:

معاوية اننا بشر فاسجح فلسنا بالجمال ولا الحديد

حيث عطف الحديد المنصوب على موضع الجبال بالجوار، لأنه خبر ليس.

ثم إنه عليه السلام أفاض الكلام في ذلك فمن أراد فليرجع إلى المصدر.^(١)

٢. الاستدلال على حلية المتعة بالكتاب

اتفق المسلمون على حلية المتعة في فترة من أعصار الرسالة ثم اختلفوا في
نسخها في عصر الرسول أو بقائها على الحلية كما كانت، فالشيعة الإمامية ولقيف
من الصحابة على الثاني والأكثرية الساحقة من السنة على الأول.

فاستدلوا على حلية المتعة وشرعيتها ففي عصر الرسالة بقوله سبحانه: ﴿فَمَا

١. مجمع البيان / ٣ / ٢٥٦٢٥٥ بتلخيص وتصرف.

اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴿١١﴾.

فالأكثر على أن المراد بقوله: ﴿فما استمتعتم﴾ هو عقد المتعة، يقول الشيخ الطبرسي في تفسير الآية: والمراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معين عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين، وهو مذهب أصحابنا، وهو الواضح لماذا؟
أقول: إن هنا ادعاءين:

١. المراد من قوله: ﴿وما استمتعتم﴾ هو عقد النكاح سواء أكان عقد دائم أو عقد منقطع، لا الانتفاع والالتذاذ.
٢. إذا ثبت أن المقصود من قوله ﴿وما استمتعتم﴾ هو العقد، لا الاستمتاع العملي، فالمراد هو عقد المتعة، لا عقد الدائم.

أما الأول فلوجهين:

١. أن لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان يطلق على الانتفاع والالتذاذ، لكنه صار يعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد، لا الاستمتاع العملي، لا سيما إذا أُضيف إلى النساء، فعلى هذا يكون معناه: متى عقدتم عليهن هذا العقد فآتوهن أُجورهن.
٢. أنه عُلِّقَ وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع، وهذا يقتضي أن يكون المراد به، هو العقد لا الاستمتاع العملي، لأنَّ المهر يجب بالعقد ولا يتوقف على الجماع.

إلى هنا تبين أن المراد به هو العقد، لا الاستمتاع العملي.

وأما الثاني : أي كون المراد عقد المتعة ، لا عقد النكاح الدائم ، فلأن إيجاب دفع المهر بتمامه بمجرد العقد من خصائص المتعة ، وأما عقد النكاح الدائم ، فالجميع يثبت بالعقد ، ولكن لا يجب دفع الكل إلا لعد المتس ، فإيجاب دفع الكل بمجرد العقد من خصائص عقد المتعة .

بعض القرائن على أن المراد هو عقد المتعة

وقد روي عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود أنهم قرأوا: «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن» وفي ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعة.

وقد أورد الشلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت قال: أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال: هذا على قراءة أبي، فرأيت في المصحف: فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى.

وبإسناده عن أبي نضرة قال: سألت ابن عباس عن المتعة، فقال: أما تقرأ سورة النساء؟ فقلت: بلى، فقال: فما تقرأ «فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى»، قلت: لا أقرأها هكذا، قال ابن عباس: والله هكذا أنزلها الله تعالى ثلاث مرات.

وبما أن المسلمين اتفقوا على صيانة القرآن من التحريف، فكلام ابن عباس محمول على تفسير الآية لا أن قوله «إلى أجل مسمى» جزء من الآية.

ثم نقل عن علي بن أبي طالب أنه قال: لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنا إلا شقي.

كما نقل عن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل

آية بعدها تنسخها فأمرنا بها رسول الله وتمتعنا مع رسول الله ﷺ ومات ولم ينهنا عنها، فقال بعد رجل برأيه ما شاء. (١)

٣. الاستدلال على أن الأنبياء يورثون

اشتهر بعد رحيل الرسول على أن الأنبياء لا يورثون خلافاً لظاهر الكتاب العزيز واتفاق أئمة أهل البيت ويدل عليه قوله سبحانه ناقلاً عن زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾. (٢)

قال الطبرسي: واستدل أصحابنا بالآية على أن الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم والنسبة بأن قالوا إن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ولا يستعمل في غير دعائه ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾ أي اجعل يا رب ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك ممثلاً لأمرك ومتى حملنا الإرث على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان لغواً عبثاً ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد اللهم ابعث لنا نبياً واجعله عاقلاً مرضياً في أخلاقه لأنه إذا كان نبياً فقد دخل الرضا وما هو أعظم من الرضا في النبوة.

ويقوي ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله: «وإني خفت الموالي من ورائي» وإنها يطلب وارثاً لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه ﷺ كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لها بأهل ولأنه إنما بعث

١. مجمع البيان: ٣/٥٢، دار المعرفة، مع تلخيص وتصرف.

٢. مريم: ٦٥.

لإذاعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته.
 فإن قيل: إن هذا يرجع عليكم في وراثة المال لأن في ذلك إضافة الضن
 والبخل إليه.

قلنا: معاذ الله أن يستوي الأمران فإن المال قد يُرزق المؤمن والكافر
 والصالح والطالح ولا يمتنع أن يأسى على بني عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن
 يظفروا بهاله فيصرفوه فيما لا يتبغي بل في ذلك غاية الحكمة فإن تقوية الفساق
 وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عد ذلك بخلاً وضناً فهو
 غير منصف وقوله: «خفت الموالي من وراثي» يفهم منه أن خوفه إنما كان من
 أخلاقهم وأفعالهم ومعاني فيهم لا من أعيانهم كما أن من خاف الله تعالى فإنه
 خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالي مالي وإنفاقهم إياه في معصية الله
 تعالى.

٢٠

أزر لم يكن والد إبراهيم

اتفقت الإمامية على أن آباء النبي كانوا موحدين^(١)

وربما يورد عليهم بأن أزر كان أبا إبراهيم وكان مشركاً ومات عليه، قال
 تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ
 عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

١. أوائل المقالات: ٤٥.

٢. التوبة: ١١٤.

فأجاب أصحابنا بأنَّ أزد لم يكن والد إبراهيم، بل كان عمه أو خاله،
والأب يستعمل - مجازاً - في غير الوالد.

وأما الوالد، فلا يستعمل إلاَّ فيمن ولد الإنسان، والشاهد على أنه لم يكن
والده، أنه عليه السلام بشهادة الآية السابقة، تبرأ منه، ولكنَّه في الوقت نفسه دعا في
آخر يات عمره لوالده، قال سبحانه حاكياً عنه: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾. (١)

وقد صدر عنه هذا الدعاء وهو كبير طاعن في السن كما يحكي عنه سبحانه
قبل هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي
لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾. (٢)

يقول إمام المفسرين في هذا الصدد:

واستدلَّ أصحابنا بهذا على ما ذهبوا إليه من أنَّ أبوي إبراهيم عليه السلام لم يكونا
كافرين، لأنَّه إنَّما يسأل المغفرة لها يوم القيامة، فلو كانا كافرين لما سأل ذلك،
لأنَّه قال: فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فصحَّ أنَّ أباه الذي كان كافراً إنَّما هو
جدُّه لأمه أو عمُّه على الخلاف فيه.

ومن قال إنَّما دعا لأبيه، لأنَّه كان وعده أن يسلم فلما مات على الكفر تبرأ
منه على ما روى الحسن، فقولُه فاسد، لأنَّ إبراهيم عليه السلام إنَّما دعا بهذا الدعاء بعد
الكبر وبعد أن وهب له إسماعيل وإسحاق، وقد تبين له في هذا الوقت عداوة أبيه
الكافر لله، فلا يجوز أن يقصده بدعائه. (٣)

١. إبراهيم: ٤١.

٢. إبراهيم: ٣٩.

٣. مجمع البيان: ٥/٤٩١.

المحقق علي بن عبد العالي الكركي

(...١٩٤٠هـ)

رجل العلم والسياسة

العلماء حصون الإسلام وقلاع المنفعة وعزّ الدين، فلم يزل الدين مصوناً
ببناهم وبنانهم من هجمات الأعداء ودسائس الأغيار.

العلماء هم البذور المنيرة، والمصاييح الزاهرة، والأنجم الساطعة في غياهب
الدُّجى ومataهات البيداء.

العلماء هم الذين يتفنون عن السدين تأويل المبطلين وتحريف الغالين
وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد.

وبالتالي العالم في المجتمع كالشمعة المضيئة، ينير الدرب بإذابة ذاته
وشخصه ويعبّد الطريق للسالكين.

هكذا شأن العلماء ووصفهم. وحياتهم طافحة بالتضييحات وبذل النفس
والنفيس في طريق هداية الأمة.

وقد زخر تاريخ أمتنا المجيدة بعلماء كبار أخذوا على عاتقهم صيانة
الشرية عن الدس والانحراف وهداية المجتمع إلى الحقّ اللباب، وقد بذلوا في
سبيل ذلك كلّ ما يملكون حتّى أنّ قسماً منهم خاض غمار الشهادة لغاية حفظ
الدين.

نعم التاريخ مليء بذكر الحوادث الحلوة والمرّة، فالحلوة منها هي حياة

العلماء والمصلحين المحنكين الذين تركوا آثاراً ومواقف في بيئتهم وثنائاً أمتهم.
ولسنا غاليين إذا قلنا: إن حياة هذه الجماعة هي التي تمثل السطور الذهبية
للتاريخ، فعلى الناشئة الاهتمام بتراجمهم والوقوف على ما تركوا من بصمات في
حياة أمتهم.

إنّ الزعيم الكبير أستاذ الفقهاء والمحققين الشيخ علي بن عبد العالي
الكركي (عليه سحائب الرحمة والرضوان) الذي نحن بصدد الإشارة إلى جانب
من جوانب حياته، أحد هؤلاء الأفاضل الذين كتبوا صحائف تاريخهم بخدماتهم
الجليلة في المجالات المختلفة: العلمية والاجتماعية والسياسية.

وليس هذا من العجب، إذ هو نبغ في أرض خصبة بالعلم والثقافة وعرفت
بالصمود والكفاح منذ أمد بعيد، فهو وليد جبل عامل الذي أطل على العالم
بعلمائه ومفكره وأبطاله ومجاهديه الذين نذروا أنفسهم للحق ووقفوا حياتهم على
إعلاء كلمة الله في الأرض، ولهم في كل زمان زعيم يُقتدى به.

لو افترضنا أنّ جبل عامل كان جبلاً من ذهب أو فضة أو سائر الأحجار
الكريمة لما كان له تلك القيمة التي يشمنها التاريخ، وذلك لأنّ الذهب والفضة
زهرتا الحياة الدنيا ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ نُوبَأً وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾.

وقد شهد غير واحد من المؤرخين بدوره في ضخّ الأمة بالعلماء والفقهاء
الأعلام، وهذا هو القاضي الشهيد التستري يقول في «مجالس المؤمنين»:

ما من قرية هناك إلّا وقد خرج منها جماعة من علماء الإمامية وفقهاهم.^(١)

وقد نقل الشيخ الحر العاملي أنه سمع من بعض مشايخه:
اجتمع في جنازة في قرية من قرى جبل عامل سبعون مجتهداً في عصر
الشهيد وما قاربه.

ثم يقول: إنَّ عدد علمائهم يقارب خمس عدد علماء المتأخرين، وكذا
مولفاتهم بالنسبة إلى مؤلفات الآخرين مع أن بلادهم بالنسبة إلى باقي البلدان
أقل من عُشر العشر، أعني: جزءاً من مائة جزء من البلدان.^(١)

وما عساني أقول في بلاد ذكرها الإمام الصادق عليه السلام حيث إنَّه سئل كيف
يكون حال الناس في حال قيام القائم عليه السلام، وفي حال غيبته، ومَن أولياؤه وشيعته
المصابين منهم، الممثلين أمر أئمتهم والمقتفين لأثارهم والأخذين بأقوالهم؟
قال عليه السلام: «بلدة بالشام».

قيل: يا ابن رسول الله إنَّ أعمال الشام متسعة؟ قال: «بلدة بأعمال الشقيف
أوتون وبيوت وربع تعرف بسواحل البحار وأوطئة الجبال».

قيل يا ابن رسول الله هؤلاء شيعتكم؟ قال عليه السلام: «هؤلاء شيعتنا حقاً، وهم
أنصارنا وإخواننا والمواسون لغربنا والحافظون لسرنا، واللينة قلوبهم لنا والقاسية
قلوبهم على أعدائنا، وهم كسكان السفينة في حال غيبتنا، تحمل البلاد دون
بلادهم، ولا يصابون بالصواعق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويعرفون
حقوق الله ويساؤون بين إخوانهم، أولئك المرحومون المغفور لحبهم وميتهم
وذكرهم وأنتاهم، ولأسودهم وأبيضهم وحرهم وعبدهم وإنَّ فيهم رجالاً ينتظرون،
والله يحب المنتظرين».

ثم يقول شيخنا الحر العاملي بعد نقل هذا الحديث:

وإن لم أجد في كتاب معتمد لكتنه لم يتضمن حكماً شرعياً وهناك قرائن على ثبوت مضمونه والصفات المذكورة صفات أكثرهم وأغلبهم.^(١)

العامليون في إيران

حل لواء الدولة الشيعية في إبان ظهورها لفيف من علماء جبل عامل الذين لم يذخروا جهداً في تعزيز كيانها وتقويمها وتثقيفها بالثقافة الشيعية ولولاهم لما كان لها حظ من الرقي والتقدم في مجال الدين والثقافة، فأول من هاجر إليها الشيخ المحقق الكركي الذي أقيم لتكريمه هذا المؤتمر الكبير. وهو بهذه الهجرة قد فتح الباب للآخرين، فاقفوا أثره وتماموا وجوههم شطر إيران، وإليك أسماء بعض المهاجرين الذين كان لهم دور في تطوير الدولة وتثقيف الشعب الإيراني ونشر الولاء بينهم:

١. الشيخ حسين بن عبد الصمد الجباعي (٩١٨-٩٨٤هـ) والد الشيخ البهائي، هاجر إلى إيران بعد شهادة أستاذه الشهيد الثاني عام (٩٦٦هـ)، وعين شيخاً للإسلام في قزوین ونقل إلى مشهد ثم إلى هراة ثم غادر إيران عام ٩٨٣هـ إلى البحرين وتوفي هناك بعد سنة.

٢. الشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد (٩٥٣-١٠٣٠هـ) المشتهر بيهاء الدين العاملي، وهو أحد نوابغ العالم فقد عين شيخاً للإسلام في اصفهان أيام حكم الشاه عباس الكبير أعظم ملوك الصفوية فأقام فيها منشآت ومساجد ومدارس.

ويشهد على علو كعبه، آثاره ومصنفاته، كما تشهد على تبحره في العرفان،

منظومته التي يصف فيها الحب الإلهي بقوله:

عشاق جمالك قد غرقوا في بحر صفاتك احترقوا
في باب نوالك قد وقفوا وبغير صفاتك ما عرفوا^(١)

٣. الشيخ لطف الله بن عبد الكريم الميسي (المتوفى عام ١٠٣٢هـ).

حيث بنى له الشاه عباس الكبير المسجد المعروف بمسجد الشيخ لطف الله. وهو يعدّ من آثار اصفهان الجميلة.

٤. الحرّ العاملي محمد بن الحسن (١٠٣٠-١١٠٤هـ).

المحدّث الإمامي الشهير صاحب وسائل الشيعة، وأحد كبار علماء الإمامية. ولم يزل كتابه «وسائل الشيعة» مرجعاً للعلماء والفقهاء إلى يومنا هذا.

إلى غير ذلك من فطاحل العلماء الذين كان لهم مواقف مشهودة في تسيير الدولة الصفوية في طريق الكمال.

ولا يظنّ القارئ الكريم أنّ عدد المهاجرين يقف على ما ذكرنا، بل أنّ عددهم أكثر من ذلك، وهذا هو الشيخ جعفر المهاجر «حفظه الله» قد ذكر في كتابه «الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي» أسماء سبع وتسعين عالماً هاجروا إلى إيران وغدّوا بعلومهم الشعب الإيراني.

وبحقّ أنّ الأمة الإيرانية بعامة طبقاتها مرهونة في ولائها وثقافتها الدينية لهؤلاء المهاجرين الذين تركوا بلادهم وأوطانهم حباً للمبادئ ورغبة في إقامة دولة الحق.

١. شبر وشكر ليهاء الدين العاملي: ١٣.

البلاء للولاء

وبما أن «البلاء للولاء» فقد شهدت تلك المنطقة - منطقة جبل عامل - المولية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) اضطهاداً وسياسةً دموية في العهدين: العثماني والفرنسي وقد أُريقَت فيها دماءٌ طاهرة وهتكت حرمان كثيرة وقد سبب ذلك مهاجرة لفيف منهم إلى ديارٍ بعيدة.

وهذا هو العالم الشاعر إبراهيم يحيى يصف مظالم «الجزار» وقضائعه على الشيعة في جبل عامل تلك المنطقة الخصبة بالعلم والفضل، وجمال الطبيعة وكانت ولم تنزل داراً للشيعة منذ عصور، تلمع كشقيقتها «حلب» في خريطة الشامات، وقد صوّر الشاعر ما جرى عليهم في قصيدته على وجه يدمي الأفتدة والقلوب، وقد هاجر من موطنه إلى دمشق ونظم فيها القصيدة الميمية نقتطف منها ما يلي:

يعزّ علينا أن نسروحَ ومصرنا	لقرعونَ مغنئُ يصطفيه ومغنم
منازلُ أهل العدل منهم خلية	وفيها لأهل الجور جيش عرمرم
وعاثت يدُ الأيام فينا ومجدنا	وبالرغم مني أن أقول مهذّم
ولست ترى إلا قتيلاً وهارباً	سليماً ومكبوباً يُقْلَلُ ويُرغم
وكم علم في عامل طُوحَت به	طوائح خطب جرحها ليس يلام
وأصبح في قيد الهوان مكبلاً	وأعظمُ شيء عالم، لا يعظم
وكم من عزيز ناله الضيم فاغتدى	وفي جيسده جبل من الذل محكم
وكم هائم في الأرض تهفوا بلبّه	قوادم أفكار تغور وتهم
ولما رأيتُ الظلم طال ظلامه	وإن صبّاح العدل لا يتبسم

تـرحلت عن دار الهوان وقلها يطيب الثوى في الدار والجار، أرقم
تملكها - والملك لله - فاجر سواء لديه ما يجلى ويحرم
عتل زنيم، يُظهر الدين كاذباً وهيهات أن يخفى على الله مجرم^(١)

ومع ذلك كله نرى الصمود والكفاح مكتوباً على جباه العاملين حيث إن سيطرة أمثال الجزّار وأشباهه لم يثن عزمهم عن الاستمرار في الدفاع عن مبدتهم وشرفهم وكيانهم. كما أنهم لم يفتروا أخيراً بوعود الأعداء، وتلقوها في كل عصر وزمان وعوداً جوفاء وخدعاً فارغة، وهذا هو علامة العلماء وسيد المؤرخين السيد محسن الأمين رحمته الله يصف خداعهم وعودهم في هذين البيتين:

قالوا الشعوب نُفكَّها من رُقها كلاً بل استغبادها قد راموا
باسم الحماية والوصاية يُجتري حقّ لكم وتسدوسكم أقدام

هكذا كان الأجداد في الدفاع عن العز والشرف وقد ورثه الأبناء كابراً عن كابر.

وكفانا في البرهنة على ذلك مشاهدة المقاومة الإسلامية التي يقودها أبناء هذه التربة الطيبة، وما يبته منارها من روح الجهاد وعزم الكفاح. نعم هذا العطاء الثر للعاملين في كل عصر وزمان، إننا هو ثمرة اقتنائهم لفقهاهم وعلمائهم الواعين بالظروف والعارفين بمسؤولياتهم الملقاة على عاتقهم في كل زمان، قال الإمام الصادق عليه السلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوالب».

وعلى رأس هؤلاء ومقدمهم زعيم الإمامية و محققها ومرّوج مذهبها في زمانه

علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد العالي الكركي العاملي، المعروف بالمحقق الكركي وبالمحقق الثاني، ويقال له: علي بن عبد العالي اختصاراً، المولود عام ٨٦٨هـ والمتوفى ٩٤٠هـ.

وتدل آثاره وتآليفه ومواقفه السياسية والاجتماعية على أنه كعبة العلم ومناره، ولبّة الفضل وتياره، عالم محقق، وفاضل مضطلع، حاز قصب السبق في حلقات مختلفة، وما من علم من علوم الشريعة إلا وقد شرب من عذبه، وما من فنٍ إلا خاض في أعماقه، فهو ذو همة قعساء تناطح السماء.

ففي مجال الكلام متكلم بارع له أفكاره وآراءه، وفي مجال الفقه متخصص قليل النظير بل مبتكر في قواعده وأصوله، وفي مجال الدراية والرجال فارس حليتها ومرتكز لوائها، وفي دور السياسة وقيادة الأمة قائد محنك عارف بزمانه وظروفه، فلا غرو إذا وصفناه بقول الشاعر:

هو البحر من أي النواحي أتيته

فلجّته المعروف والجود ساحله

كما لا عتب على اليراع إذا وقف عن تعريف شخصيته وتبيين مواقفه وتقييم آثاره.

إنّ الإلمام بحياة الشيخ الكركي بكافة جوانبها رهن كتاب مفرد، غير أنّ نشير في هذا الكتاب إلى زوايا خاصة من حياته العلمية والسياسية ليقف القارئ عن كتب على ما للشيخ من فضائل ومناقب وآثار ومؤلفات فتأتي ترجمته الإجمالية ضمن فصول:

الفصل الأول: في حياته الشخصية منذ ولادته إلى وفاته.

الفصل الثاني: كلمات الشاء في حقّ المحقق.

الفصل الثالث: تصانيفه ومؤلفاته.

الفصل الرابع: آراؤه الفقهية.

الفصل الخامس: تلاميذه والمستجيزون منه.

الفصل السادس: حياته السياسية والخدمات التي قدمها للمجتمع.

الفصل الأول

حياته الشخصية

منذ

ولادته إلى وفاته

هو علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد العالي العاملي، زعيم الإمامية ومفتيها ومروج مذهبها في عصره، المعروف بالمحقق الكركي، وبالمحقق الثاني، ويقال له علي بن عبد العالي اختصاراً، وربما يشتبه بعلي بن عبد العالي بن محمد بن أحمد بن علي بن مفلح الميسي العاملي الشهير بابن مفلح (المتوفى ٩٣٨هـ) أحد كبار فقهاء الإمامية وعلمائها الربانين وهو والد زوجة الشهيد الثاني.

مولده، وتجوّاله في البلاد طلباً للعلم والحديث

ولد في «كرك نوح» سنة ٨٦٨هـ، وبعد ما درس في مسقط رأسه الفقه الشيعي على يد كبار علمائها آنذاك، لم تقتنع نفسه الطموحة بما أخذ فشدّ الرحال إلى سائر البلدان الإسلامية، يقول الأفندي التبريزي: قد سافر إلى بلاد الشام ثم

إلى بلاد مصر وأخذ عن علمائها.^(١)

وقد صرح في بعض إجازاته لتلاميذه بذلك، يقول في إجازته المفصلة للشيخ إبراهيم الخانيساري: وأما كتب أهل السنة في الفقه، فأتى أروي الكثير منها عن مشايخنا - رضوان الله عليهم - وعن مشايخ أهل السنة، خصوصاً «الصحيح» و«صحيح أبي الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري».

فأما روايتي لذلك عن أصحابنا فإنها هي بالإجازة، وأما عن مشايخ أهل السنة فبالقراءة لبعض المكتملة بالمناولة، وبالسماح لبعض، وبالإجازة لبعض، فقرأت بعض «صحيح البخاري» على عدة:

منهم: الشيخ الأجل العلامة، أبو يحيى زكريا الأنصاري، وناولني مجموعة مناولة مقرونة بالإجازة، وأخبرني أنه يرويه عن جمع من العلماء، منهم: قدوة الحفاظ ومحقق الوقت أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، قال:

أنا به العفيف أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد بن سليمان النيسابوري، سماعاً لمعظمه، وإجازة لسائرهم، قال:

أنا به الرضي أبو إبراهيم بن محمد الطبري، أنا به أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي حرقم، سماعاً لآشيتاً يسيراً، قال:

أنا به أبو الحسن علي بن حميد بن عمارة الطرابلسي، أنا به أبو مكتوم عيسى بن الحافظ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي، قال:

أنا به أبي، قال: أنا به أبو العباس أحمد بن أبي طالب ابن أبي النعم

نعمة بن حسن بن علي بن بيان الصالحِي الحجَّار، عرف بابن الشحنة، سماعاً لجميعه، قال أيضاً:

وأبأتنا به أمُّ محمد ستَّ الوزراء، وزيرة ابنة عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية، سماعاً لجميعه إلا يسيراً مجبوراً بالإجازة، قالت:

أبأنا به أبو عبد الله الحسين بن أبي بكر المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي، سماعاً، قال:

أبأنا به أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعبة الشجري الهروي، سماعاً عليه لجميعه، قال:

أخبرنا به أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر بن داود الداودي، قال:

أبأنا به أبو محمد عبد الله بن حمويه، أبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الغريزي، قال:

أبأنا به مؤلفه الحافظ الناقد أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

وأما «صحيح مسلم» فإني قرأت بعضه على الشيخ العلامة الرحلة عبد الرحمن بن الإبانة الأنصاري، بمصر في ثاني عشر من شعبان من سنة خمس وتسعمائة، وناولني باقيه متاوله مقرونة بالإجازة. وله إسناد عالٍ مشهور بالصحيح المذكور، وسمعتَه إلا مواضع بدمشق بالجامع الأمويّ على العلامة الشيخ علاء الدين البصرويّ، وأجازني روايته ورواية جميع مروياته، وكذا سمعت عليه معظم مسند الفقيه الرئيس الأعظم محمد بن إدريس الشافعيّ المطلق.

وأما موطأ الإمام العالم مالك بن أنس، نزيل دار الهجرة المقدسة، فإني أرويه بعدة طرق عن أشياخ علماء الخاصة والعامة، وكذا «مسند الإمام المحدث

الجليل أحمد بن حنبل» و «مسند أبي يعلى» و «سنن البيهقي» و «سنن الدارقطني» وغير ذلك من المصنّفات الكثيرة الشهيرة، وقد اشتمل عليها مواضع ومطآن هي معادنها، فليرجع إليها عند الحاجة.^(١)

كما صرح بذلك أيضاً في إجازته للشيخ أحمد بن محمد خاتون العاملي قال: وقد أخذتُ عن علماء العامة كثيراً من مشاهير كتبهم.

ففي الفقه مثل «المنهاج» للشيخ الإمام محيي الدين النووي، ومثل «الحاوي الصغير» للإمام عبد الغفار القزويني، ومثل «الشرحين الكبير والصغير» على الوجيز» للشيخ المحقق الإمام عبد الكريم القزويني، وغير ذلك.

وفي الحديث مثل «الصحيحين» للإمامين الحافظين الناقدين البخاري ومسلم، وغيرهما من الصحاح، ومثل «المصابيح» للبخاري، و «مسند الشافعي» و «مسند أحمد بن حنبل».

وفي التفسير مثل «معالم التنزيل» للبخاري أيضاً، و «تفسير العلامة القرطبي» و «تفسير القاضي البيضاوي»، وغير ذلك.

فبعض هذه بالقراءة، وبعضها بالسماع، وبعضها بالإجازة، وربما كان في بعض مع الإجازة مناولة.

وأسانيد هذه موجودة في متون الإجازات التي لي من أشياخ أهل السنة، وبعضها مكتوبة بخطي وعليها تصحيح من أخذتُ عنه، منهم بخطه.^(٢)

كل ذلك يدل على أنّ المحقق الكركي قد تحمل مشاق السفر إلى البلدان

١. كشف الغمّة، مخطوط، نسختمدرسة الناهزي في حوي، رقم ١٦١. كما في حياة المحقق الكركي

وآثاره: ٢/٢٦٨.

٢. أعيان الشيعة: ٦/١٣٧.

لتحمّل الحديث وغيره عن أساتذة الوقت.

عودته إلى كرك

ثمّ إنّّه بعدما طاف البلاد وأخذ ما احتاج إليه من العلوم عاد إلى كرك وبقي فيها فترة قصيرة، وقد شهد على اجتهاده وتوسّعه في العلوم عالمان كبيران من أعيان العصر، هما:

١. علي بن أحمد بن محمد هلال الكركي العاملي الشهير بعلي بن هلال الجزائري (المتوفى نحو عام ٩١٠هـ)، أجازته عام ٩٠٩هـ قبل هجرته إلى العراق. وسيوافيك نصّ الإجازة في الفصل القادم.

٢. إبراهيم بن الحسن الدراق الذي هو أوثق مشايخ الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي - أحد المعارضين للمحقّق الكركي في بعض المسائل الفقهية التي لها طابع سياسي، كالخراج وصلاة الجمعة -، و أمّا إجازة الدراق للمحقّق الكركي فقد ذكر صاحب «الروضات» أنّه رأى هذه الإجازة، وتاريخها شهر رمضان سنة (٩٠٩هـ).^(١)

ولم يكتفِ صاحبنا بذلك، بل قرّر الذهاب إلى النجف الأشرف المدرسة الكبرى للشيعة، فسار إليها وهو يحمل الإجازتين اللتين تشهدان على علوّ كعبه ومكانته.

ولكن لم نجد في مصادر ترجمته ما يدلّ على حضوره أبحاث أحد من مشايخ النجف الأشرف، بل لعلّه غادر كرك لأجل نشر ما أخذه على طلاب تلك المدرسة.

١. لاحظ: الذريعة: ١٠/ ١٣٣.

نزل المحقق الكركي على النجف الأشرف مدينة العلم وهو يدرّس، ويفيض ويربّي إلى أن احتلت جيوش الدولة الصفوية العراق، ودخل سلطانها بغداد في الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة (عام ٩١٤هـ)، وزار العتبات المقدّسة في كربلاء والنجف الأشرف ثم عاد إلى إيران.

وطبع الحال يقتضي أنّه تعرّف في تلك الفترة على المحقق الكركي، لأنّه الفقيه البارز المشار إليه بالبنان.

فلما عاد الملك إلى إيران أمر بإرسال الهدايا والصلوات إلى المحقق الكركي حتّى أنّ المصادر تؤكد على أنّه كان يصل إليه في كلّ سنة سبعون ألف دينار شرعي لينفقها على الطلاب والمشتغلين.^(١)

كان المحقق الكركي يدرّس و يؤلف إلى أن وصلت إليه الدعوة من ملك الدولة الصفوية للتوجّه إلى إيران، فلبّى دعوته لنوايا دينية، ويقصد تغيير مسيرة الدولة والسعي إلى إقامتها على أساس الموازين الشرعية، وبجعل الحوار الديني بديلاً عن منطق القسوة والتسلّط، فأعدّ العدة للهجرة إلى إيران في أواخر عام (٩١٦هـ).

دخل المحقق الكركي على الشاه إسماعيل بعد فتحه مدينة «هراة»، ثمّ استقر في مدينة مشهد المقدّسة فألّف فيها الرسالة الجعفرية التي أتمّها في العاشر من جمادى الآخرة، كما انتهى من تأليف «نفحات اللاهوت» في السادس عشر من شهر ذي الحجّة سنة (٩١٧هـ).

وظل يرافق الملك في تجواله في البلاد، وتدلّ المصادر على وجوده في منطقة

«سلطانية» التابعة لزنجان عام ٩١٨هـ. ومع ذلك كله لم يكن النجاح حليفاً للمحقق في جميع خطواته، ولم تحقق له رحلته هذه ما كان ينشده من أهداف، لأن النزاع النفسية للملك وأخلاقه الخاصة عاقته عن التطوير الذي كان يتوخاه في ركائز الدولة، فلم يجد بدأً من الرجوع إلى العراق في أواخر عام (٩١٩هـ) أو عام (٩٢٠هـ).

الهجرة الثانية إلى إيران

عاد المحقق إلى العراق بقلب موجع ونفس حزينة، ومع ذلك كله كان يشعر بالارتياح، لأنه أدى وظيفته الشرعية، فاستقر في النجف الأشرف مشغولاً بالتدريس والتأليف وتربية الجيل كما يظهر من الإجازات التي أصدرها في تلك المرحلة لكثير من العلماء.

وقد توفي الملك إسماعيل عام (٩٣٠هـ) وفوض الأمر إلى ولده طهماسب الذي كان صغيراً عند وفاة والده ولما بلغ استلم الحكم عام (٩٣٦هـ). وأول ما كان يحلم به الملك الجديد هو إعادة العراق لسيطرة الدولة الصفوية بعدما انتزعه منها العثمانيون، فاحتل بغداد في الرابع والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ٩٣٦هـ^(١).

ثم زار العتبات المقدسة في مدينة كربلاء والنجف وطلب من المحقق الكركي صحبتته، فهاجر إلى إيران في نفس السنة، وبقي فيها ثلاث سنوات وقد وصل الكركي في هذه المرحلة إلى قمة الهرم وحقق ما كان يطلبه.

وكان الملك طهاسب على خلاف والده ذا صدر رجب، يحترم آراء وتوجيهات المحقق الكركي، وفي ضوء ذلك أصدر الملك عام (٩٣٦هـ) بلاغاً أمر فيه كافة الأمراء والقادة بامتنال أوامره، وتطبيق إرشاداته.

وفي هذا الجو الهادئ والقدرة غير المنازع عليها وجد الكركي أمنيته فأخذ يوجه إلى حكام الولايات رسائل مباشرة تتضمن قوانين العدل وكيفية سلوك العمال مع الرعية في أخذ الخراج وكميته ومدته، وأخذ يتجول في أنحاء المدن الإيرانية الواسعة، فيعزل من الولاة من لا يراه صالحاً لذلك، ويولي من يراه صالحاً للولاية.

وأمر بإنشاء المدارس وتقوية الحوزات العلمية، وعين في كل مدرسة معلماً يعلمهم أحكام دينهم، كما أخذ هو على نفسه تعليم كبار رجال الدولة من الأمراء والقادة.

وتشهد الإجازات التي منحها لكثير من العلماء على أنه كان يتجول في البلاد، حيث نرى أنه أجاز للسيد محمد مهدي ابن السيد محسن الرضوي المشهدي في مدينة قم، كما أنه أجاز لكيال الدين درويش محمد بن الحسن العاملي في مدينة أصفهان.

ومع أنه أحرز نجاحاً باهراً في هذه المرة، إلا أنه - وبسبب بعض القلاقل - عاد إلى العراق عام (٩٣٩هـ)، قائماً بوظائفه إلى أن وافته المنية في مدينة النجف بعد سنة ونصف من عودته، وذلك في عام (٩٤٠هـ). وأرخ عام وفاته بزيادة «مقتداى شيعة» المساوية لعام ٩٤٠هـ.

يقول السيد حسين البروجردي في منظومته الرجالية:

ثمّ علي بن عبد العالي محقق ثمان وذو المعالي
 بالحق احمى السنة الشنيعة لفوته قد قيل «مقتداى شيعه»

ما ذكرناه، ترجمة موجزة لحياة فقيه كبير، كرس نفسه للعلم وأهله، وتحمل
 مشاق الأسفار لإقامة لواء العدل وبسط القسط.

فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم بيعت حياً.

الفصل الثاني

كلمات الثناء في حقّ المحقق

اعتقد أنّ المحقق الكركي غني عن نقل أي مدح وثناء في حقّه من غير فرق بين ما صدر عن أساتذته أو معاصريه أو المتأخرين عنه .

غير أنّ إيقاف القارئ على مكانته العلمية والاجتماعية عن كتب، يقتضي ذكر بعض ما قيل في حقّه من المدح والثناء، وقد جمع الفاضل المعاصر الشيخ محمد الحسنون كلمات العلماء في حقّه فبلغت أربعين كلمة لأربعين شخصاً، نقتطف منها ما يلي:

١ . ثناء أستاذه محمد بن علي العاملي

يُعتبر الشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي من أعلام أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر وقد أجاز للمحقق الكركي ومآ جاء في إجازته:

أما بعد فإنّ العلم لا يخفى شرفه وسموّه ومقداره، ولما كانت الرواية هي أكبر الوصلة إليه والسبيل إليه . وكان تمّ يشمّ أعلى ذراه، وأحاط بصريحه وفحواه، وهو أهل أن يؤخذ منه، وينقل عنه، ذلك الشيخ الفاضل، والعالم العامل، والرئيس الكامل، زين الإسلام، الشيخ زين الدين علي ولد الشيخ الورع التقي

التي الزاهد العابد عز الدين حسين بن عبد العالي، أعلى الله شأنه وصانه عمًا
شأنه.^(١)

٢. ثناء أستاذه علي بن هلال الجزائري

لما استجاز المحقق أستاذه علي بن هلال الجزائري، أجازته بالتكريم
والاجلال، وقال:

وكان بتوفيق الله العظيم، وفضل منحه الجسيم، من طلاب هذه الإفادة،
والراغبين في نيل هذه السعادة، الشيخ العالم العامل، الفاضل الكامل، المؤيد
بالنفس الزكية، والأخلاق المرضية، من منحه الله العظيم، بالعقل السليم، والنظر
الصائب، والحدس الثاقب، المولى الشيخ زين الدين علي - أعلى الله مجده -، ابن
الشيخ عز الدين حسين بن الشيخ زين الدين علي بن عبد العالي، التمس من
المملوك إجازة، ولم أكن لذلك أهلاً، لولا خلوة الزمان من أهل الفضل والكمال،
لقلة البضاعة، وقصور باعي في هذه الصناعة، فأنشدت عند ذلك ما قاله المعلّي
وقد مدحه بعض الفضلاء:

لعمري أيبك ما نسب المعلّي إلى كرم وفي الدنيا كريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رعي المهشيم

ولكّتي لم أجد المنع جيلاً، ولا إلى ترك الإجابة سبيلاً لتحريم منع العلم
عن الطالبين ووجوب بذله لأهله المستحقين، فأجبت ما التمس بالسمع
والطاعة، مع قصور باعي في الصناعة، وقلة ما معي من البضاعة، وأجزت له أدام

١. بحار الأنوار: ١٠٥/٢٠، ط بيروت.

الله أيامه وفضائله وأسبغ عليه نعمه وفواضله، ومدّ له في العمر السعيد ومتّعه بالعيش الرغيد، ورفع ذكره في الخافقين، وبلّغ الله بمنّه سعادة الدارين، إنّه خير موفق ومعين، أن يروي عني عن شيخي المولى الشيخ الأعظم العالم العامل الفاضل الكامل الشيخ عزّ الدين حسن بن يوسف الشهرير بابن العشرة، وعن شيخي المولى الإمام الأعظم البارز على أقرانه في زمانه ذي النفس القدسيّة، والأخلاق المرضية الشيخ عزّ الدين حسن بن الشيخ عزّ الدين حسين الشهرير بابن مطر، وعن شيخي المولى الإمام الأجل الأعظم الأفضل الأكمل الأعلّم علامة علماء الإسلام وخلاصة فضلاء الزمان في زمانه المبرّز على أقرانه أبي العباس جمال الملة والحقّ والدنيا والدين، أحمد بن فهد تغمّده الله بسوايغ رحمته وأسكنه بأعلى منازل جنته كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام من تصانيف الشيخ المولى الإمام الأعظم الأفضل الأكمل الأعلّم الشيخ جمال الملة والحقّ والدنيا والدين الشيخ الإمام سديد الدين يوسف ابن المطهر عن والده عن ولده الشيخ فخر الدين.^(١)

وفي آخر الإجازة وكتب العبد الفقير إلى رحمة ربّه الغني علي بن هلال الجزائري مولداً العراقي أصلاً ومعتداً يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان من شهور سنة تسع وتسعمائة والحمد لله وحده، وصلى الله على سيّدنا محمّد المصطفى وآله الطاهرين.^(٢)

وتعبّر الإجازة عن مكانته السامية عند أستاذه وعن إحرازه مرتبة الاجتهاد.

٣. ثناء الشهيد الثاني (المتوفى ٩٦٥هـ)

قال الشهيد الثاني - الغني عن التعريف - في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي الصادرة له في ليلة الخميس الثالث من جمادى الآخر سنة ٩٤١هـ: وعن الشيخ جمال الدين أحمد وجماعة من الأصحاب الأنصار، عن الشيخ الإمام المحقق نادرة الزمان وبيتمة الأوان، الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي رحمته. وفي مكان آخر من الإجازة قال: ومنها عن شيخنا الجليل المتقن الفاضل جمال الدين أحمد... عن الشيخ الإمام ملك العلماء والمحققين نور الدين علي بن عبد العالي الكركي المولد الغروي الخاتمة. ^(١)

الشيخ الإمام ملك العلماء والمحققين. ^(٢)

٤. ثناء المجلسي الثاني (المتوفى ١١١٠هـ)

وصف محمد باقر المجلسي المحقق الكركي في أول كتابه «بحار الأنوار» - بعد ذكر مؤلفاته - وبقوله:

أفضل المحققين، مروج مذهب الأئمة الطاهرين نور الدين علي بن عبد العالي الكركي أجزل الله تشريفه.

وقال في موضع آخر منه: والشيخ مروج المذهب نور الدين - حشره الله مع الأئمة الطاهرين - حقوقه على الإيوان وأهله أكثر من أن تُشكر على أقله وتصانيفه في نهاية الرزانة والتمانة. ^(٣)

٢. بحار الأنوار: ١٥٦/١٠٥ و ١٥٦.

١. بحار الأنوار: ١٥٦/١٠٥.

٣. بحار الأنوار: ١/٢١ و ٤١.

٥. ثناء الأفتندي التبريزي (المتوفى ١١٣٤هـ)

وقال الميرزا عبد الله أفندي التبريزي حجة التاريخ في عصره في كتابه
«رياض العلماء»:

الفقيه المجتهد الكبير العالم العلامة شيخ المذهب ومدّمر دين أهل
النصب والنواصب.^(١)

٦. ثناء المحدّث البحراني (المتوفى ١١٨٦هـ)

أما الشيخ يوسف البحراني فقيه الأخباريين في عصره، فقد وصفه في كتابه
«لؤلؤة البحرين» بقوله:

هو في الفضل والتحقيق وجودة التعبير والتدقيق أشهر من أن يكن،
وكفاك اشتهاره بالمحقق الثاني، وكان مجتهداً صرفاً أصولياً بحتاً.^(٢)

٧. ثناء شيخ الشريعة الاصفهاني (المتوفى ١٣٣٩هـ)

يعدّ شيخ الشريعة الاصفهاني أحد النوابغ القلائل في القرن الرابع عشر^(٣)
وقد جمع من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر ذكره في البلدان، وقد تخرّج عليه
أكثر من تأخر عنه ممّن تسنّم منصة المرجعية للشريعة.

حكى الوالد^(٤) وهو ممّن عكف على دروس الشيخ عشر سنين وكتب شيئاً
كثيراً من محاضراته التي كان يلقيها على تلاميذه في مسجد الطوسي أحد المساجد

١. رياض العلماء: ٣/ ٤٤١.

٢. لؤلؤة البحرين: ١٥١.

٣. أفرد ترجمته في موسوعة طبقات الفقهاء: القرن الرابع عشر: ١٤/ ٤٨٣.

المعروفة في التجف الأشرف.

حكى عن أستاذه أنه قال وهو على منبر التدريس: إنَّ لعلمين جليلين، حقاً عظيماً في بيان مذهب الشيعة في حقل العقيدة والشريعة ألا وهما: الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ)، والمحقق الكركي.

أما الأول فقد بذل جهوده في تنقيح عقائد الشيعة، وتهذيبها مما ألصقه بها الغلاة عبر الزمان، حيث قام بتصحيح عقائد الصدوق وناقش بعض أصوله، فبجهوده ازدهر المذهب في حقل العقيدة وعنه صدر من تأخر عنه.

وأما الثاني، فهو برسائله التي ألفها حول مسائل فقهية مختلفة، وبشرحه على القواعد، المسمى بجامع المقاصد قد أكمل الأسس والمباني التي يرتكز عليها قسم من المسائل الفقهية. فهو والشيخ المفيد، صنوان على أصل واحد تكاملت بهما مباني المذهب في كلا المجالين.^(١)

إلى غير ذلك من كلمات الشاء والتقدير والتبجيل في حق شيخنا المحقق على نحو يتبين للقارئ أن العلماء على اختلاف مسالكهم ومشاربهم في الفقه اتفقوا على جلالته وعلو كعبه في الفقه وأصوله، وخدماته الصادقة على الدين وأهله.

١ . سمعته عن الوالد الشيخ محمد حسين السبحاني رحمته الله.

الفصل الثالث

جولة في آثاره وتصانيفه

حقيقة الإنسان هي آراؤه وأفكاره فهي التي تمثل شخصيته وثقافته، فالآثار التي يتركها العلماء والمحققون خير دليل على مدى ما يتمتعون به من اطلاع ووعي.

إنّ علماءنا الماضين - رضوان الله عليهم - على أصناف: فمنهم من بلغ القمة في التفكير والمعرفة ولكن قل أثره ونَدْر تأليفه، فهؤلاء هم المتوغلون في المطالعة والدراسة، الحائذون عن الكتابة والضبط. ومنهم من توغل في التصنيف والتأليف دون تحقيق وتحليل وكان همه جمع الكلمات من هنا وهناك، فلا يوجد فيها شيء يعد من منتجاته الفكرية، وهذا كأكثر من كتب في التاريخ والتراجم.

ومنهم من جمع بين المنقبتين وصار ذا رئاستين فجمع بين الفكر والقلم فأودع أفكاره في قوالب تأليف تنير الدرب للجيل الآتي، وهم اللامعون بين العلماء لمعان النجوم في الليالي المظلمة كالشيخ المفيد والمرتضى والرضي (الكوكبان في سماء العلم والأدب) والشيخ الطوسي والطبري إلى غير ذلك من الشهب الثاقبة.

إنَّ شيخنا المحقق الكركي في الرعيل الأوّل من الصنف الثالث، فألّف وحقّق فبلغ في التحقيق إلى درجة عالية حتّى سُمّي بالمحقّق الثاني، فلم يترك ما جاد به ذهنه السوّاد للضباع، بل أودعه في قالب التأليف وإن كان أكثر تآليفه يدور حول الفقه والأصول.

والحقّ أنّ الشيخ الكركي هو الرجل الأمثل في سماء التحقيق، قلّما يسمع الدهر بمثله إلّا في فترات يسيرة، فهلمّ معي نقف على بعض أسماء كتبه، ممّاله دور في فتاوى الفقهاء المتأخرين ونقدّم الأهم على المهم في الذكر:

١. جامع المقاصد

هذا الكتاب هو بيت القصيد بين مؤلفاته، ألفه في النجف الأشرف أيام الدولة الصفوية كما أشار إليه في مقدمة الكتاب، وهو شرح لكتاب قواعد الأحكام للعلامة الحليّ (المتوفى سنة ٧٢٦هـ).

وقد وصل فيه إلى بحث تفويض البضع من كتاب النكاح. وفرغ من هذا الجزء عام ٩٣٥هـ. ولم يحالفه التوفيق لإكماله، ولعلّ من أحد أسبابه هو مغادرة العراق متوجّهاً إلى إيران لإصلاح دقّة الحكم وتطبيقه على صعيد الشريعة.

والكتاب غني عن كلّ تعريف وعن كلّ إطراء وثناء، فهو من أوثق المراجع الفقهية للفقهاء العظام حيث جمع بين العمق والوضوح في التعبير، وقد حكى عن الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر أنّه قال: من كان عنده «جامع المقاصد» و«الوسائل» و«الجواهر» فلا يحتاج إلى كتاب آخر للخروج عن عهدة الفحص الواجب على الفقيه في آحاد المسائل الفرعية»^(١).

١. جواهر الكلام (المقدمة): ١٤ / ١.

وكفى في فضله أن شيخنا الشهيد الثاني الذي يضرب به المثل في الفقه والأصول، صدر في كتابه «المسالك» عن هذا الكتاب كثيراً.
وبما أن «جامع المقاصد» لم يتجاوز عن كتاب النكاح، فقد قام الفاضل الاصفهاني (١١٣٦هـ) بإتمامه بتأليف كتاب أسماه «كشف اللثام والإبهام عن قواعد الأحكام»، فابتدأ فيه من حيث انتهى إليه الكركي وأنها إلى آخر «القواعد» ثم ابتدأ من أوله، فخرج منه الطهارة والصلاة والحجّ.

٢. قاطعة اللجاج في حلّ الخراج

وقد نسبها إليه غير واحد ممن ترجم للشيخ المحقق^(١)، وهي وإن كانت رسالة صغيرة في حجمها لكنّها كبيرة في محتواها، تعرّض فيها مصنّفها لمسألة مهمة جدّاً وهي مسألة الخراج وحلّية أخذه من السلطان الجائر، وتعيين الأراضي الخراجية عن غيرها.

انتهى من تأليفه سنة ٩١٦هـ ولعلّ شيخنا المحقق أول فقيه تكلم عن الخراج على وجه مبسوط، ولما ثقل حكمه بالحليّة على بعض معاصريه - أعني: الشيخ إبراهيم القطيفي (المتوفى عام ٩٤٥هـ) - قام بتقضه بشكل عنيف وأسمى كتابه «السراج الروهاج لدفع قاطعة اللجاج»، فرغ منه عام ٩٢٤هـ وأسلوبه لا يناسب أسلوب التحقيق، البعيد عن التعصب، وسياويك التفصيل عن الكتاب في الفصل الخاص بالإشارة إلى آراء المحقق وأفكاره.

٣. صلاة الجمعة

وهي رسالة لطيفة تتسم بالعمق والشمولية تبحث عن صلاة الجمعة في

١. أمل الأمل: ١/١٢١؛ رياض العلماء: ٢/٤٤٤ إلى غير ذلك.

ثلاث أبواب وخاتمة، وقد انتهى من تأليفها عام ٩٢١هـ.

وقد نال الكتاب مكانة عالية بين الفقهاء وقد قام بترجمته من العربية إلى الفارسية الأستاذ محمد صادق سركاني الذي كان حياً عام ١٠٣٣هـ.

ثم إن لشيخنا المحقق ألواناً من التأليف يتخذها خطوة لما يتبناه، فتارة يؤلف رسائل في مجال الإجابة عن الأسئلة، وأخرى يُعلّق على الكتب، وثالثة يفرد بعض المسائل المهمة بالتأليف فنذكر من كل قسم بعضه.

أما الأجوبة فكالآتي:

١. جواب السؤال عن إثبات المعدوم.

٢. جواب السؤال عن أبي مسلم الخراساني.

٣. جواب الشيخ حسين الصيمري.

٤. جوابات الشيخ يوسف المازندراني

٥. جوابات المسائل الفقهية الأولى.

٦. جوابات المسائل الفقهية الثانية.

وأما القسم الثاني فهذه حواشيه وتعاليقه على الكتب الفقهية نكتفي بذكر

أسمائها:

٧. حاشية الألفية، ٨. حاشية تحرير الأحكام، ٩. حاشية الجعفرية، ١٠.

حاشية شرائع الإسلام، ١١. حاشية قواعد الأحكام، ١٢. حاشية للمعة

الدمشقية، ١٣. حاشية المختصر النافع، ١٤. حاشية مختلف الشيعة، ١٥.

حاشية ميراث المختصر النافع.

وأما اللون الثالث - أعني: أفراد بعض المسائل بالتأليف - فكالآتي:

١٦. السجود على التربة المشوية، ١٧. شروط النكاح، ١٨. ملاقي الشبهة المحصورة.

إلى غير ذلك من التأليف التي أنماها المحقق الشيخ محمد الحسون إلى ٨٢ تأليفاً^(١).

ثمره ناضجة لحوزة الشهيد الأول

إنَّ المحقق الكركي ثمره ناضجة للحوزة العلمية التي أرساها الشهيد الأول محمد مكي العاملي (٧٣٤-٧٨٦هـ) وخرجت جيلاً كبيراً من الفقهاء والمحققين وفي طليعتهم:

١. السيد أبو طالب أحمد بن قاسم بن زهرة الحسيني.
٢. الشيخ جمال الدين أحمد بن النجار صاحب التعليقة على قواعد العلامة الحلبي.
٣. الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن بن محمد المكي، وهو ابنه والمجاز منه.

٤. الشيخ ضياء الدين أبو القاسم علي بن الشهيد (الأوسط).
٥. الشيخ رضي الدين أبو طالب محمد (وهو أكبر أولاده).
٦. ولم يقتصر على تربية الرجال بل ربّى ابنته فاطمة التي اشتهرت فيما بعد بلقب ست المشايخ ولما توفيت شارك في تشييع جثمانها سبعون مجتهداً.
٧. وأخيرهم لا آخرهم شرف الدين أبو عبد الله مقداد بن عبد الله (المتوفى

سنة ٨٢٦ هـ)، صاحب المؤلفات الممتعة.

إلى غير ذلك من عباقرة العصر وأساطين الفقه، وقد أنهام محمد رضا شمس الدين في كتابه إلى ٣٢ عالماً كبيراً، ويدل هذا العدد على كثرة التلاميذ الكبار الذين تربوا على يديه.

كانت الحوزة العلمية التي أسسها الشهيد كشجرة مثمرة تؤتي أكلها كل حين ومن ثمراتها الشيخ المحقق الكركي.

فقد صار في فقهه وأصوله على ضوء ما تلقاه من مشايخه الكبار الذين تربوا في أحضان تلك الحوزة.

وقد كانت الحوزة تتسع وتفيض قرناً بعد قرن إلى أن قضى عليها (الجزائر) في أواخر القرن الثاني عشر، الذي قام بأعمال يندى لها الجبين، وهو أخو الحجاج في السفك والقتل.

يحكي الشيخ محمد جواد مغنية تلك الحالة المأساوية التي حلت بجبل عامل و علمائها وآثارها فيقول:

«وفعل الجزائر والي عكا بجبل عامل فعل الحجاج في العراق، فبعد أن قتل الشيخ ناصيف النصار رئيس البلاد العاملة قبض الجزائر على عدد من العلماء والرؤساء، وقتل جماعة، منهم العالم السيد هبة الدين الموسى، والسيد محمد آل شكر، والشيخ محمد العسيلي، ومنهم الشيخ علي خاتون الفقيه الطيب، قال صاحب «أعيان الشيعة» ج ٤١:

«كان عالماً فاضلاً فقيهاً جليلاً متبحراً في علم الطب، وهو من علماء عصر الشيخ ناصيف النصار الوائلي، شيخ مشايخ جبل عامل، قبض عليه أحمد باشا الجزائر فيمن قبض من علماء ووجوه جبل عامل، وجبسه في عكا، وعذبه، ثم

قتله، وكان يجمي له الساج حتى يحمر، ثم يضعه على رأسه».

وانتهب الجزائر أموال العاملين، ومكتباتهم، وكان في مكتبة آل خاتون خمسة آلاف مجلد، وبقيت أفران عكا توقد اسبوعاً كاملاً من كتب العاملين، ولم يسلم من ظلم الجزائر إلا من استطاع الفرار، وفي عهده هاجر علماء جبل عامل مشردين في الأقطار، ومن هؤلاء العالم الشاعر الشيخ إبراهيم يحيى هرب من الجزائر إلى دمشق، وفي نفسه لوعة وحسرة، وذكر فظائع الجزائر لا تفارقه بحال، وقد صورها، وهو شاهد عيان، في قصائد تدمي الأفتدة والقلوب»^(١).

الفصل الرابع

تلاميذه والمستجيزون منه

إنّ تربية جيل كبير في مجال من المجالات العلمية، دليل على أنّ المرهب ذو كفاءة عالية ومواهب فذة تتجلى في مقدرته على النهوض بهذه المهمة وتخرير الجيأ الغفير في حقل من الحقول.

ولا أنسى قول الشيخ المصلح محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٥هـ- ١٣٧٣هـ) حينما سُئل عن الأعلم بعد رحيل السيد الاصفهاني في النجف الأشرف قال: إنّ الموفق في مجال التعليم والتأليف في مجال الفقه والأصول هو الأعلم.

ولعلّ القارئ يتصوّر وإهما أنّ بيان الشيخ بيان خطابي، والحقّ أنه بيان موضوعي مطابق للقوانين العلمية. نعم ليست القاعدة هي ضابطة كلية بل غالية.

ومآ حباه الله سبحانه للمحقق الكركي أنّ التوفيق حالفه في كلا المجالين: مجال التأليف والتصنيف ومجال التعليم والتربية، فقد تخرّج من مدرسته جمع كبير يعدون من الرعيل الأوّل من فقهاء القرن العاشر ومَن يشار إليهم بالبنان. وانبرى هؤلاء التلامذة لنقل آراء شيخهم وأستاذهم إلى الآخرين، وقد

تصدى الفاضل المحقق محمد الحسنون في موسوعته لاستخراج أسماء تلاميذ شيخنا، فأحصى ٥٦ شخصية علمية انتهلت من معين علمه، ونحن نذكر بعض مشاهيرهم، ولعل هناك شخصيات أخرى تتلمذت عليه ولكن أهمل التاريخ أسماءهم.

١. الشيخ عبد الله اليزدي (المتوفى ٩٨١هـ)

هو عبد الله بن حسين اليزدي نزيل النجف الأشرف العالم الإمامي المنطقي صاحب الحاشية على تهذيب المنطق المعروفة بحاشية ملاً عبد الله، ويلقب بـ «نجم الدين».

وصفه المحيبي في «خلاصة الأثر» بعلمه زمانه وقال: كان منهمكاً على المطالعة والاشتغال بالعلم ومنحه لمستحقه، وكان مبارك التدريس ما اشتغل عليه أحد إلا انتفع به.

وقال الأندلسي التبريزي: العلامة المتكلم الفقيه المنطقي. وكانت له مدرسة دينية في النجف الأشرف.^(١)

٢. عبد العلي بن علي الاسترآبادي (كان حياً ٩٢٩هـ)

ضياء الدين عبد العلي بن نور الدين علي الاسترآبادي. صحب المحقق الكركي - لما ورد عليهم أسترآباد - مدة من الزمان.

ثم ارتحل إلى النجف الأشرف، وجاور بها مدة، عاكفاً على الخوض في علوم الشريعة، فلازم الكركي المذكور، وقرأ عليه بعض الكتب الفقهية، وسمع بقراءة

١. انظر ترجمته في موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠/١٣٣.

غيره جملة كثيرة، فمما سمعه كتاب «إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان» للعلامة الحلي، وحواشي أستاذه على الكتاب المذكور، والجزء الأول من كتاب شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام للمحقق الحلي وغير ذلك.

ثم أجاز له في شهر رمضان سنة (٩٢٩هـ) بالتدريس والإفادة ورواية جميع ما للرواية فيه مدخل من معقول ومنقول وفروع وأصول وفقه وحديث وتفسير، واصفاً إياه بالشيخ الأجل... قدوة الفضلاء، زبدة العلماء.^(١)

٣. أسد الله التستري (المتوفى ٩٦٦هـ)

هو أسد الله بن زين الدين المرعشي التستري الفقيه الإمامي المعروف بشاه مير. أخذ عن المحقق علي بن عبد العالي الكركي وبرز في العلوم، ثم تقلد منصب الصدارة في البلاد الإيرانية في عهد طهماسب الصفوي في حدود سنة ٩٤٦هـ.

وكان فقيهاً متكلماً محدثاً زاهداً، شاعراً.

كتب حواشي على عدة كتب منها: قواعد الأحكام للعلامة الحلي، وشرائع الإسلام للمحقق الحلي، الكافي للكلييني، شرح تجريد الاعتقاد وشرح الجفميني في الهيئة.^(٢)

٤. ابن خاتون (كان حياً عام ٩٣٤هـ)

أحمد بن محمد بن خاتون العاملي العيناثي، وصفه الشهيد الثاني بالإمام

١. انظر ترجمته في موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠/١٢٩.

٢. موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠/٦٥.

الحافظ المتقن، خلاصة الأتقياء والفضلاء والنبلاء^(١).

قرأ على المحقق الكركمي وأجاز له ولولديه نعمة الله علي، وزين الدين جعفر في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة (٩٣١هـ).

نذكر من الإجازة ما يلي: وبعد: فإن الأخ في الله المرتضى للأخوة الشيخ العالم الفاضل الكامل بقية العلماء ومرجع الفضلاء جامع الكمالات، حاوي محاسن الصفات، بركة المسلمين، عمدة المحصلين، ملاذ الطالبين، جمال الملة والدين أبي عبد الله أحمد بن محمد، الشهرير بابن أبي خاتون العاملي، أدام الله تعالى أيام الخلف الكريم، وتعمد بمراحمه السلف البرّ الرحيم.

التمس من هذا الضعيف، كاتب هذه الأحرف بيده الجانية، علي بن عبد العالي - تجاوز الله عن ذنوبه، وأسبل ستره الضافي على سيئاته وعيوبه - أن أُجيزه مع ولديه السعيدين النجيين، المؤيدين من الله سبحانه بكمال عنايته: الشيخ نعمة الله علي، والشيخ زين الدين جعفر - أبقاهما الله بقاء جيلاً في ظل والدهما، لا زال ظلّه ظليلاً - برواية جميع ما يجوز لي وعتي روايته، ممّا للرواية فيه مدخل، من معقول ومتقول، خصوصاً ما أملاه خاطري الفاتر على قلم العجز والتقصير من مؤلف اقتفيت به أثر من تقدمني، ومصنّف، حاولت فيه سلوك من سبقني، على ما أنا فيه من قصور الهمة، وسكون الفكرة، وفتور العزيمة، وتباعد الرواية، وكثرة الشواغل، ومضادة الزمان.

فلم أجد بدلاً من مقابلة التماسه بالإجابة؛ لأمر عديدة توجب عليّ ذلك وإن كنت حريّاً بأن لا أفعل^(٢).

١. بحار الأنوار: ١٠٥/١٥١ ضمن الإجازة ٥٣.

٢. موسوعة طبقات الفقهاء: ١٠٠/٥٢؛ أعيان الشيعة: ٣/١٣٧.

٥. علي بن عبد الصمد (كان حياً ٩٣٥هـ)

ابن محمد بن علي الحارثي الهمداني، نور الدين أبو القاسم الجبعي العاملي، عم العالم الشهير بهاء الدين العاملي.

قرأ على المحقق الكركي بالنجف الأشرف جملة من رسالته «الجعفرية» في فقه الصلاة وسمع معظمها، فأجاز له في سنة (٩٣٥هـ) روايتها ورتّبه بالعمل بما تضمنته من الفتاوى.

وأخذ أيضاً عن الشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (المتوفى ٩٦٦هـ).

وكان فقيهاً محدثاً شاعراً، من جلة علماء الإمامية.

صنّف كتاب الدرّة الصفيّة في نظم «الألفية» في فقه الصلاة للشهيد الأول. ولم نظفر بتاريخ وفاته.

وهو أكبر من أخيه الحسين (المتوفى ٩٨٤هـ) والد بهاء الدين، لكنّه أقلّ شهرة منه.

وقد أجاز له المحقق الكركي وإليك نصّ الإجازة:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد، فقد قرأ عليّ جملة من الرسالة الموسومة بـ«الجعفرية» في فقه الصلاة وسمع معظمها، الصالح الفاضل الشيخ نور الدين ابن الشيخ الفاضل عمدة الأخيار ضياء الدين عبد الصمد، ابن المرحوم المقدّس، قدوة الأجلّاء في العالمين، شمس الدين محمد الجبعي، أدام الله تعالى له التوفيق وسلك به الطريق.

وقد أجزت له روايتها عني، ورتّبه بالعمل بما تضمنته من الفتاوى التي

استقرّ عليها رأيي وقوي عليها اعتماذي، فليروها كما شاء وأحبّ موقفاً.

وكتبَ هذه الأحرف بيده الفانية، مؤلفها الفقير إلى الله، عليّ بن عبد العالي، بالمشهد المقدّس الغرويّ، في خامس شهر رجب سنة خمس وثلاثين وتسعمائة.^(١)
هذه نماذج من تلاميذ شيخنا المحقق الكركي ومن أراد التوسع فليرجع إلى موسوعة طبقات الفقهاء في القرن العاشر ليرى أنّ قسماً كبيراً من فقهاء الشيعة تتلمذوا عليه، وتخرّجوا من مدرسته.

ونحن إكمالاً للموضوع نستخرج أسماء من تخرج عليه:

١. إبراهيم الميسي، ٢. إبراهيم الخوانساري (الخانيساري)، ٣. أبو البركات، ٤. أبو المعالي الاسترابادي، ٥. أسد الله التستري، ٦. أحمد الجامعي، ٧. أحمد بن خاتون، ٨. أحمد الخوانساري (الخانيساري)، ٩. بابا شيخ علي، ١٠. باختيار، ١١. جابر العاملي، ١٢. جعفر بن خاتون، ١٣. حسن العزيزي، ١٤. حسن الاسترابادي الجرجاني، ١٥. حسن الموسوي الكركي، ١٦. حسن الجامعي، ١٧. حسين الموسوي الكركي، ١٨. حسين بن عدار، ١٩. حسين الهجري، ٢٠. حسين الحرّ، ٢١. درويش محمّد العاملي، ٢٢. رحمة الفتال، ٢٣. زين الدّين الفقعاني، ٢٤. عبد الحيّ الاسترابادي، ٢٥. عبد العالي الكركي، ٢٦. عبد العباس الجزائري، ٢٧. عبد العلي بن أحمد الاسترابادي، ٢٨. عبد الله اليزدي، ٢٩. عطاء الله الأملي، ٣٠. علي بن خاتون، ٣١. علي الجزائري، ٣٢. علي الزواري، ٣٣. علي الاسترابادي، ٣٤. علي الجبعي، ٣٥. علي الميسي، ٣٦. علي البسطامي، ٣٧. علي بن هلال الكركي، ٣٨. القاضي صفّي الدين عيسى، ٣٩. فخر الدين الاسترابادي، ٤٠. قاسم عذافة، ٤١. محمّد الاسترابادي، ٤٢. محمّد

الأبهري الحموي، ٤٣. محمد الحسيني الاسترابادي، ٤٤. محمد الجزائري، ٤٥.
 محمد الكاشاني، ٤٦. محمد الرلاس، ٤٧. محمد بن خاتون، ٤٨. محمد
 الاسترابادي، ٤٩. محمد الحافظ الزواري، ٥٠. محمد علي بن مقصود علي، ٥١.
 محمد مهدي الرضوي، ٥٢. محمود الجابلق، ٥٣. محمود المييدي، ٥٤. نعمة
 الله الحلبي، ٥٥. يحيى البحراني المفتي.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ﴾^(١).

الفصل الخامس

آراؤه الكلامية والأصولية والفقهية

إن شيخنا الكركي رحمته الله وإن كان من أكابر الفقهاء وأعظم المجتهدين، ولكنه في شبابه ومقبل عمره طوى مسافات شاسعة لتحصيل شتى العلوم: العقلية والنقلية، وجدّ حتى ضرب في كل علم بسهم وافر. فلا عجب - إذن - أن نجد له آراء في الكلام والأصول والرجال، وفي الأدب العربي أيضاً، إلا أننا نقتصر هنا على بيان بعض آرائه في الحقول التالية:

١. الكلام.

٢. أصول الفقه.

٣. الفقه.

وإليك البيان:

آراؤه الكلامية

١. موضوع علم الكلام

اختلفت كلمة المتكلمين في تحديد موضوع علم الكلام وبالتالي في تعريفه. تجد كلما تم في بداية كتبهم، وقد عرّف المحقق الكركي علم الكلام وأوضح في ثناياه موضوعه وقال: علم الكلام هو الباحث عن وجوب وجود الله تعالى وصفاته وعدله والنبوة والإمامة والمعاد على قانون الإسلام.^(١) وعبارة أخرى: هو العلم الباحث عن وجوب وجود الله سبحانه وصفاته وأفعاله.

فالبحت عن وجود الواجب وصفاته وأفعاله هو موضوع علم الكلام، والنبوة والإمامة وإن ذكرتا مستقلتين لكنهما من شعب أفعاله، حيث إنّ النبوة عبارة عن بعث الأنبياء للتبشير والإنذار، والإمامة عبارة عن نصب الإمام من جانبه تعالى أو تنفيذ ما نصبته الأمة في مجال رئاسة الدين والدنيا.

كما أنّ المعاد شعبة من شعب أفعاله وهو إحياء الموتى يوم الحشر والنشر لأجل الحساب والجزاء، فالله سبحانه بما له من الصفات والأفعال موضوع الفقه الأكبر

وقد جاء بهذا التعريف في مكان آخر وقال: علم الكلام هو العلم الباحث عن الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها والنبوة والإمامة والمعاد على قانون الإسلام^(١)، ومن سبر الكتب الكلامية واختلاف المتكلمين في تبيين^(٢) الموضوع في ذلك المجال يقف على أنّ المحقق الكركي أتى بالتعبير الواضح مع الإدلاء بموضوع العلم.

وأما البحث في الطبيعيات أو الأمور العامة فهما خارجان عن علم الكلام وإنما يبحث عنهما المتكلم استطراداً، أو لغرض المجازاة مع الحكماء، حيث إنّ الحكمة تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

١. الأمور العامة: وهي نعوت كلية تعرض الموجود من حيث هو موجود، ككونه واجباً أو ممكناً، أو علّة أو معلولاً، وهكذا.
 ٢. الطبيعيات والفلكيات.
 ٣. الإلهيات.
- فهذا القسم الأخير، يشكل علم الكلام.

٢. كونه سبحانه عادلاً مع الإلماع إلى دليله

العدلية من المتكلمين كالإمامية والمعتزلة يصفونه سبحانه بالعدل، كما يصفون أفعاله بالحكمة، وغيرهم كالسلفية والأشاعرة يقولون: إنّ كلّ ما يصدر منه عدل وحكمة وإن كان عند العقل ظلماً وعبثاً، فلو عذب البريء فهو عدل وحكمة، ولو أناب الجاني وأدخله الجنة فهو أيضاً عدل وحكمة، وليس

١. شرح الألفية: ٢٦.

٢. لاحظ شرح المواقف للسيد الشريف الجرجاني، وشرح المقاصد للفتناني.

للإنسان أن يحكم على الله بشيء .

ولكنهم لا يفرقون بين الحكم على الله وبين استكشاف حال أفعاله من التدبير في صفاته؛ والعدلية لا يحكمون على الله سبحانه بشيء، إذ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ ولكن يستكشفون حال أعماله من خلال صفاته، فهو بما أنه حكيم لا يصدر منه العبث، وبما أنه غني لا يصدر منه الظلم.

وقد عرّف المحقق الثاني العدلَ بأوضح الوجوه مع الإشارة إلى دليله، قال: العدل هو العلم بكونه لا يفعل القبيح، ولا يرضى به، ولا يأمر بالقباح، ولا يُجَلِّ بواجب تقتضيه حكمته، ولا يكلف بما ليس بمقدور، لأنّ فاعل القبيح: إمّا جاهل بقبحه، أو محتاج إليه، والله سبحانه منزّه عن الجهل والحاجة.

وبأنّ الطاعات والمعاصي الصادرة عن العباد باختيارهم، ولهذا استحق المطيع الثواب والمعاصي العقاب.^(١)

فقوله: «لأنّ فاعل القبيح...» برهان كونه عادلاً، فلاحظ.

٣. الغرض للفعل لا للفاعل

اختلف المتكلمون في أنّ أفعاله سبحانه معلّلة بالأغراض أو لا؟ فالأشاعرة على الثاني قائلين بأنّ إثبات الغرض لفعله سبحانه آية الحاجة، وهو الغني المطلق، وفعله غنيّ عن الغرض.

وقد غاب عنهم أنّ نفي الغرض عن فعله سبحانه على الإطلاق، يستلزم أن يكون فعله عبثاً، وسدى، مع أنّه سبحانه حكيم وفعله نزيه من العبث، يقول

سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

إنَّ الغرض الذي تثبته العدلية هو الغرض المترتب على الفعل لا الغرض العائد إلى الفاعل. وكم هو الفارق بين أن نقول: للفاعل غرض يطلبه من خلال إيجاد الفعل وأن نقول: للفعل غاية، تترتب عليه، دون أن يطلبها الفاعل لنفسه وإذا أردنا أن نصبَّ الفكرة في صورة المثال، نقول:

الإنسان الثري يقوم بتأسيس مستشفى لعلاج الفقراء والمساكين، فالفاعل غني عن هذا العمل، لأنه ثري يقوم الأطباء بعلاجه كلما مرض، ولا يدخل ذلك المستشفى طيلة عمره، ومع ذلك كله فليس لنا أن نشبه عمله بعمل الصبيان الفارغ عن الغرض والهدف، بل لفعله غرض عقلائي يترتب عليه، وإنما الفارق أن النفع في العمل لا يعود إليه شخصياً، بل يعود إلى غيره.

وقد أشار إلى تفسير ما ذكرنا شيخنا المحقق بقوله: العقل يحكم بأن المختار لا بد من فعله للغرض^(٢)، وإن لم يكن لفاعله غرض.

٤. الإمامة من الأصول

اختلفت كلمة المتكلمين في أن الإمامة هل هي من الأصول أو من

الفروع؟

ذهب أهل السنة إلى أنها من الفروع، لأنها من أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يجب على الأمة القيام بهذين السواجين، ولا يتم إلا بنصب الإمام؛ وذهبت الشيعة إلى أنها من الأصول، وذلك لأن الإمامة عبارة عن استمرار

١. المؤمنون: ١١٥.

٢. اثنتا عشرة مسألة: ٦٠.

وظائف النبوة (لا استمرار النبوة) فيقوم الإمام مقام النبي في أداء ما كان يجب على النبي في مجال تبين الشريعة وهداية الأمة وتأمين البلاد وسد ثغورها، سوى الوحي فإنه ينقطع بموته ﷺ، فإذا كان واجب الإمام نفس واجب النبي ﷺ فليكن البديل بحكم المبدل.

قال المحقق: «إنها خلافة عن النبوة التي هي من الأصول فتكون الإمامة كالنبوة»^(١).

ثم استدل على أنها من الأصول بوجه آخر - أعني الحديث المعروف : من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية - حيث قال: إنه صريح في الدلالة على أن الإمامة من الأصول، لأن الجاهل بشيء من فروع الدين - وإن كان واجباً - لا تكون ميتته ميتة جاهلية، إذ لا يقدح ذلك في إسلامه وإيمانه.^(٢)

٥. عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان

ذهب أهل السنة إلى عدالة الصحابة كلهم أجمعين، وذهبت الإمامية إلى أن حكم الصحابة حكم التابعين، ففيهم الصالح والطالح والعاقل والفاسق. فلو كان أخذ الدين عن الصحابة دليلاً على عدالتهم فليكن أخذه عن التابعين دليلاً على عدالتهم.

وقد استدل شيخنا المحقق على إبطال القضية الكلية (عدالة الصحابة كلهم بلا استثناء) بالعلم الإجمالي بوجود المنافقين المندسّين بين الصحابة ولم يكن عددهم قليلاً كما أنهم لم يكونوا معروفين ولا متميزين، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ

١. نفحات اللاهوت: ٤٦ - ٥٠.

٢. نفس المصدر.

لَأَرِنَا كَهْمُ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴿١﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّسَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (٢).

ومع تواجد المنافقين بينهم بكثرة، يمتنع الحكم بعدالة كل من يُدعى صحابياً إلا أن يقوم عليها دليل من الخارج.

فإن قيل: كان النبي ﷺ عارفاً بهم، لقوله تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (٣).

قلنا: ليس كلامنا في معرفته، بل في معرفة باقي الخلق.

وقد استدلل أهل السنة بآيات الترضي على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وقد أجاب عنها المحقق بأنه لو افترضنا دلالتها على ثبوت العدالة، لكنها إذا ثبتت في زمان لا يمتنع زوالها، بل لا يمتنع زوال الإسلام، كما في صاحب موسى. قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (٤).

وكان قد أوتي علم بعض كتب الله، وقيل: كان يعرف اسم الله الأعظم، ثم كفر بآيات الله، وإذا كان كذلك فلا بد من تتبع أحوال الصحابة في حياة النبي ﷺ وبعد موته ليعلم من مات منهم على العدالة، ولا طريق لذلك إلا ما ورد في السير والتواريخ.

٢. التوبة: ١٠١.

١. محمد: ٣٠.

٤. الأعراف: ١٧٥-١٧٦.

٣. محمد: ٣٠.

ثم إنه ﷺ أيد كلامه بما أخرجه البخاري من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب أنه كان يحدث عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه قال:

«يرد عليّ الحوض رجال من أمتي فيحلّون عنه فأقول: يا رب أصحابي!! فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقري».

قال: وأخرجه أيضاً تعليقاً من حديث ابن شهاب مثله. ^(١)

قلت: قال في الصحاح: حلات الإبل عن الماء تحلّسة وتحليثاً: إذا طرحتها عنه ومنعتها أن تروى. قال الشاعر:

محلاً عن سبيل الماء مطرود. ^(٢)

١. صحيح مسلم: ٤/٤٠٤-٢١٩٤-٥٨/٢١٩٥.

٢. الصحاح: ١/٤٥، مادة حلا.

آراؤه الأصولية

لشيخنا المحقق آراء أصولية، نذكر منها ما يلي:

٦. من علامات الوضع، حسن الاستفهام

ذكر الأصوليون علامات للوضع وبالتالي لكون اللفظ حقيقة في المعنى المستعمل فيه، وتلك العلامات عبارة عن:

١. التبادر؛ ٢. صحة الحمل، ٣. الاطراد.

وقد بسطوا الكلام في تبين هذه العلامات.

وقد أضاف شيخنا المحقق علامة أخرى وهو حسن الاستفهام، وإن شئت قلت: حسن التقسيم.

وقال في توضيحه: حسن الاستفهام عن كل من الأمرين آية كون اللفظ حقيقة في كل منهما، مثلاً إذا قال القائل: هذه تربة فإنه يحسن أن يقال: هي تربة مشوية أو غير مشوية؟! وحسن الاستفهام دليل الحقيقة.^(١)

ولك أن تقول: إنَّ حسن التقسيم آية الحقيقة، وكلا التعبيرين يهدفان إلى أمر واحد.

١. السجود على التربة المشوية: ١٩.

وقد طبق شيخنا المحقق تلك القاعدة على كون صيغة الأمر حقيقة في الواجب العيني والكفائي والتعيني والتخييري وقال: ويؤيده أنه يقبل القسمة إلى الأقسام كلها، ومورد القسمة يجب اشتراكه بين الأقسام.

٧. الأصل يقدم على الظاهر

إذا كان مقتضى الأصل مخالفاً لمقتضى الظاهر فالضابطة عند شيخنا المحقق هو تقديم الأصل على الظاهر وإنما يعدل عنها في مواضع نادرة كغسالة الحمام - على القول بنجاستها - ونظيرها حيث إن مقتضى الأصل هو الطهارة ومقتضى الظاهر هو النجاسة، وأما في غير هذا المورد فالأمر على العكس.

يقول شيخنا المحقق في تبين تلك الضابطة: إن العمل بالظاهر في الحقيقة رجوع إلى قرائن الأحوال وما استفيد من العادات المتكررة فينبغي لذلك أن يكون بينه وبين جنس الحكم - الذي يطلب جعله دليلاً عليه - ملائمة....

مثلاً: لما لم يعتبر الشارع الظاهر بالنسبة إلى النجاسات في غالب الأحوال حكم بطهارة ثياب مدمني الخمر، وطهارة سؤر الحائض المتهمة، وطهارة أواني المشركين وما بأيديهم، وطين الطريق واستحباب إزالته بعد ثلاثة أيام من انقطاع المطر، والحكم بنجاسة البثر بالجيفة حين الوجدان لا قبله، وطهارة ما تناله أيدي الناس على اختلاف فرقهم وتباين آرائهم في الطهارات والنجاسات، وطهارة ما لا يكاد يتفك من النجاسات كحافات البثر، والرِّشَا وحافات العين، وغير ذلك من الأمور التي تقتضي الظاهر، بل يكاد يحصل اليقين عادةً بعدم انفكاكها من النجاسة.

وقد بلغ عمله بالأصل إلى درجة أخذ به أمام الظاهر في المثاليين التاليين:

أ. لو وجدنا حيواناً غير مأكول اللحم قد بال في ماء كثير، ووجدنا متغيراً ولم نقطع باسناد التغير إلى هذه النجاسة، يُحكم بالطهارة ولا يلتفت إلى الظاهر.

ب. لو وجدنا كلباً خارجاً من مكانٍ فيه إناء ماء وهو يضطرب ورشراش الماء حوله، لا نحكم بالنجاسة، ولا نلتفت إلى الظاهر.

وعلى ضوء ذلك حمل فتوى الأصحاب في زوجة المفقود إذا انقطع خبره فإنها إذا رفعت أمرها إلى الحاكم أجلها أربع سنين للبحث عنه، وظاهره عدم الفرق بين من شهدت القرائن بموته أو غيره، ويكون إجماعاً، بل الرواية الواردة في ذلك - وهي رواية بُريد بن معاوية العجليّ في الصحيح عن الصادق عليه السلام، وقد سأله عن المفقود كيف تصنع امرأته؟ قال: «ما سكتت عنه وصبرت يخفى عنها، فإن رفعت أمرها إلى الحاكم أجلها أربع سنين» الحديث^(١) - دالة بعمومها على عدم الفرق في الحكم المذكور بين وجود الظاهر الدالّ على موته وعدمه، لأنّ ترك الاستفصال في حكاية الحال عن الاحتمال، فإنّ ما حكاه السائل - وهو فقدان الزوج وطلب الحكم فيه - يحتمل هذا الفرد، فإذا أجاب ولم يستفصل كان ذلك دليل العموم^(٢).

٨. الفرق بين الحكم والإفتاء

قد ذكر المحقق الكركي الفرق بين الحكم والإفتاء بأنّ الثاني حكم كليّ والأوّل حكم جزئيّ مستمد من حكم كليّ ويقول في توضيح ذلك:

١. الكافي: ٦/١٤٧ ح ٢؛ الفقيه: ٣/٣٥٤، الحديث: ١٦٩٦؛ التهذيب: ٧/٤٧٩، الحديث: ١٩٢٢.

٢. جوابات الشيخ حسين الصيمري: ١١. والمراد من الأصل في المقام، هو الأصل اللفظي الذي هو دليل اجتهادي، بخلاف الأصول في المسائل السابقة.

إنّ الحكم إنشاء قولٍ في حكم شرعيّ يتعلّق بواقعة شخصية، كالحكم على زيد بثبوت دين عمرو في ذمته.^(١)

هذا ونزيد بياناً ونقول: إنّ الفتوى إخبار عن الحكم الكلي، وليس لها أثر إلاّ تنجز الواقع، وأمّا القضاء فهو إنشاء حكم جزئي مطابق للحكم الكلي الصادر من الله.

وإن شئت قلت: إنّ حكم جزئي في مورد شخصي ويفترق حكم القاضي عن حكم الحاكم باشتراط سبق النزاع في حكم الأوّل دون حكم الحاكم في الأمور العامّة.

والحكم الصادر من القاضي له أحكام مثل عدم جواز نقضه إلاّ في موارد جزئية، ووجوب تنفيذ حكمه على الآخرين، وإن خالف اجتهاده ما لم يخالف دليلاً قطعياً، وعدم ضمانه إذا لم يكن مقصراً، وكون الضرر على بيت المال، وله ولاية على كلّ مولى عليه إذا لم يكن له وليّ إلى غير ذلك من الشؤون.^(٢)

٩. تأسيس قاعدة الترتّب

إنّ قاعدة الترتّب من القواعد التي اكتشفها شيخنا المحقق وهي بين آرائه كبيت القصيد، وقد أشار إليها في كتاب الدين الذي هو جزء من موسوعته الفقهية المسماة بـ«جامع المقاصد في شرح القواعد»، والتي قيل في حقها: لم يؤلف مثلها.

والكتاب دليل بارز على جودة ذهنه ونبوغ فكره وأنّه من المؤسسين

١. طريق استنباط الأحكام: ١٤-١٧.

٢. نظام القضاء والشهادة، للمؤلف: ١/١٤.

والمحققين لا الناقلين والشارحين، وقد فرض الكتاب نفسه منذ برز إلى الساحة في أوساط الدراسات العليا في كافة الحوزات الفقهية، ألفه في مدينة النجف الأشرف في العقد الثالث من القرن العاشر وقد فرغ من بعض أبوابه عام ٩٣٥هـ. وفي وسع القارئ أن يسأل عن ماهية قاعدة الترتب، وهي كالتالي:

ما هي قاعدة الترتب؟

لو افترضنا واجباً فورياً وواجباً موسعاً كالأمر بإزالة النجاسة عن المسجد إذا صادف دخول الوقت لصلاة الظهر. فالأمر الأول فوري والثاني موسع، فعندئذ يقع الكلام في أنّ الأمر بالواجب المضيق هل يقتضي النهي عن الواجب الموسع (الصلاة) لكي تكون منهيّاً عنها أو لا؟

هنا قولان فمنهم من ذهب إلى الاقتضاء ومنهم من نفاه.

وتظهر ثمرة البحث في بطلان الصلاة على القول بالاقتضاء، وصحتها على القول بعدم الاقتضاء.

هذا ما كان عليه العلماء منذ قرون، وربما يقال بأنّ النزاع عديم الثمرة، وأنّ الصلاة باطلة سواء أقلنا بالاقتضاء أم لا.

أما إذا قلنا بالاقتضاء فواضح، لأنّ النهي عن العبادة يقتضي فسادها.

وأما إذا قلنا بعدم الاقتضاء، فغايته عدم تعلّق النهي بالصلاة، غير أنّ عدم تعلّقه بها لا يكفي في الصحة، بل الصحة رهن الأمر بها، والمفروض عدمه، إذ لا يمكن الأمر بواجبين في وقت لا يسع إلا لأحدهما، فظهر بطلان الصلاة إمّا لأجل النهي أو لعدم تعلّق الأمر.

لكن شيخنا المحقق قام في وجه هذا الإشكال وأحيا الثمرة المذكورة قائلاً:

لوم نقل بالاعتضاء جاز لنا القول بتوجه الأمر إلى الصلاة ولكن مترتباً على عصيان الأمر الأول، كما إذا قال: أزل النجاسة وإن عصيت فصل، وعلى ذلك فالصلاة يتعلّق بها الأمر الترتيبي وإنا سميّ به لترتب الأمر بالصلاة على عصيان الأمر الأول.

وإلى هذه القاعدة يشير المحقق الكركي في العبارة التالية:

قلنا: لا نسلم لزوم تكليف ما لا يطاق، إذ لا يمتنع أن يقول الشارع: أوجبت عليك كلاً من الأمرين، لكن أحدهما مضيق، والآخر موسع، فإن قدّمت المضيق فقد امتثلت وسلمت من الإثم، وإن قدّمت الموسع فقد امتثلت وأثمت بالمخالفة في التقديم.^(١)

ثم إن المتأخرين من الأصوليين بسطوا الكلام في قاعدة الترتب بين مثبت وناف. وقد ألفت في هذا المضمار رسائل ومقالات، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب «إرشاد العقول إلى مباحث الأصول»^(٢) الذي هو محاضراتنا في أصول الفقه، وقد قام بتقريره ولدنا الروحاني الشيخ محمد حسين الحاج العاملي - حفظه الله -.

١٠. لا يُنسخ الكتاب بخبر الواحد

إنّ للكتاب العزيز مكانة خاصة عند المسلمين، لا يعدلّ عنه إلى غيره إلّا بدليل قطعيّ وعلى ضوء ذلك، ذهب المحقق الكركي إلى عدم جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد، لأنّه دليل ظنيّ، لا تُرفع به اليد، عن الكتاب القطعيّ، ولنأت بمثال:

١. جامع المقاصد: ١٤/٥.

٢. الجزء الثاني: فصل الترتب.

قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ويدلّ لحن الآية على أنّ الوصية أمر قطعي لا تزول عبر الزمان، بشهادة قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ الحاكي عن الثبوت واللزوم، كما أنّ تذييل الآية بقوله: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ دليل على أنّه حقّ ثابت على خصوص المتّقين.

ومع ذلك فقد ذهب أكثر فقهاء السنّة إلى أنّه منسوخ بخبر الواحد، أي ما روي عنه عليه السلام «لا وصية لوارث»، وقد أوضحنا حال الرواية سنداً ودلالة في محاضراتنا الفقهية.^(٢)

١. البقرة: ١٨٠.

٢. الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف: ٢/١٥٧-١٨٠.

آراؤه الفقهية

إنَّ شيخنا المحقق، أحد أئمة الفقه، وفارس حلبته لا يسمح به الزمان إلاَّ في فترات خاصة، وما نحن نذكر بعض آرائه الفقهية ليكون نموذجاً لما لم نذكر.

١١. لا يجوز تقليد الميت

إنَّ ازدهار فقه الشيعة عبر العصور و استعداده في كلِّ زمان للإجابة عن الحوادث المستجدة، رهن أمور منها: تحريم تقليد الميت، وإيجاب الرجوع إلى المجتهد الحي، فأوجد ذلك رغبة ملحة لدى طلاب العلوم الدينية في تحصيل ملكة الاجتهاد، ووضع ربة التقليد عن الأعناق وبذلك حفظوا للفقه نصارته، وأضفوا على الشريعة استعداداً للبقاء، وأصبح العلماء في غنى عن التطفل على موائد الآخرين.

ومن خاض غمار هذا البحث شيخنا المحقق، فقد حقق الموضوع في غير واحدة من رسائله، ونحن نذكر موجز ما ذكره في بعض رسائله، قال:

لا يجوز العمل بقول المجتهد بعد موته لوجوه:

١. إنَّ المجتهد إذا مات سقط بموته اعتبار قوله شرعاً بحيث لا يُعتد به،

وما هذا شأنه لا يجوز الاستناد إليه شرعاً.

أما الأولى فلإجماع على أنَّ خلاف الفقيه الواحد لسائر أهل عصره يمنع

من انعقاد الإجماع، اعتداداً بقوله واعتباراً لخلافه إذا مات وانحصر أهل العصر في المخالفين له انعقد الإجماع، وصار قوله غير منظور إليه شرعاً ولا يُعتدّ به. وأما الثانية فظاهرة.

٢. لو جاز العمل بقول الفقيه بعد موته امتنع في زماننا هذا للإجماع على وجوب تقليد الأعلّم والأورع من المجتهدين والوقوف لأهل هذا العصر على الأعلّم والأورع بالنسبة إلى الأعصار السابقة كاد يكون ممتعاً. ثمّ إنه إذا وجد للفقيه في مسألة قولان، إنّا يجوز تقليده والرجوع إليه في القول الأخير؛ لوجوب رجوعه هو عن الأول إليه، ووجوب إعلامه لمن كان قد قلّده في الأول برجوعه عنه. وأكثر المسائل يختلف قول الفقيه الواحد فيها، ولا يكاد يفرق بين القول الأول والأخير إلا نادراً، فيتعذّر الرجوع من هذا الوجه أيضاً. ولنقتصر على هذين الوجهين، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى رسائله.^(١)

١٢. وجوب تقليد الأعلّم

من العوامل التي سببت تطور الفقه الإمامي ونضوجه هو إيجاب تقليد الأعلّم، فإن مثل هذا الإلزام يثير همّة الآخرين لحيازة ذلك المقام بالبحث والدراسة المصنّية.

وتمنّ ركّز على لزوم تقليد الأعلّم شيخنا المحقق الكركي قال في رسالته الجعفرية: «وطريقة معرفة أحكام الصلاة لمن كان بعيداً عن الإمام، الأخذ بالأدلة التفصيلية في أعيان المسائل إن كان مجتهداً، والرجوع إلى المجتهد ولو بواسطة وإن تعددت، إن كان مقلداً، واشترط الأكثر كونه حياً ومع التعذّر يرجع إلى الأعلّم ثمّ

الأورع»^(١).

وقال في حاشية الشرائع: «وقد صرح جمع من الأصوليين والفقهاء باشتراط كون المجتهد حياً، ليجوز العمل بفتياه... ولو جاز العمل بقول الفقيه بعد موته، امتنع في زماننا هذا؛ للإجماع على وجوب الأعلم والأورع من المجتهدين، والوقوف لأهل هذا العصر على الأعلم والأورع بالنسبة إلى الأعصار السابقة كاد يكون ممتنعاً»^(٢).

١٣. المعاطاة مفيدة للملكية المتزلزلة

المعاطاة مفاعلة من الإعطاء، وتتمحض في إعطاء الثمن وأخذ الثمن من دون أن يكون هناك إيجاب وقبول، وقد اختلفت كلمة الفقهاء في حكمها، إلى أقوال ستة:

١. اللزوم مطلقاً وهو ظاهر المفيد.
٢. اللزوم بشرط وجود اللفظ الدالّ على التراضي.
٣. الملك غير اللازم.
٤. عدم الملك مع إباحة جميع التصرفات حتى المتوقفة على الملك.
٥. إباحة مالا يتوقف على الملك.
٦. عدم إباحة التصرف مطلقاً.

وقد كان الحكم السائد عند فقهاءنا إلى زمان المحقق الثاني عدم إفادة المعاطاة الملكية وأول من أفتى بكونها مفيدة للملكية هو شيخنا المحقق الكركي،

١. الرسالة الجعفرية: ١٧.

٢. حاشية الشرائع: ١١٣/١١.

لكنها ملكية متزلزلة، كالبيع مع الخيار. وهناك نكتة نذكرها:

إن فقهاءنا جعلوا البيع بالصيغة أصلاً والمعاطاة فرعاً فاتفقوا على أن البيع بالصيغة مفيد للملكية اللازمة، واختلفوا في البيع بالمعاطاة إلى أقوال مختلفة مَر ذكرها.

ولكن دراسة الحضارة البشرية ومعرفة أن الإنسان بلغ إلى هذا المبلغ شيئاً فشيئاً - بعد أن كانت حياته بسيطة جداً وهو لا يعرف من القانون شيئاً - تقضي أن الحق هو العكس يعني: إن البيع بالمعاطاة أصل والبيع بالصيغة فرع، لما عرفت من أن مقتضى بساطة الحياة هو اكتفاء الإنسان في مقام المبادلة ورفع الحاجة بالمعاطاة، ولما تقدّم في معترك الحياة تمسك بالقانون، واقتصر على البيع بالصيغة دون العمل الكثير وهو المعاطاة فقامت الصيغة مكان المعاطاة.

فإذا كان الفرع مفيداً للزوم فكيف يقصر عنه الأصل؟

والقول بأن المعاطاة مفيدة للملكية اللازمة كان قولاً شاذاً منسوباً إلى المفيد، وكان الرأي السائد هو إفادة المعاطاة الإباحة، وأوّل من أخرج القول بالملكية عن الشذوذ هو شيخنا المحقق فأفتى بإفادتها الملكية غير أن الإجماع على عدم اللزوم صدّه عن الإفتاء بالملكية اللازمة.

قال: إن المعروف بين الأصحاب أنها بيع وإن لم تكن كالمقيد في اللزوم خلافاً لظاهر المفيد ولا يقول أحدٌ من الأصحاب بأنها بيع فاسد سوى العلامة في نهايته وقد رجع عنه.

ثم استدّل على إفادة الملكية بأن قوله تعالى: ﴿أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(١) يتناولها لأنها بيع بالاتفاق كما أن قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِجْمَاةً عَنْ قَرَابَةٍ﴾^(٢) يتناولها.

ثم إنه أول قول القائلين بالإباحة إلى ما ذهب إليه من الملكية غير اللازمة، قال: وما يوجد في عبارة جمع من متأخري الأصحاب: من أنها تفيد الإباحة وتلزم بذهاب إحدى العينين، يريدون به عدم اللزوم في أول الأمر وبالذهاب يتحقق اللزوم.^(١)

وفي ظل إظهار المحقق الكركي القول بالملكية خرج القول بها عن الشذوذ، بل صار ذلك سبباً لإفتاء بعض المتأخرين عنه بالملكية اللازمة. هذا هو الشهيد الثاني يقول: انعقاد البيع بكل ما دلّ على التراضي وعده الناس بيعاً فهو قريب من قول المفيد، وما أحسنه وأمتن دليله إن لم ينعقد الإجماع على خلافه.^(٢)

وأنت خبير بأن مثل هذا الإجماع لا ينبغي أن يصدّ الفقيه عن الإفتاء بها استنبطه من الكتاب، لأنه إجماع مدركي يعتمد على الأدلة. والإجماع المستند إلى الأدلة الشرعية لا يكون دليلاً برأسه، بل يكون هو تعبيراً آخر عما استند إليه المجمعون، فإذا تبين لنا فساد استنباطهم، لا يعتد بإجماعهم.

١٤. نقد عموم المنزلة في الرضاع

اتفق الفقهاء - تبعاً للنصوص - على أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

ثم إن ما يحرم من النسب عبارة عن العناوين السبعة الواردة في الآية الكريمة، أعني قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ

١. جامع المقاصد: ٥٨/٤.

٢. المسالك: ١٥٢/٣.

وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴿١١﴾

والمستفاد من عمومات الرضاع هو نشر الحرمة بتحقيق أحد العناوين المذكورة - في الكتاب العزيز - بالرضاع مثلاً.

الهنث في الرضاع كلُّ أنثى وضعت من لبنك أو لبن من ولدته أو أرضعتها امرأة ولدتها، وكذا بناتها من النسب والرضاع.

والعمات والخالات أخوات الفحل والمرضعة وهكذا، فلو تحقّق بالرضاع أحد هذه العناوين السبعة يحكم بالحرمة.

وأما إذا لم يحصل هو بنفسه بل حصل عنوان ملازم له، بحيث لو حصل في النسب لنشر الحرمة، لما كان محرماً، لأنّ المتيقن من التنزيل هو ما عرفت، وغيره يحتاج إلى دليل.

ويظهر من الرسالة الرضاعية للمحقق الكركي أنّه شاع في عصره على السنة الطلبة، القول بالتعميم وأنّ الملازمات النسبية كالعناوين تنشر الحرمة فقال:

اعلم وفقك الله، أنّه قد اشتهر على السنة الطلبة في هذا العصر تحريم المرأة على بعلها بارضاع بعض ما سنذكره، ولا نعرف لهم في ذلك أصلاً يرجعون إليه من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قول لأحد من المعتبرين، أو عبارة يُعتدّ بها تُشعر بذلك، أو دليل مستنبط في الجملة يعول على مثله بين الفقهاء.

وإنّما الذين شاهدناهم من الطلبة وجدناهم يزعمون أنّه من فتاوى شيخنا الشهيد رحمته، ونحن لأجل مباينة هذه الفتوى لأصول المذهب، استبعدنا كونها

مقالة لمثل شيخنا على غزارة علمه وثقوب فهمه، لا سيما ولا نجد هؤلاء المدعين لذلك إسناداً يتصل بشيخنا في هذه الفتوى يُعتدُّ به، ولا مرجعاً يركن إليه.

ولسنا نافين لهذه النسبة عنه رضي الله عنه؛ استعانة على القول بفساد هذه الفتوى، فإن الأدلة على ما هو الحق اليقين واختيارنا المبين بحمد الله كثيرة جداً، لا يستوحش معها من قلة الرفيق.

ثم إنه رضي الله عنه أبطل القاعدة المسماة بعموم المتزلة في هذه الرسالة بذكر ثلاث عشرة صورة، وما نحن نذكر بعض الصور ليكون كالنموذج لما لم نذكره.

الصورة الأولى

إذا أرضعت المرضعة أختها وأختها، تحرم على فعلها، لأنها عندئذٍ صارت أخت الولد وهو محرم في النسب، لأن أخت الولد بنت.

أما كونها أختاً، فلفرض أنها أرضعت أختها؛ وأما كون المرتضع ولداً، فلافترض أنه ارتضع بلبن الفحل، فالمرتضع يُعد ولداً لأجل الرضاع، والمرتضعة أخت بالنسب، فيأرضاعها إياه تصير أخت الولد، ومن المعلوم أن أخت الولد حرام للإنسان لأنها بنته.

يلاحظ عليه: بأن أخت الولد في النسب لا تخلو من حالتين:

أ. أما أنها بنت حقيقة، ولكن المرضعة في المقام ليست بتأ للفحل، لا تكويناً ولا اعتباراً.

ب. ربيبة ولكن تحرم الربيبة على الزوج إذا دخل بأمها فيحتاج إلى المصاهرة والمفروض انتفاؤها.

الصورة الثانية

إذا أرضعت المرضعة ولد أخيها فتحرم على فحلها، لأنها تصير عندئذ عمّة الولد.

أما كونها عمّة فهو حاصل بالنسب وإنما حصل بالرضاع كونه ولداً للفحل.

يلاحظ عليه: أنّ المحترّم إنّما هو أخت الرجل نسباً أو رضاعاً وليست المرضعة أحدهما، وهكذا سائر الصور.

ومع أنّه ألف رسالة في الموضوع، طرح المسألة أيضاً في «جامع المقاصد» نقتطف منه ما يلي:

قال عليه السلام: وقد شاهدنا بعض من عاصرناه يروي عن بعض الأصحاب: أنّ المرأة إذا أرضعت ابن أخيها تحرم على زوجها صاحب اللبن، لأنها عمّة ابنه، وهي بمنزلة أخته، ونحو ذلك.

وهذا من الأوهام الفاسدة قطعاً، لأنّ هذه ليست بينها وبين زوجها بسبب الرضاع علاقة نسب ولا علاقة مصاهرة، لأنّ المحترّم صيرورتها أختاً ونحو ذلك، أما صيرورتها كالأخت فلا دليل يدلّ عليه.

ولو تمخّل متخيّل أنّ التعليل في الروايات لتحريم أولاد الفحل على أب المرتضع: بأنهم بمنزلة أولاده، يشعر بأنّ من كان بمنزلة إحدى المحرمات نسباً يحرم، فتحرم المرأة إذا صارت بمنزلة الأخت والعمّة والخالة.

لقلنا: إنّ هذا من الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة، لأنّ الذي يعتبر العلة المنصوصة ويحكم بتعديتها، إنّما يعتبر نفس المعلّل به، فيرتب عليه الحكم

إن وجد، لا على ما شابهه.

ولا شك أنّ هذا من المجازفات في الدين، والعدول عن صريح الكتاب والسنة والدلائل القاطعة عند أهل الشرع، مثل الاستصحاب، إلى القول بالرأي من غير دليل ولا إثارة علم.

وقد أفردنا لهذه المسألة رسالة حسنة تسمى «الرضاعية»، من أراد تحقيقها فليطالع تلك الرسالة.^(١)

١٥. حلية الخراج

هذه المسألة التي طرحها شيخنا المحقق على صعيد البحث، من المسائل التي أثار نزلاً و جدالاً كثيراً بينه وبين معاصره الشيخ إبراهيم القطيفي ولم يقف الجدال بموت الشيخ المحقق بل دام بعده عن طريق غيرهم.

هكذا كانت سيرة علمائنا في البحث والتنقيب، فيؤلف الشيخ الكركي رسالة في حل الخراج في عصر الغيبة يسميها «قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج» عام ٩١٦هـ ويأتي بعده الفاضل القطيفي فيؤلف في ردها رسالة أسماها «السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج»، ثم إن البحث دام بعد وفاة المتعاصرين - الكركي والقطيفي - فقام المحقق الأردبيلي بتأليف رسالة في الخراج أيد فيها موقف الشيخ القطيفي، ثم ألف الفاضل الشيباني رسالة انتصر فيها للشيخ الكركي ورد مناقشات القطيفي وناصره الأردبيلي.

اتفق العلماء على حل الخراج في عصر ظهور الإمام، لأن إدارتها جزء من

شؤون الولاية والحكومة التي يتحملها الإمام المعصوم في عصره، وإنما الكلام في حكم الخراج في زمان الغيبة وأنه هل يحل للفقيه الجامع للشرائط أخذ الخراج أو المقاسمة من هذه الأراضي وصرفها في الموارد التي كان الإمام يصرفه فيها، أو أنها تترك سدى وليس للفقيه فيها شأن؟

فالمحقق الكركي على الرأي الأول ومخالفوه على الرأي الثاني، ولا بأس أن نتحدث عن رسالة المحقق الكركي الخراجية على وجه الإجمال:

يقول في المقدمة الأولى إن الأراضي على قسمين:

أحدهما: أرض بلاد الإسلام وهي على قسمين أيضاً: عامر، وموات.

فالعامر ملك لأهله، لا يجوز التصرف فيه إلا بإذن ملاك.

والموات إن لم يجر عليه ملك مسلم فهو لإمام المسلمين يفعل به ما يشاء، وليس هذا القسم من محل البحث المقصود.

القسم الثاني: ما ليس كذلك، وهو أربعة أقسام:

أحدها: ما يملك بالاستغنام ويؤخذ قهراً بالسيف، وهو المسمى بالمفتوح

عنة.

وهذه الأراضي للمسلمين قاطبة، لا يختص بها المقاتلة عند أصحابنا كافة، ويقبلها الإمام لمن يقوم بعمارته بما يراه من النصف أو الثلث أو غير ذلك.

ثانيها: أرض من أسلم أهلها عليها طوعاً من غير قتال وحكمها أن تترك في

أيديهم ملكاً لهم يتصرفون فيها بالبيع والشراء والوقف وسائر أنواع التصرف إذا قاموا بعمارته ويؤخذ منهم العشر أو نصفه زكاةً بالشرائط، نعم لو تركوا عمارتها

وتركوها خراباً كانت للمسلمين قاطبة، وجاز للإمام أن يقبلها ممن يعمرها بما يراه من النصف أو الثلث أو الربع.

ثالثها: أرض الصلح وهي كل أرض صالح أهلها عليها وهي أرض الجزية، فيلزمهم ما يصالحهم الإمام عليه من نصف أو ثلث أو ربع.

رابعها: أرض الأنفال وهي كل أرض انجلى أهلها عنها وتركوها أو كانت مواتاً لغير ذلك فأحييت أو كانت أجماً أو غيرها مما لا يزرع فاستحدثت مزارع فإنتها كلها للإمام خاصة.

والفرق بين المقاسمة والخراج هو:

ما يؤخذ من هذه الأراضي إما مقاسمة بالحصصة أو ضريبة تسمى الخراج. فلو أخذ من نفس الحاصل يسمى مقاسمة، وإن أخذ القيمة مكان العين فهو خراج، وربما يطلق الخراج ويراد المعنى الأعم من القيمة وغيرها.

فالخراج هو المأخوذ من أحد الأراضي الثلاثة:

أ. المأخوذ عنوة.

ب. الأرض التي أسلم أهلها عليها من غير قتال ثم تركوها فقبلها الإمام لغيرهم بالثلث ونحوه.

ج. أرض الصلح وهي كل أرض صالح أهلها عليها بالجزية، من نصف أو ثلث أو ربع.

ثم إنَّ الشيخ أفاض في آخر الرسالة في حكم الخراج في زمان الغيبة وقال: وأما في حال الغيبة فهو موضوع الكلام ومطرح النظر ولو تأمل المنصف لوجد الأمر فيه أيضاً بيتاً جليلاً، فإنَّ هذا النوع من المال مصرفه ما ذكر وليس للإمام عليه السلام

قليل ولا كثير، وهذه المصارف^(١) التي عددنا لم تعطل كلها في حال الغيبة وإن تعطل بعضها.

وكون ضرب الخراج وتقبييل الأرضين وأخذه وصرفه موكولاً إلى نظره ﷺ لا يقتضي تحريمه حال الغيبة؛ لبقاء الحق ووجود المستحق. مع تضافر الأخبار عن الأئمة الأطهار، وتطابق كلام أجلة الأصحاب، ومتقدمي السلف ومتأخريهم، بالترخيص لشعبة أهل البيت ﷺ في تناول ذلك حال الغيبة بأمر الجائر.

ثم لأنه استدل على ما رآه من حل الخراج بروايات كثيرة:

١. رواية الشيخ الطوسي عن أبي بكر الحضرمي.

٢. ما رواه أيضاً عن عبد الرحمن بن الحجاج.

٣. ما رواه الشيخ أيضاً عن أبي المعزى.

إلى غير ذلك من الروايات المتعددة.

ثم استدل بفتاوى الأصحاب كشيخ الطائفة في النهاية (ص: ٣٥٨)، والمحقق في الشرائع (ج ٢، ص ١٣)، والعلامة في المنتهى: (ج ٢، ص ١٠٢٧)، ثم استدل أيضاً بسيرة العلماء في أدوار مختلفة كالشريفين في عصر البويهيين، ونصير الدين الطوسي أيام التتر.

ثم قال ﷺ: ثم انظر إلى ما اشتهر من أحوال آية الله في المتأخرين، بحر العلوم، مفتي الفرق، جمال الملة والدين أبي منصور الحسن المطهر ﷺ، وكيف كان ملازمته للسلطان المقدس المبرور محمد خدابنده، وأنه كان له عدة قرى، وكانت نفقات السلطان وجواتره واصله إليه، وغير ذلك مما لو عدد لطلال.

١. ذكر أصحابنا مصرف الخراج إن الإمام يجعل منه أرزاق الغزاة والولاء والحكام وسائر وجوه الولايات. لاحظ المبسوط: ٧٥/٢.

ولو شئت أن أحكي من أحوال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وكيف كانت أحوالهما في دول زمانها، لحكيت شيئاً عظيماً.

بل لو تأمل الخالي من المرض قلبه، لو جَدَّ المرِبِّ للعلماء والمرِوج لأحوالهم إنَّها هم الملوك وأركان دولهم.

ولهذا لما قَلَّت العناية بهم، وانقطع توجَّههم بالتربية إليهم، ضعفت أحوالهم، وتضعفت أركانهم، وخلت أندية العلم ومحافله في جميع الأرض.^(١)

ويظهر من صدر الرسالة، أنَّ المحقق الكركي صار في حرج وقلق شديد عندما أفتى بحل الخراج بحيث صار غرضاً للمخالف، يقول ﷺ:

فإنِّي لما توالى على سمعي تصدِّي جماعة من التسمين بسمة الصلاح، وملة من غوغاء الهمج الرُّعاع، أتباع كلِّ ناعق، الذين أخذوا من الجهالة بحظِّ وافر، واستولى عليهم الشيطان، فحلَّ منهم في سويداء الخاطر، لتقريض العرض وتمزيق الأديم، والقدح بمخالفة الشرع الكريم، والخروج عن سواء المنهج القويم.^(٢)

فتوى الكركي في قفص الاتهام

ولعلَّ هناك من يتوهم أنَّ الحافظ لهذه الفتيا والدفاع عن حلية الخراج هو تولِّيه شيخوخة الإسلام في الدولة الصفوية ولم يكن له بُدٌّ إلا الإفتاء بحليته، لأنَّ الخراج كان يوم ذاك من أهمِّ المنابع المالية للدولة الصفوية.

لكنَّه توهم باطل، لأنَّ الشيخ فرغ من تأليف هذه الرسالة في الحادي عشر من شهر ربيع الثاني من شهور عام ٩١٦هـ وهو بعد في العراق لم يهاجر إلى

١. قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج التي طبعت ضمن مجموع مؤلفاته: ٤/ ٤٩٠-٤٩٣.

٢. المصدر السابق: ٤٤٧-٤٤٨.

إيران، وإتّنا هاجر إليها في أواخر هذه السنة. والشاهد على هذا أنه يقول في بدء الرسالة:

حيث إنّنا ألزمتنا الإقامة ببلاد العراق، وتعدّرت علينا الانتشار في الآفاق، لأسباب ليس هذا محلّ ذكرها،...^(١). نعم تصل إليه من الحاكم الصفوي صلوات وأموال يصرفها في حاجات الخوذة ولعلّها كانت من الخراج.

١٦. الإفتاء بوجوب صلاة الجمعة التخيري

عند إطلالة القرن العاشر سادت الربوع الإسلامية دولتان عظيمتان وهما: الدولة الصفوية والدولة العثمانية.

وقد حكمت الأولى أصقاعاً من الشرق الإسلامي من عام ٩٥٠- ١١٣٥ هـ كما حكمت الثانية رقعة كبيرة من الغرب الإسلامي وغالب البلاد العربية.

وقد اهتمت الدولتان بإضفاء الشرعية على حكمهما لكسب قلوب الناس. وكانت الدولة الصفوية تبنّي المذهب الشيعي، كما أنّ العثمانيين كانوا يتبنّون المذهب السني. ومع ذلك فالدولتان كانتا وافقتين على أنّ إقامة الدولة الشرعية رهن سيادة العلماء عليها. وأن لا تصدر الدولة الإسلامية في الأمور السياسية والاجتماعية إلاّ عن رأيهم وإفتائهم، ولذلك ازدهر الفقه والفتيا بل العلوم الإسلامية في عهد الدولتين إلى حدّ بعيد.

ولما كانت الأمور السياسية والاجتماعية - التي كان الإمام المعصوم يتولّاها في عصر الحضور - فوّضت في عصر الغيبة إلى الفقيه الجامع للشرائط، وكانت

١. الرسالة الخراجية: ٤٤٨، ضمن مجموعة آثار المحقق.

إقامة صلاة الجمعة في عامة العصور داخلية في هذا الإطار، لم يكن بدّ للدولة الشيعية من إقامتها بإذن فقيه جامع للشرائط، ومن سوء الحظ اختلاف كلمة فقهاء الشيعة في عصر الغيبة في إقامتها إلى حدّ بعيد.

فمنهم من ذهب إلى حرمتها ورأى أنّ إقامتها منوط بإذن الإمام المعصوم من غير فرق بين العصرين: عصر الظهور، وعصر الغيبة.

وفي قبال ذلك ذهب بعضهم إلى وجوبها العيني وأنه لا فرق بين الزمانين، أنّها تقام بإذن الفقيه الجامع للشرائط.

لكن شيخنا المحقّق اختار المذهب الوسط فأفتى بوجوبها التخيري، وألّف في هذا المضمار رسالة عام ٩٢١هـ بعد رجوعه من الهجرة الأولى من بلاد فارس، وإقامته في النجف الأشرف.

وقد كان لهذه الرسالة تأثير في رجوع المسألة إلى ساحة الدراسة والتأليف، فقد قام لفيّف من الفقهاء بتأليف رسائل حول الموضوع في القرون الثلاثة: العاشر والحادي عشر والثاني عشر، ربما تناهز الثلاثين.^(١)

وبما أنّ الرسالة من أهمّ رسائله، وتقع في عداد رسالته حول الخراج حيث أثارَت حفيظة الآخرين عليه، فإننا نوّد أن نذكر خلاصتها، وكان قد ربّتها على مقدمات.

الأولى: إذا رفع الوجوب في عصر الغيبة، فالمرضوع هو اللزوم، وأمّا الجنس - أعني: الجواز - فهو باق بحاله.

الثانية: أنّ الفقيه الجامع للشرائط يارس ما كان الإمام المعصوم يارسه إلّا

١. ذكر أسماؤها الشيخ محمد الحسون في موسرته حياة المحقّق الكرّكي وآثاره: ٢/ ٦٢ - ٧٠.

ما خرج بالدليل كما تدلّ عليه مقبولة عمر بن حنظلة.

الثالثة: يشترط في إقامة صلاة الجمعة وجود الإمام المعصوم أو نائبه، ثم ذكر كلمات العلماء.

وتعرض في آخر الرسالة لصفات الفقه الجامع للشرائط، فذكر ثلاث عشرة صفة، أعني:

الإيمان، العدالة، العلم بالكتاب، والسنة، والإجماع، والقواعد الكلامية، وشرائط الحدود والبرهان، واللغة والنحو والصرف، والناسخ والمنسوخ وأحكامهما، والتعارض والترجيح، والجرح والتعديل وأحوال الرواة، وأن له نفساً قدسية وملكة نفسانية يقتدر معها على اقتناص الفروع من الأصول، وأن يكون حافظاً بحيث لا يغلب عليه النسيان.

ولا يتوهم القارئ: «أنّ المحقق الكركي في إفتائه بالوجوب التخييري والدعوة إلى إقامتها في البلاد والقرى، نزل على رغبة الدولة الفتية التي أقامتها الصفوية في إيران وحواليها، ولولا توليه لشيخوخة الإسلام، لما قام بهذا الأمر».

كلا هذا توهم فاسد، وإنها صدرت الفتوى، عن صميم رغبته، ببيان ما أدى إليه اجتهاده.

ويشهد على ذلك أنه ألف الرسالة، بعد رجوعه من إيران، بقلب مكمد وحزن كبير لما واجه تيارات في البلاط الصفوية معادية لما يتبناه من التطوير في الدولة.

فرجع من إيران أوائل ٩٢٠ هـ ثم ألف الرسالة.

والمحقق الكركي عالم رباني لا يصدر إلا عن الكتاب والسنة ولا يفتي إلا بما استنبطه من المصادر، سواء أوافق رأي الحكام أم خالفه.

وعلى هذا الخط، مشى عامة فقهاء الشيعة حتى أنّ الشهيد الثاني، هو بمنّ رفض دعوة الصفوية إلى إيران، ومع ذلك ألف رسالة في صلاة الجمعة قائلاً بوجودها العيني.

١٧. ولاية الفقيه في مدرسة المحقق الكركي

إنّ البحث في ولاية الفقيه وتوضيح حقيقتها وأدلتها رهن تأليف مفرد لا يسعه المقام وإنّما نشير إليها على وجه الإيجاز، ثمّ نذكر نظرية المحقق حول هذا الأصل في الحكومة الإسلامية. والسّذي أدهش الغربيتين وتلقوه عنصراً جديداً في الحقوق السياسية.

مما يجدر ذكره أنّه زارني في بدايات الثورة الإسلامية في إيران في مكنتي شاب من فرنسا كان يدرس الحقوق السياسية في إحدى جامعاتها، وقال ما هذا خلاصته:

بعثني أساتذة الجامعة لدراسة «ولاية الفقيه» دراسة معمّقة مع أدلتها، وما ذلك لأنّ هذا الأصل أدهش أساتذتنا، إذ لم يقرع سمعهم إلى الآن.

وكان الشاب ملماً باللغة العربية وأظن أنّه كان وليد لبنان أو من أسرة لبنانية. ثمّ إنّي شرحت له ماهية ولاية الفقيه، وإنّما زعامة الفقيه وفق القوانين الإسلامية. وبعبارة أخرى: يشترط في الحاكم الأعلى أن يكون فقيهاً عارفاً بالأحكام مستنبطاً إتيانها من الكتاب والسنة إلى غير ذلك من الشروط، وأمّا كيفية ممارسة الحكم فهو لا يمتّ إلى الاستبداد بصلّة أبداً، كما لا يمتّ إلى القيمومة على الأمة.

إنّ للفقيه الجامع للشرائط في عصر الغيبة مناصب ثلاثة:

الأول: منصب الإفتاء: فإنّ الأحكام الشرعية لما كانت أمراً نظرياً لا يتمكن

كلّ أحد من معرفتها، عمد الإسلام إلى إرجاع نظام الإفتاء إلى فقيه عالم بشرائع دينه، وهذا هو الذي يطلق عليه في اصطلاح المشرعة بـ«المفتي» ليكون مرجعاً لأخذ الأحكام.

الثاني: القضاء: فإنّ من مقتضى القوى والغرائز النفسانيّة والطبيعيّة التوجّه إلى المنافع، والتباعد عن المضار، وهو بدوره يوجب نزاعاً على المنافع الذي قد ينجّر إلى الحروب، فلدفع هذه المفسدة ترك أمر القضاء إلى الفقيه الجامع للشرائط.

الثالث: الحكومة: فإنّ من أهمّ ما يحتاج إليه البشر في حفظ نواميسه، ونفوسه واجتماع أمره؛ وجود قائد بينهم يجب على الجميع إطاعة قوله وأتباع فعله، وهو الذي يعتبر عنه في لسان الشرع والمشرعة بالحاكم والسائس.

فالأولان من هذه المناصب الثلاثة ثابتان للفقهاء باتّفاق الكلمة، وأما الولاية والحكومة - أعني القيام بنظم البلاد والدعوة إلى الجهاد والدفاع وسدّ الثغور وإجراء الحدود وجباية الزكاة وإقامة الجمعة إلى غير ذلك - فهي في نظر مشاهير الفقهاء ثابتة للفقهاء الجامع للشرائط، غير أنّه ينهض بممارسة ذلك المنصب بأحد وجهين:

أ. تارة يقوم بتشكيل الحكومة فيجب على الناس إطاعته.

ب. إذا نهض الناس بتشكيل الحكومة تحت الضوابط الإسلامية للفقهاء العادل أن يراقب سلوك الحكومة وتصرفاتها فيصحّ سيرتها إذا انحرفت ويُعدّل سلوكها إذا شدّ.

إنّ الفقيه بحكم مسؤوليته تجاه الإسلام والمسلمين يتحرّى في جميع الظروف مصالح الأمة، فإذا كانت الحكومة التي أقامتها الأمة الإسلامية موافقة للمعايير

الإسلامية، و مطابقةً للمصلحة الاجتماعية العليا وجب عليه إمضاؤها، وإقرارها، وليس له أن يردّها، ولأجل ذلك لا يترتب على (ولاية الفقيه) إلا استقرار الحكومة الإسلامية الصالحة، ولا يتغير بولايته أيّ من الأركان والمؤسسات الحكومية، ولا تتعارض مع حرية الأمة واختيارها.

ذلك هو مجمل حقيقة ولاية الفقيه، وهذه هي كيفية ممارستها.

ولاية الفقيه في كلمات المحقق الكركي

إن استنباط رأي المحقق الكركي في ولاية الفقيه رهن دراسة أمرين:

الأول: إن المحقق هاجر إلى إيران وتعاون مع الدولة الصفوية، على وجه سيوافيك بيانه.

الثاني: دراسة آرائه في غير موضع من كتبه، ومن حاول أن يقف على رأيه فليلاحظ بحوثه في الجهاد والقضاء وإقامة الحدود والتعزيرات وتوليّ أموال القُصّر إلى غير ذلك، وها نحن نذكر موجزاً من كلماته ليقف القارئ على أنه ممن جهر بولاية الفقيه مستنداً إلى الأدلة.

١. كلامه في صلاة الجمعة

قال: «اتفق أصحابنا - رضوان الله عليهم - على أنّ الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوى، المعتر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية، نائب من قبل أئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم في حال الغيبة، في جميع ما للنيابة فيه مدخل، ورتبنا استثنى الأصحاب القتل والحدود مطلقاً.

فيجب التحاكم إليه، والانقياد إلى حكمه، وله أن يبيع مال الممتنع من أداء الحق إن احتيج إليه، ويبي أموال الغيَّاب والأطفال والسُّفهاء والمفلسين، ويتصرّف

على المحجور عليهم، إلى آخر ما يثبت للحاكم المنصوب من قبل الإمام عليه السلام.
والأصل فيه ما رواه الشيخ في «التهذيب» باسناد إلى عمر بن حنظلة عن
مولانا الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «انظروا إلى من كان منكم قد روى
حديثنا، ونظر في حلالنا وحرماننا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإنّي قد
جعلته عليكم حاكماً. فإذا حكم بحكمنا ولم يقبله منه، فإنّما يحكم الله استخفت،
وعلينا ردة والراة علينا راد على الله، وهو على حدّ الشرك بالله».
وفي معناه أحاديث كثيرة.

والمقصود من هذا الحديث هنا: أنّ الفقيه الموصوف بالأوصاف المعينة،
منصوب من قبل أمّتنا عليه السلام، نائب عنهم في جميع ما للنيابة فيه مدخل بمقتضى
قوله: «فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً»، وهذه استنابة على وجه كلي.
ولا يقدح كون ذلك في زمن الصادق عليه السلام لأنّ حكمهم وأمرهم عليه السلام واحد،
كما دلّت عليه أخبار أخرى.

ولا كون الخطاب لأهل ذلك العصر؛ لأنّ حكم النبي عليه السلام والإمام عليه السلام على
الواحد حكم على الجماعة بغير تفاوت، كما ورد في حديث آخر^(١).

٢. قال في الرسالة الخراجية

«فإن قلت:» فهل يجوز أن يتولى من له النيابة حال الغيبة ذلك، أعني
الفقيه الجامع للشرائط؟

قلنا: لا نعرف للأصحاب في ذلك تصريحاً، ولكن من جواز للفقيه حال
الغيبة تولّي استيفاء الحدود، وغير ذلك من توابع منصب الإمامة، ينبغي تجويزه

لهذا بالطريق الأولى؛ لأنّ هذا أقلّ منه خطراً، لاسيّما والمستحقون لذلك موجودون في كلّ عصر، إذ ليس هذا الحقّ مقصوراً على الغزاة والمجاهدين كما يأتي.

ومن تأمل في كثير من أحوال كبراء علمائنا السالفين، مثل السيّد الشريف المرتضى علم الهدى، وأعلم المحققين من المتقدّمين والمتأخرين نصير الحقّ والدين الطوسي، وبحر العلوم مفتي الفرق جمال الملة والدين الحسن بن مطهر وغيرهم رضوان الله عليهم، نظر متأمل منصف لم يعترضه الشكّ في أنهم كانوا يسلكون هذا المنهج ويبيحون هذا السبيل، وما كانوا ليودعوا بطون كتبهم إلا ما يعتقدون صحته.^(١)

وما زلنا نسمع خلال المذاكرة في مجالس التحصيل من أخبار علمائنا الماضين وسلفنا الصالحين، ما هو من جملة الشواهد على ما ندّعيه، والدلائل الدالة على حقيقة ما نتّجيه.

فمن ذلك ما تكرر سماعنا له من أحوال الشريف المرتضى علم الهدى ذي المجدين، أعظم العلماء في زمانه، الفائز بعلوّ المرتبتين في أوامه، علي بن الحسين الموسوي عليه السلام، فإنّه مع ما اشتهر من جلاله قدره في العلوم، وأنّه في المرتبة التي تنقطع أنفاس العلماء على أثرها، وقد اقتدى به كلّ من تأخّر عنه من علماء أصحابنا، بلغنا أنّه كان في بعض دول الجور ذا حشمة عظيمة وثروة جسيمة وصورة معجبة، وأنّه قد كان له ثمانون قرية، وقد وجدنا في بعض كتب الآثار ذكر بعضها.

وهذا أخوه ذو الفضل الشهير، والعلم الغزير، والعفة الهاشميّة، والنخوة القرشيّة، السيّد الشريف الرضيّ المرضيّ روح الله روحه، كان له ثلاث ولايات.

١. آثار المحقّق الكرّي: ٤/٤٨٩-٤٩٠، قسم الرسائل.

ولم يبلغنا عن أحد من صلحاء ذلك العصر الإنكار عليهما، ولا الغض منهما، ولا نسبتها إلى فعل حرام أو مكروه أو خلاف الأولى، مع أن الذين في هذا العصر ممن يزاحم بدعواه الصلحاء، لا يبلغون درجات أتباع أولئك والمقتدين بهم.

ومتى خفي شيء، فلا يخفى حال أستاذ العلماء والمحققين، والسابق في الفضل على المتقدمين والمتأخرين، العلامة نصير الملة والحق والدين، محمد بن محمد بن الحسن الطوسي قدس الله نفسه وطهر رسمه، وأنه كان المتولي لأحوال الملك والقائم بأعباء السلطنة، وهذا وأمثاله إنما يصدر عن أوامره ونواهي.

ثم انظر إلى ما اشتهر من أحوال آية الله في المتأخرين، بحر العلوم، مفتي الفرق، جمال الملة والدين أبي منصور الحسن بن المطهر عليه السلام، وكيف كانت ملازمته للسلطان المقدس المبرور محمد خدابنده، وأنه كان له عدة ثرى، وكانت نفقات السلطان وجوازته واصله إليه، وغير ذلك مما لو عدد لطلال.

ولو شئت أن أحكي من أحوال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، وكيف كانت أحوالهما في دول زمانهما، لحكيت شيئاً عظيماً.^(١)

٣. ولاية الفقيه في جامع المقاصد

قال: الفقيه المأمون الجامع لشرائط الفتوى منصوب من قبل الإمام، ولهذا تنضي أحكامه وتجب مساعدته على إقامة الحدود والقضاء.

لا يقال: الفقيه منصوب للحكم والإفتاء، والصلاة أمر خارج عنهما.

لأننا نقول: هذا في غاية السقوط؛ لأن الفقيه منصوب من قبلهم عليهم السلام حاكماً

١. آثار المحقق الكركمي: ٤/٥٠٣-٥٠٤، قسم الرسائل.

كما نطقت به الأخبار، وقريباً من هذا أجاب المصنّف وغيره.^(١)

أقول: ما ذكره هنا هو قريب مما نقلناه عنه في رسالة صلاة الجمعة، وعلى الجملة فكونه معتقداً بولاية الفقيه ومفتياً وممارساً لها في إقامته في النجف الأشرف وفي رحلته إلى إيران وتعاونه مع الدولة، من الأمور الواضحة، وسيوافيك بعض الكلام عند البحث عن آرائه السياسية.

الفصل السادس

حياته السياسية والخدمات التي قدمها للمجتمع

أسس النبي الأعظم ﷺ أزل حكومة إسلامية وأقامها في المدينة المنورة، وهي وإن لم تكن من حيث التنظيمات الإدارية على النحو المتعارف الآن إلا أنها كانت تمثل - آنذاك - حكومة كاملة الأركان، واضحة السمات والملامح، وهذا يُعلم من دراسة حياة النبي من هذا المنظار.

إن الإسلام ليس مجرد طقوس ومراسيم فردية يقوم بها كل فرد في بيته ومعبد، بل هو نظام اجتماعي، حقوقي، اقتصادي، وسياسي. فما سنّه في هذه الحقول رهن سلطة تنفيذية تتعهد بإجرائها.

ولقد بلغت أهمية الدولة والحكومة في نظر نبي الإسلام حدّاً، أن جُعِلت هي السبب الأساس في فساد أو صلاح الأُمّة، حيث قال: «صنّفان من أُمّتي إذا صلحا صلحت الأُمّة، وإذا فسدا فسدت الأُمّة».

قيل يا رسول الله: ومن هم؟ قال:

«الفقهاء والأُمراء»^(١).

إنّ دراسة فقه الإسلام من بدايته إلى نهايته تكشف للدارس الحقيقة التالية، وهي أنّ تنفيذ هذه الأحكام يتطلب بنفسه حكومة متكاملة الجوانب من حيث التقنين والتشريع أولاً، والقضاء وفصل الخصومات ثانياً، والإجراء والتنفيذ ثالثاً.

وقد ذكر سبحانه القوة التنفيذية وملاحظها في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١).

الحكومة حق لله سبحانه

إنّ من مراتب التوحيد تخصيص الحكومة لله سبحانه وأنه لا حكم إلا لله ولا حاكم سواه، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^(٢).

وذلك لأنّ الحكومة تستدعي التصرف في النفوس والأموال وغيرها وليس لأحد حق على أحد إلا الله سبحانه الذي هو خالق النفوس.

وبما أنه سبحانه لا يحكم في الأرض مباشرة فقد اقتضى الحال أن يعين الحاكم من البشر إما بالاسم والشخص أو من خلال توفر الصفات والشروط اللازمة فيه.

أما التصريح بالاسم والشخص فهذا كالنبي وأئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام، وأما الثاني فهذا فيما إذا لم يكن هناك تصريح بالاسم فيؤخذ

١. الحج: ٤١.

٢. الأنعام: ٥٧.

بالمواصفات أيما وجدت، وهذا يختص بعصر الغيبة فإن الحاكم منصوب من جانبه سبحانه لكن لا بالاسم، بل من جانب المواصفات فعلى الأمة الإسلامية إطاعة من وجدت فيه مواصفات الحاكم الأعلى.

أما صفات الحاكم الإسلامي فهي إجمالاً عبارة عن:

١. الإيثار.

٢. حسن الولاية والقدرة على الإدارة.

٣. التفوق في الإدارة السياسية.

٤. العدالة.

٥. الرجولة.

٦. أن يكون فقيهاً في الدين عالماً بالشريعة عن اجتهاد.

هذه هي عمدة الصفات اللازمة في الفقيه وهي توجد في الفقيه المجتهد

الجامع للشرائط، فللفقيه مناصب ثلاثة:

١. منصب الإفتاء.

٢. منصب القضاء.

٣. منصب الحكومة.

نعم ليست حكومة الفقيه وولايتها بمعنى استصغار الأمة ولا الاستبداد

بمقدراتها، وإنما هي ممارسة الحكم على ضوء ما أقره الإسلام للناس من الحقوق،

وذلك بالبيان التالي:

إذا نهض الفقيه بتشكيل الحكومة وجب على الناس أن يسمعوا له

ويطيعوه، إذ كل ما يشترط من المواصفات في الحاكم التي مرّ بيانها؛ موجود في

الفقيه العادل.

كما أنه إذا نهض الناس بتشكيل الحكومة تحت الضوابط الإسلامية، فللقية العادل حيثُ أن يراقب سلوك الحكومة وتصرفاتها؛ فيصح سيرتها إذا انحرفت ويعدّل سلوكها إذا شدّ... وعندئذ تكون ولاية الفقيه ضماناً لاستقامة الدولة وماتعاً عن عدوها عن جادة الحقّ وسنن الدين، فهو بما أنه متخصص في الشريعة، أعرف بالأحكام والحدود، وبما أنه ورع يتقي الله ويخشاه أكثر من سواه، كما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، فولايته تمنع الحكومة عن الخروج عن المعايير الإسلامية. وارتكاب ما يخالف مصالح الإسلام والمسلمين دون أن ينحرف هو عن صراط الحقّ المستقيم.

لقد أقصي أهل البيت عليهم السلام عن الحكم يوم السقيفة وبعده، حيث تولى الحكم بعد خلافة الخلفاء، الأمويون والعباسيون، يتلقفونه كالكرة، ويتوارثه الأبناء عن الآباء، ومع ذلك كلّه أقام الشيعة لهم كيانات سياسية خلال هذه الحكومات لا بصورة الخلافة بل بصورة الملوكية، وربما اتخذ بعضها لنفسه طابع الخلافة، وأبرز هذه الكيانات:

١. الحمدانيون

بنو حمدان أمراء حلب والموصل والعواصم، منهم: سيف الدولة علي بن حمدان وابنه سعد الدولة وأخوه ناصر الدولة وابن عمّه أبو فراس الشاعر الطائر الصيت.

٢. بنو مزيد

أمراء الحلة منهم: الأمير سيف الدولة (صدقة بن ديبس الأسدي) صاحب الحلة السيفية، المنسوبة له، وابنه ديبس، وأخوه بدران بن صدقة.

٣. أئمة الزيدية ودولتهم في اليمن

أسس يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا حكومة شيعية زيدية في اليمن، استمرت قائمة حوالي ١٢ قرناً وآخر أئمتهم هو بدر بن الإمام يحيى، وقد انقرضت هذه الدولة بقيام ثورة داخلية ساندتها دول خارجية.

٤. الدولة الزيدية في المغرب

أسس إدريس بن محمد بن عبد الله الحسني، دولة في المغرب عرفت بدولة الأدارسة حكمها نحو (١٨) شخصاً، ودام ملكهم نحو (٧٠) سنة.

٥. الدولة الزيدية في طبرستان

أسسها الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى سنة (٢٧٠هـ). ودام حكمها إلى سنة (٣٦٠هـ).

٦. الفاطميون

أسسها الإمام عبيد الله الملقب بالمهدي، ببيع بالخلافة سنة (٢٩٦هـ)، وتوفي عام (٣٢٢هـ) ودامت خلافة الفاطميين إلى أن قضى عليهم صلاح الدين سنة (٥٦٧هـ).

٧. دولة البويهيين

آل بويه أسرة إيرانية خرجت من الديلم، وحكمت إيران والعراق من عام ٣٢٠-٤٤٨ هـ ومؤسسها علي (عماد الدولة)، وحسن (ركن الدولة) وأحمد (عز الدولة) وهم أبناء بويه الديلمي، وقد شمل حكمهم فارس والعراق والأهواز وكرمان والري وهمدان وأصفهان.

إلى غير ذلك من الحكومات التي أسسها الشيعة في أكثر من قطر، للتخلص من ظلم الحكام الذين كانوا يحكمون باسم الإسلام ولا يجترمون لشيعة أهل البيت دماءهم ولا نفوسهم وأعراضهم.

ومن تلك الحكومات حكومة (السريدارية) وهي حكومة شيعية استولت على الحكم في خراسان بعد وفاة (محمد خدابنده) في سنة (٧١٦ هـ) وهو من ملوك المغول، واستقرت حكومتهم بعد معارك دامية سنة ٧٣٨ هـ واستمرت إلى سنة ٧٨٣ هـ واندمجت في حكومة التتر التي كانت تغطي سلطنتهم أكثر الرقعة الإسلامية.

ومن تولى الحكم من السريداريين علي بن محمد بن المؤيد، المعروف بالعدل والإحسان إلى الضعفاء والاهتمام بنشر التشيع وولاء أهل البيت، وذلك عام ٧٦٦ هـ إلى أن وافته المنية سنة ٧٩٥ هـ.

وكان لأخبار حكومته دوي في ربوع جبل عامل، وكان الملك المذكور يُكنّى احتراماً كبيراً للشهيد الأزل وكانت العلاقات بينهم قائمة عن طريق الرسائل والرسول.

كان الملك يرغب في أن يقادر الشهيد الأزل موطنه إلى خراسان ليكون

مرجعاً فقهياً للفقهاء في تلك المنطقة، وقد كتب في ذلك الموضوع رسالة إلى الشهيد الأول.

وبما أنّ تلك الرسالة تعتبر من الوثائق التاريخية التي تعرب عن مكانة الشهيد الأول وعمّا بلغت إليه منطقة جبل عامل من الشهرة في الفقه والفقاهة، نورد هنا نصّ الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام كنشر العنبر المتضوع	يخلف ريح المسك في كل موضع
سلام يياهي البدر في كل منزل	سلام يياهي الشمس في كل مطلع
على شمس دين الحق دامت ظلاله	بجدّ سعيد في نعيم ممّتع

أدام الله تعالى مجلس المولى الهمام العالم العامل الفاضل الكامل السالك الناسك، رضيّ الأخلاق، وفيّ الأعراق، علامة العالم، مرشد الأمم، قدوة العلماء الراسخين، أسوة الفضلاء والمحققين، مفتي الفرق، الفارق بالحق، حاوي الفضائل والمعالي، حائز قصب السبق في حلبة الأعاضم والأعالي، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، محيي مراسم الأئمة الطاهرين، سرّ الله في الأرضين، مولانا شمس الملة والدين، مدّ الله أطناب ظلاله بمحمد وآله من دولة راسية الأوتاد ونعمة متصلة الأمداد إلى يوم التناد.

وبعد: فالمحب المشتاق، مشتاق إلى كريم لقاءه غاية الاشتياق وأن يمنّ

بعد البعد بقرب التلاق:

حرم الطرف من محبـاك لكن

حظي القلب من محبـاك ربـيا

ينهي إلى ذلك الجناب - لا زال مرجعاً لأولي الألباب - أن (شيعه خراسان) صانها الله عن الحدثنان متعطشون إلى زلال وصاله، والاعتراف من بحر فضائله وأفضاله، وأفاضل هذه الديار قد مزقت شملهم أيدي الأدوار، وفترت جلمهم أو كلهم صنوف صروف الليل والنهار، قال أمير المؤمنين عليه سلام رب العالمين: «ثلمة الدين موت العلماء» وإننا لا نجد فينا من يوثق بعلمه في فتياه، ويتهيأ للناس برشده وهداه، فهم يسألون الله تعالى شرف حضوره، والاستضاءه بأشعة نوره، والافتداء بعلمه الشريفه، والاهتداء برسومه المنيفه، واليقين بكرمه العميم وفضله الجسيم أن لا يخيب رجاءهم، ولا يرد دعاءهم، بل يُسعف مسؤولهم، وينجح مأمولهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾.

ولا شك أن أولي الأرحام أولى بصلة الرحم الإسلاميه الروحانيه، وأحرى القرابات بالرعايه القرابه الإيمانيه. ثم الجسمانيه، فهما عقدتان لا تحملها الأدوار والأطوار، بل شعبتان لا يهدمها إعصار الأعصار.

ونحن نخاف غضب الله على هذه البلاد لفقدان الرشد وعدم الإرشاد والمأمول من انعامه العام وإكرامه التام أن يتفضل علينا ويتوجه إلينا متوكلاً على الله القدير، غير متعلل بنوع من المعاذير إن شاء الله تعالى.

والمتوقع من مكارم صفاته ومحاسن ذاته إسبال ذيل العفو على هذا الهفو، والسلام على أهل الإسلام. المحب المشتاق

علي بن مؤيد^(١)

١. روضات الجنات: ٣/٢، الطبعة الحجرية نقلًا عن الدروس: ١/٦١-٦٢، المقدمة.

إنَّ الشهيد الأوَّل وإن لم يجب دعوة الملك لكتته زود الرسول بكتاب اللمعة الدمشقية ليكون مرجعاً لفقهاء المنطقة فيما يعرض لهم من مسائل الفقه. هكذا يجب أن يكون العلماء مهتمين بأمور الأمة فإن سنحت الفرصة شاركوا في تأسيس الحكومة وإدارتها وإلا دعموها بقدر المستطاع، ولذلك نرى أنَّ الشهيد أجاب دعوة الملك بتأليف رسالة فقهية كاملة أرسلها إليه لتكون مبنياً لعمل المفتين والقضاة.

وهذه هي الضابطة الكلية والسيرة المتعارفة لفقهاء الشيعة، ومن هذا المنطلق نرى أنَّ المحقق الكركي أجاب دعوة الملك إسما عيل عندما قام بتأسيس الحكومة العلوية في إيران، وإليك شرح هذا المقطع من تاريخ حياة المحقق.

المحقق الكركي والتدخل في شؤون الحكم

إنَّ المحقق الكركي لما رأى أنَّ أُمَّة كبيرة نهضت بتشكيل حكومة إسلامية، واتخذت منهج التشيع الإمامي طابعاً لها، أحسَّ بمسؤوليته تجاه هذه الدولة الفتية التي رفعت راية التشيع بعدما غابت عن مسرح الحياة (منذ شهادة الوصي في محرابه) قرابة تسعة قرون.

وهذه الدولة قامت على يد إسما عيل الصفوي الذي ولد عام ٨٩٢هـ وبدأ بالتحرك في شهر محرم الحرام سنة ٩٠٥هـ من آذربايجان، معتمداً على سبع قبائل تركية وهي: (استاجلو، وشاملو، وروملو، وتوكلو، وذو القدر، وأفشار، وقاجار)، وفي سنة ٩٠٦هـ احتل باكو كما أنه في سنة ٩٠٧هـ استولى على تبريز وجعلها عاصمه له، وفي سنة ٩١٠هـ استولى على أصفهان ويزد وكرمان وجنوبي خراسان، وفي سنة ٩١٤هـ في اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة احتل بغداد وقضى على حكم أسرة (آق قيون لو) قضاءً نهائياً، وذهب في أوائل

رجب لزيارة العتبات المقدّسة في مدينتي النجف و كربلاء المقدّستين. وهناك تعرّف على المحقّق الكركي، وأدرك أنّه هو الرجل الوحيد الذي يمكن أن يساعده في تطبيق الشريعة في مملكته.

وفي ضوء ذلك استقدمه الشاه إسماعيل إلى إيران في أواخر ٩١٦ هـ وقد دخل عليه في مدينة (هراة) ولكنه لم تطل اقامته في إيران أزيد من ثلاث سنين. لأنّه لم يجد بغيته لدى الشاه، لأنّ لكلّ ثقافته الخاصة، فالصفوي كان رجلاً عسكرياً لا يعرف إلّا منطق القوة فلا يفكر إلّا في الفتح ونشر القدرة، ولكن المحقّق الكركي ولد في عائلة علمية في أحضان العلم والمعرفة وكان والده عالماً فاضلاً ونشأ نشأة هادئة محبباً للسلام داعياً لمذهب أهل البيت عليهم السلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يفكر بشيء سوى مرضاة الله تعالى. والدعوة بأخذ الطرق الثلاثة: ١. الحكمة، ٢. الموعظة الحسنة، ٣. المجادلة بالتي هي أحسن.

وبها أنّ طريق الحاكم الذي كان بيده القوة والقدرة كان غير ذلك. لم يجد بدأ من العودة إلى العراق.

نعم كان هنا عامل أو عوامل أخرى لمغادرة إيران يأتي تفصيلها في الهجرة الثانية.

الهجرة الثانية إلى إيران

لقد غادر المحقّق الكركي إيران - لبعض ما ذكرنا - متوجّهاً إلى النجف الأشرف وعاش فيها إلى عام ٩٣٦ هـ وقد توفّي في أثناء هذه الفترة أيّ سنة ٩٣٠ هـ شاه إسماعيل وتغلّب العثمانيون على الصفويين في العراق.

مات الملك الأول واستلم الحكم ولده الصغير طهماسب فلما بلغ وأخذ بزمام الحكم، وكان أول شيء حلّم به هو تحرير العراق من سلطة العثمانيين واستردادها منهم، فأعدّ العدة لذلك عام ٩٣٦ هـ فتحقّق حلمه في ذلك العام وطرد العثمانيين عن أرض العراق وصفا بلاد ما بين النهرين لحكمه، وقد زار في سفره هذا الأعتاب المقدسة، واجتمع مع المحقق الكركي في النجف الأشرف ورأى أنّ آماله معقودة بناصية المحقق فدعاه إلى مغادرة العراق والتوجه إلى إيران بصحبته.

وقد أحسّ المحقق أنّه يتمكن من إجراء إصلاحات في السياسة والحكم، فلبّى دعوة الملك وقد أصدر الملك مرسوماً في نفس النجف الأشرف تعضيداً له وهذه هي ترجمة نص المرسوم من الفارسية إلى العربية.

المرسوم الملكي الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

حيث يبدو ويتضح من الحديث صحيح النسبة إلى الإمام الصادق عليه السلام : «انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإتي قد جعلته حاكماً. فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه فإنما بحكم الله استخفّ، وعلينا ردّ، وهو رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك».

وواضح أنّ مخالفة حكم المجتهدين، المحافظين لشرع سيّد المرسلين، هو والشرك في درجة واحدة. لذلك فإنّ كلّ من يخالف حكم خاتم المجتهدين، ووارث علوم سيّد المرسلين، ونائب الأئمة المعصومين عليهم السلام، لا يزال كاسمه العلي

علياً عالياً، ومن لا يتابعه، فإنه لا محالة مردود، وعن مهبط الملائكة مطرود، وسيؤخذ بالتأديبات البليغة والتدبيرات العظيمة.

كتبه طهباسب ابن شاه إسماعيل الصفوي الموسوي^(١)

ويلاحظ أنّ التعابير الواردة في المرسوم هي تعابير فقهية وليست سياسية، وهذا يعرب عن أنّ الكاتب هو أحد الفقهاء البارزين في الفقه.

وهذا المرسوم الملكي يفقد التاريخ ولعلّ النسخ تصرفوا فيه ولكن يظهر من المرسوم الملكي الثاني أنّ الأول كان مؤرخاً عام ٩٣٦ هـ.^(٢)

نزل المحقق الكركي إيران ومعه المرسوم السلطاني الذي أمر به السلطان أتباعه بإطاعته وأنّ من خالفه فهو مردود وعن مهبط الملائكة مطرود وسيؤخذ بالتأديبات البليغة... فاستغل المحقق هذا المرسوم وأجرى ما كان يتوخاه في السلطة الصفوية من الإصلاحات، وصار المناخ صالحاً لأن يلقب بواضع الأسس الدستورية للدولة الصفوية.

وإليك ما قدّم من الخدمات في هذه العودة التي طالت حوالي ثلاث سنين:

الأولى: نشر الأحكام الشرعية وترويجها على مذهب أهل البيت عليهم السلام وذلك بواسطة مجموعة من العلماء، حيث عيّن في كلّ مدينة رجل دين يعلمهم مسائل الشرع الخفيف، ويقوم بكافة ما يتعلّق بالأمر الشرعية كصلاة الجمعة والجماعة، والنظر في مشاكلهم الاجتماعية، والفصل في خلافاتهم الدنيوية.

الثانية: تأسيس حوزات علمية مبنية على أسس وقواعد مذهب أهل

١. رياض العلماء: ٣/ ٤٤٥٥ وروضات الجنات: ٤/ ٣٦٤.

٢. لاحظ رياض العلماء: ٣/ ٤٥٩، ذيل المرسوم الثاني.

البيت، فقد أتمس عدّة حوزات أهمّها كانت في كاشان واصفهان، وعين رواتب للدارسين فيها ليتفرضوا لطلب العلم.

الثالثة: العناية بالحكام والمسؤولين بتثقيفهم بأحكام الشرع وعدم الخروج عنها عند المعاملة مع الناس.

الرابعة: عزل المتخلفين عن العمل بالأحكام الشرعية عن مناصبهم فعزل الأمير غياث الدين منصور الدشتكي الشيرازي (المتوفى ٩٤٦هـ) من منصب الصدارة، ونصب بدله تلميذه الأمير معز الدين الأصفهاني (المتوفى ٩٥٢هـ)، ثم عزل هذا أيضاً ونصب بدله الأمير أسد الله الشوشترى (المتوفى ٩٦٣هـ).

الخامسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط الناس، فقد كان الغناء مباحاً عند الصوفية وأماكن القمار واللهو منتشرة. فقد وضع المحقق الكركي خطة لمحاربة الفساد وقد حظى بدعم الملك الذي كان يُعد أكثر تديناً بين الصوفيين، فأمر بإغلاق أماكن اللهو والفساد، وكسر آلات الغناء والموسيقى. وفي ذلك أصدر الملك مرسومين (الثاني والثالث) ناتج بنصيتهما.

المرسوم الثاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، والصلاة والسلام على سيد البشر، والأئمة الاثني عشر، المبعوثين لترويج الشرع الأطهر إلى يوم الحشر.

وبعد، لا يخفى على الضمير الأنور، ذي الجوهرة الكبريائية، بأن الجميع...

لا يزال اعتناء الملك باسط الفيض، حاكم أهل الإيمان - المهتأ - و ماحي معالم
الفسق والعصيان، المؤيد أسعد السعداء، حاكم الربيع المسكون، بتأييد الله الملك
المتأن أبو المظفر السلطان شاه طهباسب بهادر خان - خلد الله ملكه وسلطانه
وأفاض على العالمين بزه وعدله وإحسانه - الذي لا تزال شجرة إقباله ورفعته
تروى من منهل شريعة سيد المرسلين ﷺ ومنهج الأئمة المعصومين عليه من غير
توان، لا زال منصباً على ترويح الدين الميين والشرع المستيين.

وفي هذا البلد، وبميامن توفيقات الله الأزلية، وبركات تقبيل العتبة الرضية
الرضوية - على صاحبها آلاف التحية والثناء - وبما تقتضيه دعوة مبشر الهداية
رسول الله ﷺ ذات العناية اللامتناهية والتي تُفرح القلوب وهي ﴿تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾^(١)، والآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ اتَّقِيَ اللَّهَ أَكْثَرَ مِنْ
أَنْ تَقُولُوا نَحْنُ مُسْلِمُونَ﴾^(٢)، فقد طرقت المسامح المعززة، وأصغى
إليها بكل إخلاص، حيث أدى هذا الأمر إلى ترك المناهي والمنكرات وإلى
التوبة النصوحة.

فقد صدر حكم واجب الاتباع في كافة الممالك المحروسة بقلق أماكن
شرب الخمر والترياق، ومحل اجتماع القصاصين، ودور الدعارة، وأماكن اللعب
بالطيور.

والجباة المكرمون يأخذون روايتهم الشهرية من ديوان الجباية، والأمر
المذكورة - المنهيات - لا بد أن تلغى في جميع البلاد لا سيما دار الإيمان
كاشان، وأن لا يسمح للناس بارتكاب هذه المناهي من هذا الوقت، وكذلك

١. التحريم: ٨.

٢. آل عمران: ١١٠.

سائر اللامشروعات مثل حلق اللحية ، والعزف على الطنبور وغير ذلك من آلات اللهب.

ومن مارس هذه الأعمال يُزجر ويؤذّب بزجر وتأديب بليغين حسب ما قرّره الشرع الشريف.

وأيضاً يُمنع استخدام النقارة في البقاع المتبركة، وتُمنع مرادة الغلمان، وأيضاً يُمنع عمل المُرد في الحمامات.

وعلى الغزاة العظام والعساكر - ختم الله مآلهم بالظفر - وعامة السكان وعموم الرعايا في تلك البلاد، أن يعتبروا كلّ من قام بالأعمال المذكورة من المطرودين والمرجومين ومن عليه لعنة الله وسخطه ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾^(١) عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من الإنس والجنّ أجمعين.

فإذا انصبت جهود القوة التنفيذية والقوة التشريعية على نشر الأمر بالمعروف ومكافحة الفساد، لأصبح المجتمع كمدنية فاضلة يسوده الأمن والسلام، ويصل كلّ فرد إلى كماله الذي خُلق له، بخلاف ما إذا ساد بينها التناحر، انعكس ذلك المجتمع بالفوضى والفساد.

ولأجل تلك النتائج الباهرة الملموسة، عزز الملك المرسوم، بثالث، وهذا

نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

لما منحنا الله الحكم حسب الآيات ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾^(٢) ﴿لَيْسَتْ خَلِيفَتُهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾^(٣) صدر هذا المرسوم عن دار الخلافة الرفيعة المختوم بختم السلطان، الموشح باسم دار الخلافة السامية.

وأداة لشكر هذه الموهبة العلية السنية الزمنا ذمتنا أن ننصب في جميع الأقطار وكلاء ملتزمين بالدين والشريعة، متوسمين بوسام ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤) ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٥)، - إلى أن قال:-

وأنّ السلطان قد كلف كل من يريد الولاية بدوام ذكر الله، وإحياء الليالي الشريفة، والترغيب في الصلاة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنسيق أمور المساجد والمدارس والتكايا والزوايات وبقاع الخير، وكسر الآلات المحرّمة، ومنع الفسقة والفجرة وأهل البدع وزجرهم، وكسر الأواني والآلات المحرّمة، وتحريض الناس على ذلك، والتمسك بالطاعات والعبادات، ومنع الأجانب من رؤية النساء، وهدم الدور التي تُعمل فيها المعاصي، وأن لا يتهاون لحظة في السعي في الأمور المذكورة.

٢. الأنعام: ١٦٥.

١. البقرة: ٣٠.

٤. آل عمران: ١١٠.

٣. النور: ٥٥.

٥. التوبة: ١١٢.

لماذا ترك إيران؟

هذا هو السؤال المهم في حياة المحقق الكركي حيث إنه عاد إلى العراق عام ٩٣٩ هـ مع أنه كان قد احتل موقعاً مهماً عند الملك حتى صار الملك بيده أداة طيعة.

والذي يستفاد من التاريخ أنه لم يترك إيران مختاراً وهو يرى بأن عينيه ثمرة جهاده ودؤوب عمله.

والذي صار سبباً لمغادرته إيران ظهور معارضة له في داخل البلاط وخارجه كانوا يحسدونه لخضوع البلاط له بعامة وجوده، وهؤلاء شكّلوا جبهة قوية ضد الكركي، فلم يجد الشيخ بدأً من ترك إيران.

وتلخص القوى المعادية للمحقق في ما يلي: (١)

١. رجال الفرقة الصوفية المعروفة بـ «القلباش»

كان لرجال الفرقة الصوفية المعروفة بـ «القلباش» دور مهم في إنجاح ثورة الشاه إسماعيل وإيصال العائلة الصفوية إلى الحكم، حيث خاضوا معارك ضارية ضد أعدائهم، وقدموا أعداداً كبيرة من الضحايا، وضربوا أروع آيات الفداء والتضحية والإخلاص لقائدهم الشاه إسماعيل، وقد كان المحقق يعارض الصوفية ويكافحهم.

١. وقد استندنا في هذا البحث مما كتبه محقق آثار الكركي الشيخ محمد الحسنون التبريزي، وإليه يرجع الفضل.

٢. أتباع مدرسة الخلفاء الذين أظهروا التشيع

قد وقف بعض رجال الدين (الذين كانوا من أتباع مدرسة الخلفاء وعند إعلان الشاه إسماعيل الصفوي رسمية مذهب أهل البيت عليه السلام في البلاد، استجابوا لدعوته وأعلنوا تأييدهم للشاه والمذهب الجديد).

ووقف بعض هؤلاء موقف المعادي والمعاند للكركي، حيث يعتبرون أنفسهم أصحاب البلاد، وأحق بمناصبها السياسية والدينية من الأجانب الذين جاءوا من وراء الحدود، كالمحقق الكركي الرجل العربي الغريب الذي جاء من قرية صغيرة من لبنان واحتل أعلى المناصب في الدولة الصفوية واستطاع الحصول على صلاحيات كبيرة من الشاه طهماسب.

لذلك نشاهد أنهم يحاولون الوقوف أمام إصلاحات الكركي الاجتماعية كتغيير القبلة حيث أعلن الأمير غياث الدين منصور الدشتكي - الذي كان يحتل منصب الصدارة في زمن الشاه طهماسب - معارضته للكركي في هذا التغيير، وأدى الأمر إلى إجراء المناقشات الحادة بينه وبين الكركي بحضور الشاه، والتي كانت الغلبة فيها للكركي، إلا أن الدشتكي أصرّ على رأيه وعناده، مما أدى إلى قيام الشاه طهماسب بعزله من منصب الصدارة.^(١)

يقول الأفندي التبريزي ما هذا مثاله: إن الأمير غياث الدين منصور الدشتكي ممن يجادله في بعض الإصلاحات التي كان الشيخ يجريها على المجتمع ومنها تغيير قبلة البلاد، حيث أراد الشيخ علي أن يصلح قبلة بلاد إيران و كان الأمير يسكن شيراز حيث اغتاض من أن يقوم غيره ويتدخل في الأمور الدينية

١. آثار المحقق الكركي: ١/ ٤٦٣.

بالبلد الذي يسكن فيه خصوصاً أنّ في تغيير القبلة تجهيلاً للأمير غياث الدين منصور، ولذلك خالف إصلاحه ولم يمكنه مما أراد، واحتج بأنّ تعيين القبلة منوط بالدائرة الهندية التي لا يقوم باعمالها إلا الرياضيون لا الفقهاء.

ولمّا وقف الشيخ على معارضته كتب إليه الآية التالية: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (١)

ولمّا وصل الكتاب إلى الأمير أجابه بالآية التالية: ﴿وَلَيِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَيِّنَ أَتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾. (٢)

وكان هذا هو أحد الأسباب لمغادرة المحقق إيران في المرة الأولى عام

٩١٩هـ.

ولما جاء للمرة الثانية إيران عام ٩٣٦هـ ثار عليه الأمير غياث الدين منصور ثانية، وقد كانت رواسب الكدورة باقية في زوايا نفسه. وقد صارت في الهجرة الثانية رقعة الشيخ أوسع حيث عيّن كثيراً من العلماء العاملين لقطع الأمور الشرعية وفصلها دون أن يتوقفوا في ذلك على تأييد ديوان الصدارة والذي كان الأمير يرأسه صار ذلك سبباً لنشوب العداة بينها حتى آل الأمر إلى المناقشة في مجلس السلطان وظهرت أمارات الغلبة العلمية للمحقق على الأمير، فعزله السلطان عن الصدارة ومع ذلك لم ينكر السلطان جهود غياث الدين، فلما توجه الأمير إلى شیراز كتب إليه أحكاماً مشتملة على الشفقة والعناية وأرسلها مع الحلّل النادرة وقلّده حكومة الشرعيات في رقعة فارس، كما فوّض إليه عزل القضاة

والمتصدّين للشريعات في تلك البلاد.^(١)

٣. مخالفة رجال الدين الشيعة

وقد اختلف مع المحقق بعض رجال الدين الشيعة في بعض المسائل الفقهية، كصلاة الجمعة وأخذ الخراج حال غيبة الإمام عليه السلام والتعامل مع السلاطين وقبول جوائزهم وهذا ياهم.

هؤلاء شكّلوا جبهة علمائية قوية ضدّ الكركي وبدأوا برّد مبانيه وآرائه في مجالس البحث، وألّفوا رسائل ناقشوا فيها أقواله في تلك المسائل التي يعتبر بعضها جديداً على الخوزة العلمية، وفي مقدّماتهم الشيخ إبراهيم القطيفي (المتوفى ٩٤٥هـ)، والشيخ نعمة الله الحلبي (المتوفى ٩٤٠هـ) ومع أنّه كان من تلاميذ المحقق الكركي إلّا أنّه اتّصل أخيراً بالشيخ القطيفي وصار من أعوانه.

٤. بعض رجال البلاط

هذه القوى المعادية أوجدت جرأة لبعض أهل البلاط لحياكة مؤامرات تستهدف حياة المحقق، وهناك نصوص تاريخية تؤيد ذلك.

يقول حسن بك روملو: وكان من جملة الكرامات التي ظهرت في شأن الشيخ علي، أنّ محمود بيك «مهردار»^(٢) كان من ألدّ الخصام وأشدّ الأعداء للشيخ علي، فكان يوماً بتبريز في ميدان صاحب آباد يلعب بالصولجان بحضرة ذلك السلطان يوم الجمعة وقت العصر.

١. رياض العلماء: ٣/ ٤٥٤-٤٥٥.

٢. أي من بيده خاتم الملك وهو كان مقاماً سامياً يطلب لنفسه أمانة الحامل وثقة الملك به.

وكان الشيخ علي في ذلك العصر - حيث إن الدعاء فيه مستجاب - يشتغل لدفع شره وفتته وفساده بالدعاء السيئي ودعاء الانتصاف للمظلوم من الظالم المنسوب إلى الحسين عليه السلام، ولم يتم الدعاء الثاني بعد، وكان على لسانه قوله عليه السلام: «قرب أجله وأبتم ولده» حتى سقط محمود بيك المذكور عن فرسه في أثناء ملاعبته بالصولجان وجرح رأسه على أنه قضى على حياته.

وقال ميرزا عبد الله الأفندي التبريزي بعد نقل هذا الكلام:

قد رأيت في بعض التواريخ الفارسية المؤلفة في ذلك العصر أيضاً، أن محمود بيك المخدول المذكور كان قد خمر في خاطره المشؤوم في عصر ذلك اليوم أن يذهب إلى بيت الشيخ علي بعد ما فرغ السلطان من لعب الصولجان ويقتل الشيخ علي بسيفه في ذلك الوقت بعينه، وواضع في ذلك مع جماعة من الأمراء المعادين للشيخ علي، فاتفق بكرامة الشيخ علي أن وقعت يد فرس محمود بيك في بئر كانت في عرض الطريق بعد الفراغ من تلك الملاعبة وقبل التوجه إلى جانب بيت الشيخ علي، فطار هو مع فرسه في تلك البئر وانكسر رأسه وعنقه ومات في ساعته.^(١)

هذه القوي المعادية شكلت سبباً تاماً لمغادرة إيران متوجهاً إلى العراق عام ٩٣٩ هـ وظل فيها قرابة سنة ونصف حتى لبس دعوة ربه عام ٩٤٠ هـ، وصحيفة أعماله مكتظة بالחסنات والخدمات الجليلة للمذهب والمجتمع التي شملت كافة الجوانب المهمة في حياة الناس وإدارة المجتمع.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً

المولى محمد باقر المجلسي

(١٠٣٧-١١١٠هـ)

مجّد المذهب في القرن الحادي عشر

هذه مقالة موجزة في ترجمة الإمام العلامة شيخ الإسلام المولى محمد باقر المجلسي رحمته الله (١٠٣٧-١١١٠هـ).

ولا تعني الكلمة بترجمة سيرته وأثاره العلمية التي تركها، فإن ذلك يحوجنا إلى تأليف مفرد، بل تعني بتسليط الأضواء على جانب خاص من جوانب حياته كما يتضح فيما بعد.

وقد قام غير واحد من أعلام الطائفة بتأليف كتاب أو مقال أو ترجمة مفصلة حول حياته.

فقد ألف شيخنا العلامة النوري (١٢٥٤-١٣٢٠هـ) كتاباً باسم «الفيض القدسي في ترجمة العلامة المجلسي» ألفه عام ١٣٠٢هـ، ذكر فيها ترجمته وتصانيفه، كما ذكر ترجمة مشايخه وتلاميذه وجملة من أقربائه، وقد طبع في الجزء الأول من أجزاء البحار ذي الطبعة القديمة.

كما قام زميلنا الشيخ عبد الرحيم الربّاني الشيرازي بترجمته ترجمة وافية،

وطبع مع الجزء الأول من البحار ذي الطبعة الحديثة.

وقد كفانا هذان التأليفان، مضافاً إلى ما ذكره أصحاب المعاجم والتراجم في حقّه.

ولذلك فقد كرّسنا البحث على جانب خاص بقي مغمور الذكر عند معظم أصحاب التراجم وإن أشاروا إليه على وجه الإجمال في ثانيا كلامهم. ألا وهو الجانب الإبداعي والابتكاري من شخصية العلامة المجلسي قدس الله نفسه الزكية.

وقبل استعراض هذا الجانب، لابدّ من الإشارة إلى نكتة وهي: إنّ العبقرية هو من تتمتع بذكاء مفرط وحادّة في الذهن جعله متفوّقاً على الآخرين بكماله وحادّته وبراعته، ويعلم ذلك من خلال منجزاته العلمية.

فلو كان هذا هو الملاك لوصف المرء بالعبقرية، فشيخنا المجلسي يعدّ في طليعتهم، فقد نال إعجاب العلماء بموسوعته الكبيرة المسماة بـ«بحار الأنوار» وفاق الآخرين بآثاره التي قلّمها يوجد لها نظير.

وناهيك عن ذلك فإنّ الإبداعات والابتكارات العلمية التي قام بها والتي خلّدتها في التاريخ جعلته من النوادير الذين يُشار إليهم بالبنان، ها ونحن نشير إلى أهمّها:

١. ابتكار دائرة معارف شيعية

إنّ كتاب البحار دائرة معارف إسلامية بصيغة شيعية جمع فيها ولأوّل مرّة ما يرجع إلى الكتاب والسنة من فنون الفقه والتفسير والحديث والرجال وأصول العقائد والكلام وأصول الفقه والتاريخ إلى غير ذلك من فنون رائجة بين

المسلمين إلى عصره.

لقد ظهر هذا النمط من تدوين العلوم وضمها في دوائر المعارف عند اليونانيين، ثم أعقبهم المسلمون حيث قاموا بتأليف دوائر معارف مختلفة ضمتها فيها جميع العلوم الراجحة، ونذكر منها ما يلي:

١. رسائل إخوان الصفا: وهي مجموعة تشمل على إحدى وخمسين رسالة في علوم مختلفة ألقتها جمعية إخوان الصفا أواسط القرن الرابع.

٢. إحصاء العلوم للمعلم الثاني أبو نصر محمد بن طارخان الفارابي (المتوفى عام ٣٣٩هـ).

٣. «شمس العلوم» لنشوان بن سعيد بن نشوان الحميري (المتوفى ٥٧٣هـ) في ١٨ مجلداً.

٤. «نفائس الفنون في عرائس العيون» لمحمد بن محمود الأملي (المتوفى ٧٥٣هـ).

٥. «لسان الخواص» لأقارضي القزويني محمد بن الحسن (المتوفى ١٠٩٦هـ) في عدة أجزاء.^(١)

إلى غير ذلك من موسوعات كبيرة بين ما يختص بقسم من العلوم كالفلسفة والآداب وبين ما يعم أغلب العلوم.

غير أن جميع دوائر المعارف تلك تتمحور حول العلوم والأفكار البشرية التي لها قيمتها الخاصة، إلا أن شيخنا المجلسي اتخذ طريقاً آخر، وهو جمع ما ورد

١. لاحظ الذريعة: ٨/٣-١٥ حيث ذكر فيها لمحة تاريخية عن دوائر المعارف.

في دائرة الوحي من الآيات والروايات، والتحقيق حولها وبسط الكلام في مضامينها ومعضلاتها .

وعلى كل تقدير فالموسوعة صورة ناطقة عن عبقرية مؤلفها وطول باع وقوة تفكيره وعلو همته، وقد استسهل في سبيل تأليفها كل المشاق والمصاعب .

فها هو شيخنا المؤلف يصف جهوده المبذولة في ترصيف هذا الأثر يقول: فطفقت أسأل عنها - عن الكتب - في شرق البلاد وغربها حيناً، والحق في الطلب لدى كل من أظن عنده شيئاً من ذلك، وإن كان به ضئيلاً، وقد ساعدني على ذلك جماعة من الإخوان، ضربوا في البلاد لتحصيلها، وطلبوها في الأصقاع والأقطار طلباً حثيثاً حتى اجتمع عندي بفضل ربي كثير من الأصول المعتبرة التي كان عليها معول العلماء في الأعصار الماضية، وإليها رجوع الأفاضل في القرون الخالية، فألفيتها مشتملة على فوائد جمّة خلّت عنها الكتب المشهورة المتداولة، وأطلعت فيها على مدارك كثير من الأحكام، اعترف الأكترون بخلو كل منها عما يصلح أن يكون مأخذاً له، فبذلت غاية جهدي في ترويجها وتصحيحها وتنسيقها وتنقيحها.^(١)

٢. ابتكاره للتفسير الموضوعي

كان التفسير الرائج بين المفسرين هو تفسير القرآن الكريم حسب ترتيب السور، فيأدر المفسر إلى تفسير سورة الحمد ثم سورة البقرة وهكذا. فمنهم من يخالفه النجاح وينهي تفسيره إلى نهاية القرآن الكريم، ومنهم من يخفق في إنجام

هذه المهمة.

وعلى كل حال فقد كان هذا هو التفسير المتداول بين معظم المفسرين إلى عصر المجلسي. إلا أن المجلسي ابتكر أسلوباً جديداً في التفسير، وهو تفسير القرآن حسب الموضوعات التي يطرحها من خلال جمع آيات كل موضوع في محل واحد، ثم تفسيرها دفعة واحدة، وحل إبهام الآيات بعضها ببعض.

وهذا النمط من التفسير له ميزته الخاصة كما أن للتفسير الترتيبي مزية، غير أن الوقوف على الهدف المنشود من الآيات التي تحوم حول موضوع واحد إنما يتبين من خلال التفسير الموضوعي، حيث يقف المفسر على ما هو المقصود دفعة واحدة، بعرض الآيات بعضها على بعض والخروج بحصيلة معينة.

هذا هو الذي قام به شيخنا المجلسي على وجه موجز حيث صنف الآيات القرآنية حسب الموضوعات وبيّنها في أبواب بحار الأنوار، وفسرها على وجه الإيجاز حسب ما سمح به الوقت، وقد اعتمد في ذلك على تفسير «مجمع البيان» للطبرسي (المتوفى ٥٤٨هـ) وتفسير «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوي (المتوفى ٦٨٥هـ) وغيرهما من التفاسير.

نعم التفسير الموضوعي في إطار ضيق قد سبقه إليه الفقهاء في تفسير خصوص آيات الأحكام، فقد ألف جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي (المتوفى ٨٢٦هـ) كتاب «كتر العرفان في فقه القرآن» فهو يتعرض لآيات الأحكام فقط، ولا يفسر الآيات مسورة فسورة على حسب ترتيب المصحف ذاكراً ما لكل سورة من آيات الأحكام، كما فعل الجصاص وابن العربي، بل طريقتة في تفسيره أنه يعقد أبواباً كأبواب الفقه، ويدرج في كل باب منها الآيات التي تدخل تحت موضوع واحد، فمثلاً يقول: باب الطهارة ثم يذكر ما ورد في الطهارة من

الآيات القرآنية، شارحاً كل آية منها على حدة، مبيّناً ما فيها من الأحكام، على حسب ما تذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية في فروعهم مع تعرضه للمذاهب الأخرى، وردّه على من يخالف ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية.^(١)

وجاء بعده المحقق الأردبيلي فألف «زبدة البيان في أحكام القرآن» على غرار «كتر العرفان».

وعلى كل حال فهذا النمط من التفسير الموضوعي كان في إطار خاص، كما قام بعض علماء الأخلاق بهذا النوع في التفسير الموضوعي، لكن في إطار الموضوعات الأخلاقية، كما فعله الغزالي (المتوفى ٥٠٥هـ) في «إحياء العلوم».

وأما المنهج الذي سلكه الشيخ المجلسي فقد استوعب جميع الموضوعات الواردة في القرآن الكريم، حسب نظره وحسب ما ورد فيه الروايات، فصدر كل باب بآياته وتفسيره ثم نقل رواياتهم، فهذا النوع ابتكار منه في هذا المضمار، ولو قام باحث بإخراج ما في بحار الأنوار من التفسير الموضوعي لجاء بموسوعة كبيرة وإن كان تفسيره على وجه الإيجاز.

٣. ابتكار العمل الجماعي في التأليف

إن الرائج بين العلماء في التأليف والتصنيف هو العمل الفردي، فيتصدى كل واحد منهم مهمة قعساء لتأليف موسوعة كبيرة وربما ينجح فيها بعض النجاح، ولكن العمل الفردي مهما كابد فيه المؤلف لا يخلو من نقص.

١. التفسير والمفسرون: ٢/ ٤٦٥.

وأما إذا أشرف على هذا العمل فريق من المحققين ذوي اختصاصات مختلفة فربما يكون أقل نقصاً وأكثر فائدة، وقد تقدم أنّ جماعة إخوان الصفا شاركوا في تأليف موسوعة فلسفية كبيرة، و تسربت تلك الفكرة إلى الغرب وراجت بينهم المشاركة في تأليف الموسوعات كما في دوائر المعارف، وقد جسد شيخنا المجلسي تلك الفكرة في موسوعته «بحار الأنوار»، فاستعان بلفيف من تلامذته الذين ناهز عددهم المائتين بين مجتهد، ومحدث، ومفسر، ولغوي، ومؤرخ، وناسخ، ومصحح، إلى غير ذلك، وانفرد هو بتفسير معضلات الأحاديث ومشكلاتها، ولذلك نرى في النسخ الأصلية أنّ الحديث كتب بخط، وشرحه بخط آخر هو خط المجلسي نفسه، وهذا يعرب عن وجود برنامج منسّق للتأليف يبين فيه مسؤولية كل واحد في ترصيف هذه الموسوعة الإسلامية الكبيرة.

٤. إبداع التأليف باللغة الفارسية

لا شك أنّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي وحديث الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وهي إحدى الأواصر التي تجمع المسلمين، ولذلك انبرى علماء الإسلام على اختلاف ألسنتهم على التأليف بلغة الضاد، وهيمنت اللغة العربية على معظم مصنفاتهم وتأليفهم.

وهناك من لم يقتصر على التأليف باللغة العربية فحسب، بل صنف بلغة أبناء جلدته غير العرب، لما أحسّ من أنّ كثيراً من المسلمين لا يجيدون اللغة العربية وهم بحاجة ماسة إلى فهم مقاصد الشريعة وتعاليمها، ولذلك عادوا يؤلفون كتباً كثيرة بلغة قومهم خدمة لهم.

وشيخنا المجلسي أحد من شارك في هذا المضمار، فقد ألف كتباً باللغة

الفارسية يناهز عددها ٥٣ بين كتاب ورسالة منها «عين الحياة» و«حقّ اليقين» و«حلية المتقين» و«حياة القلوب» و«جلاء العيون» إلى غير ذلك من الكتب والرسائل التي ذكرت في ترجمته.^(١)

٥. الاهتمام بشرح الأحاديث

إنّ مقاصد الشريعة تتجلى في القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد قام المسلمون بتفسير القرآن الكريم، وجمع الحديث، ولكن لم يكن اهتمامهم بتفسير الحديث كاهتمامهم بتفسير القرآن الكريم.

نعم قام غير واحد من أهل السنة بتبيين غوامض أحاديث البخاري، منهم أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) حيث قام بشرح صحيح البخاري أسماه «فتح الباري»، وقد طبع في عشرة أجزاء.

كما قام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي (٦٣١-٦٧٦هـ) بشرح صحيح مسلم.

إلى غير ذلك من الشروح على الصحاح والسنن التي يطول ذكرها.

وأما الشيعة الإمامية فقد كان الرائج في أوساطهم هو تدوين الحديث دون شرحه، وقد راج تفسير الحديث وشرحه بصورة موسوعات كبيرة في القرن العاشر الذي نشطت فيه الحركة الاخبارية، فقد قام والد الشيخ المجلسي محمد تقي بن مقصود علي المجلسي (١٠٠٣-١٠٧٠هـ) بشرح «من لا يحضره الفقيه» وأسماه «روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه» في ١٢ جزءاً.

كما قام نجله محمد باقر المجلسي بشرح أصول الكافي أسماء «مرآة العقول» في ٢٦ جزءاً، كما شرح «تهذيب الأحكام» للشيخ الطوسي وأسماء «ملاذ الأخبار» في شرح تهذيب الأخبار» وقد طبع في عشرة أجزاء.

كما وسار على نفس المنهج أيضاً في موسوعته «بحار الأنوار» وبذلك أسدى للشيعنة خدمة كبيرة في حل معضلات الأخبار ومشاكلها، وتميز صحيحها عن سقيمها خصوصاً في كتاب «مرآة العقول».

فمن راجع ذلك الكتاب الذي طبع في ٢٦ جزءاً يرى أنه تحمل عبثاً ثقیلاً في تفسير لغات الأحاديث وتبيين غوامضها إلى غير ذلك من المباحث الهامة التي يزرع بها الكتاب الذي يعد من أنفس ما تركه المجلسي في حقل الحديث.

نعم، كتابه الآخر، أعني: «ملاذ الأخبار» في شرح تهذيب الأخبار» دون هذا الكتاب في الشرح والبسط، والتوضيح والتحقيق وإن كان له قيمته الخاصة.

وقد سبق العلامة المجلسي والده كما أشرنا إليه، والمحدث الفيض الكاشاني (١٠٠٧-١٠٩١هـ) في كتابه «الوافي» حيث جمع أحاديث الكتب الأربعة، فكان لا يمرّ بحديث إذا كان فيه إعضال إلا وقد أحلّه، ولا إبهام إلا أرفعه.

وهذا النهج الذي سلكه هؤلاء الأعلام الثلاثة لو اختطّه من أعقبهم من المحدثين واستمروا على ضوئه، لانتضح كثير من المعضلات والمشاكل التي تواجه الأحاديث، ولزاد التراث الحديثي غنى.

٦. إحياء التراث الحديثي

كان مطلع القرن الحادي عشر مسرحاً للتيارات الفكرية المختلفة، فمن

مكب على العلوم الطبيعية كالنجوم والرياضيات والطب، إلى آخر متوغل في الحكمة والعرفان والمعارف العقلية التي لا تدرك إلا بقسطاس العقل، إلى ثالث مقبل على علم الشريعة من خلال نافذة العقل مع يسير من النقل.

هذا وذلك صار سبباً إلى ظهور الحركة الاخبارية التي كانت تعارض هذه العلوم ومبادئها، وبالرغم من ذلك كان لها دور مهم في تفعيل النشاط الحداثي، وقد ربت تلك الحركة محدثين كباراً، أمثال: الفيض الكاشاني، الشيخ محمد تقي المجلسي، الشيخ الحرّ العاملي، السيد هاشم البحراني. وفي مطلع الأكمة شيخنا المجلسي رحمته، فقد أحيا التراث الديني بمنجزاته الحداثية وراج سوق الحديث ومدارسته وكتابته، حتى ألف بعض تلاميذه، أعني: الشيخ عبد الله بن نور الدين البحراني موسوعة «عوامل العلوم» التي تبلغ مائة مجلد، وقد سلك منهج أستاذه في البحار، إلا أن هذه الموسوعة لم تر النور إلا بعض أجزائها عسى أن يقيض الله سبحانه ذوي المهمة العالية بإخراجها بحلة قشبية.

لم يقتصر العلامة المجلسي على التأليف والتصنيف فحسب بل أكبَّ على التدريس وتربية جيل من رواد العلم، والإجازات الموجودة تكشف عن أنه كان مدرساً معروفاً سنة (١٠٧٠ هـ) أي قبل أربعين سنة من وفاته، وبقي مكباً على الدرس والتدريس حتى أيامه الأخيرة على الرغم من كثرة مسؤولياته بسبب زعامته الدينية التي غطت دنيا الشيعة في ذلك العصر، فلم تمنعه الشواغل الاجتماعية عن تربية جيل عمتاز من العلماء والمحدثين ناهز عددهم حسب ما ذكره المحدث السوري في كتابه المعروف «الفيض القدسي» ٢٩ تلميذاً وسرد أسماءهم وترجم لهم.

وأعقبه شيخنا المجيز الطهراني في كتابه «طبقات أعلام الشيعة» فذكر ما

كتبه النوري، وأضاف عليه ما وجده من المعلومات في المصادر المتوفرة لديه.
 وكان السيد مصلح الدين الاصبهاني أكثر استيعاباً في كتابه الفارسي
 «زندگينامۀ علامۀ مجلسي» فإنه ترجم لمائة وواحد وثمانين تلميذاً بالإضافة إلى عدد
 ممن احتمل أنهم من تلامذته.
 كما قام السيد أحمد الحسيني الأشكوري بترجمة مائتين و أحد عشر تلميذاً
 في كتابه «تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه».
 وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنه بذل جهوداً جبّارة في تنشيط
 الحركة العلمية الحديثة فتركت بصمات واضحة على التراث الشيعي برّمته.

كلمة ختامية

وقبل أن نختم البحث نود الإشارة إلى أمرين:

الأول: ربما يثار سؤال حول كتاب بحار الأنوار وسائر كتبه وهو أنّ كتاب
 البحار يضمّ في طيّاته أخباراً ضعافاً مخالفة لأكثر الموازين العلمية، فلم نقلها
 الشيخ المجلسي في كتابه؟

والإجابة عن هذا السؤال واضح، وهي أنّ المؤلف قبل كلّ شيء كان
 بصدد الجمع والنظم وصيانة التراث الشيعي من الضياع، ولم يكن بصدد النقد،
 وقد جمع مكتبات كثيرة في موسوعة كبيرة، وترك التحقيق للأجيال التي تعقبه.

مضافاً إلى أنه لم يترك التعرض إلى ضعف الخبر أو نقده كلّما سمح له
 الوقت، ولذلك ترى أنّ منهج بحثه في «البحار» غير منهجه في «مرآة العقول»،
 فقد صار في الكتاب الأخير بصدد التحقيق والنقد فلا يمرّ بحديث إلا ويوضح

سنده ومتمته ومدى اعتباره ومقدار دلالاته وموافقته أو مخالفته للموازين العلمية.
 فعل القارئ الكريم أن ينشد الغرض المتوخى من تأليف الكتاب،
 فالغرض من تأليف البحار غالباً هو التضد والجمع، ولكن الهدف من تأليف
 مرآة العقول هو النقد والتحقيق.

الثاني: أنّ بعض المستشرقين كـ «ادوارد برون» مؤلف تاريخ «أدبيات إيران»
 والكتاب الجُدّد الذين لا يروق لهم نشر مآثر أهل البيت عليهم السلام استهدفوا المجلسي
 بسهام النقد، ولم يكن في كنانتهم إلاّ أرميه بسباب مقذع، بعيداً عن روح النقد
 الموضوعي، وما هذا إلاّ لأنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون من خلالها إلى شخصية
 المجلسي، فعادوا يقرعون بالترهات والسفاسف دون جدوى، وكلّ ذلك لا يحطّ
 من منزلة شيخ الإسلام المجلسي فقد قيل: «من ألف فقد استهدف».

ولو كان شيخنا المؤلف بصدد جلب رضا هؤلاء لكان عليه أن يعزف عن
 كلّ جهوده، ولكن لم يكن رائده في هذا السبيل إلاّ رضا الله سبحانه ورسوله ورضا
 الأئمة المعصومين عليهم السلام، ولسان حاله:

إذا رضيت عني كرام عشيري
 فلا زال غضباناً عليّ لثامها

أبو الفضل بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني

(١٠٦٢-١١٣٧هـ)

المشهور بالفاضل الهندي

قد قام بشرح القصيدة العينية نابغة عصره وفريد دهره أبو الفضل بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني المشهور بالفاضل الهندي (١٠٦٢-١١٣٧هـ) مؤلف الموسوعة الفقهية الضخمة المسماة بـ «كشف اللثام عن قواعد الأحكام» إلى غير ذلك من الآثار العلمية.

يحدثنا التاريخ أنّ لفيفاً من نوابغ المجتهدين، قد نالوا درجة الاجتهاد وهم بعدُ في سن مبكر لم يبلغوا الحلم. منهم على سبيل المثال: العلامة الخليّ.

قال سيدنا الأمين في «أعيان الشيعة»: برع في المعقول والمنقول وتقدم وهو في عصر الصبا على العلماء الفحول.^(١)

ومنهم نجله محمد بن الحسن المعروف بفخر المحققين (٦٨٣-٧٧٢) وذلك لأنّ والده ألف كتاب القواعد باستدعاء ولده فخر المحققين.

وقال العلامة في خطبة القواعد: فهذا كتاب «قواعد الأحكام في معرفة

الحلال والحرام» لخصت فيه لبّ الفتاوى خاصة، وبينت فيه قواعد أحكام الخاصة، إجابة لالتماس أحب الناس إليّ وأعزهم عليّ، وهو الولد العزيز محمد الذي أرجو من الله طول عمره بعدي. ^(١)

وذكر ذلك أيضاً نفس فخر المحققين في شرحه لهذا الكتاب، قال في شرح خطبة القواعد:

إني لما اشتغلت على والدي قدس الله سره في المعقول والمنقول وقرأت عليه كثيراً من كتب أصحابنا، فالتمست منه أن يعمل لي كتاباً في الفقه جامعاً لقواعده حاوياً لفرائده، مشتملاً على غوامضه ودقائقه، جامعاً لأسراره وحقائقه، يبي مسائله على علم الأصولين وعلى علم البرهان. ^(٢)

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ العلامة يصرّح في خاتمة كتاب القواعد أنّه فرغ منه بعد ان بلغ من العمر الخمسين ودخل في عشرة الستين.

وبما أنّ العلامة من مواليد عام ٦٤٨ هـ فقد فرغ منه عام ٦٩٨ هـ فيكون عمر ولده فخر المحققين عند إتمام الكتاب ١٥ سنة أو ١٦ سنة، فلو استغرق تأليف هذا الكتاب ستين فقد ألفه لولده وهو ابن ١٤ سنة.

ويؤيد ذلك أنّ العلامة فهرس أسماء كتبه في «خلاصة الأقوال في معرفة الرجال»، وذكر منها «قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام»، وقد ألف الخلاصة عام ٦٩٣ ^(٣)، فولده فخر المحققين من العمر يومذاك ١١ سنة.

١. قواعد الأحكام: ١/ ١٧٤، مقدّمة المؤلف.

٢. إيضاح الفوائد: ١/ ٩.

٣. خلاصة الأقوال: ١١٢ برقم ٥٣.

ومنهم شيخنا المترجم شارح القصيدة فإنه بعد ما ذكر قصة تأليف العلامة كتابه القواعد لولده، قال: وقد يستبعد ذلك، ثم شرع في رفع الاستبعاد، وقال: وقد فرغت من تحصيل العلوم معقولها ومنقولها ولم أكمل ثلاث عشرة سنة، وشرعت في التصنيف ولم أكمل إحدى عشرة، وصنفت «منية الحريص على فهم شرح التلخيص» ولم أكمل تسع عشرة سنة. وقد كنت عملت قبله من كتيبي ما ينيف على عشرة من متون وشروح وحواشي، كـ«التلخيص في البلاغة» وتوابعها، و«الزبدة في أصول الدين»، و«الخود البريعة في أصول الشريعة» وشروحها و«الكاشف»، وحواشي شرح عقائد النسفية، وكنت ألقى من الدروس وأنا ابن عشر سنين شرحي التلخيص للتفتازاني مختصره ومطوله. (١)

هذا ولكن الذي يدل على نبوغ مؤلفنا الشارح هي الآثار العلمية التي تركها للأجيال الآتية، فإن كتابه «كشف اللثام» آية نبوغه في الفقه وبراعته في الاستنباط.

ويكفي في قيمة هذا الكتاب ما نقله المحدث القمي، عن أستاذه المحدث النوري، عن شيخه الشيخ عبد الحسين أن صاحب الجواهر كان يعتمد على كتاب «كشف اللثام» على نحو لا يكتب شيئاً من موسوعته إلا بعد الرجوع إلى ذلك الكتاب.

ومن لاحظ كتاب الجواهر أيقن أنه اعتمد على كشف اللثام في موارد كثيرة، كما اعتمد هو على موسوعات أخرى أبرزها كتاب «الرياض» للسيد علي الطباطبائي، و«مجمع الفائدة» لالأردبيلي و«المسالك» للشهيد الثاني، وفي

الحقيقة كتاب الجواهر يشكل عصارة هذه الموسوعات مضافاً إلى تحقيقاته الرشيقية.

وقد برز نبوغ الفاضل الهندي وراح يشق طريقه وسط أجواء سادتها الحركة الانخبارية وهيمنت على معظم الأفكار، وكان هو أحد القلائل الذين ظلوا أوفياء للحركة الفقهية الموروثة من المحققين الكبار نظير: المحقق الكركي (المتوفى عام ٩٤٠هـ)، وزين الدين الشهيد الثاني (المتوفى عام ٩٦٥هـ)، والمحقق الأردبيلي (المتوفى عام ٩٩٣هـ)، وصاحب المدارك السيد محمد بن علي الموسوي (المتوفى عام ١٠٠٩هـ)، ونجل الشهيد الثاني الشيخ حسن بن زين الدين (المتوفى عام ١١١١هـ)، والمحقق السبزواري صاحب كفاية الأحكام (المتوفى عام ١٠٩٠هـ)، والآقا حسين الخوانساري (المتوفى عام ١٠٩٨هـ)، والمحقق الشيرازي (المتوفى عام ١٠٩٩هـ) إلى أن وصلت النوبة إلى الشارح تاج المحققين والفقهاء فخر المدققين والعلماء الفاضل الهندي، وبكتابه هذا حفظ التراث الفقهي الاجتهادي.

المرء بأفكاره وآرائه

إن الآثار الجلائل التي تركها شيخنا المؤلف تعرب عن تضلعه في أكثر العلوم الإسلامية، لا سيما في الفقه والأصول والأدب العربي، وقد امتاز بالتنوع في الموضوع، وقد برز من قلمه ما يناهز ٨٠ كتاباً.^(١)

ولو أضيف إليه ما ألفه من رسائل وكتيبات ربما ناهز المائة والخمسين بين كتاب ورسالة، وقد استقصى صديقنا الجليل الشيخ عبد الرسول جعفریان أسماء

تأليفه في تقديمه لكتاب «كشف اللثام» فوقف منها على ٤٢ كتاباً. (١)

وقد لعب الزمان بآثاره كما لعب بآثار الآخرين. فاللازم تركيز البحث على كتابه الذي نحن بصدد التقديم له وهو: «اللائئ العبقريّة في شرح العينية الحميرية» وقبل الحديث عن هذا الشرح وبمميزاته أود أن أُشير إلى بعض الكلمات التي قيلت في حقّه من قبل العلماء:

١. يقول المحقق الشيخ أسد الله التستري (المتوفى عام ١٢٣٧هـ):

و منهم الاصفهاني المحقق المدقق، التحرير الفقيه، الحكيم المتكلم، المولى بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني الشهير بالفاضل الهندي... وكان مولده سنة ٦٢ بعد الألف ونشوؤه في بدو حاله وصغره في بلاد الهند ولذا نسب إليها وجرّت له فيها مع المخالفين مناظرة في الإمامة معروفة على الألسنة.

وصنف من أوائل دخوله في العشر الثاني كتباً ورسائل وتعليقات في العلوم الأدبية والأصول الدينية والفقهية أيضاً.

منها ملخص التلخيص وشرحه، كلاهما في مجلد صغير جداً، وهو موجود عندي، ولعلّه أوّل مصنفاته، وفرغ من المعقول و المنقول ولم يكمل ثلاث عشرة سنة كما صرح نفسه به، وهو صاحب المناهج السوية في شرح الروضة البهية، رأيت جملة من مجلداتها في العبادات وهي مبسّطة ومشحونة بالفوائد والتحقيقات وتاريخ ختام كتاب الصلاة منها سنة الثمانين وثمانين بعد الألف، فيكون عمره خمساً وعشرين سنة.

وله أيضاً «كشف اللثام عن قواعد الأحكام» شرع فيه أولاً من النكاح

وأنها إلى الختام وسلك فيه النمط الأوسط الذي هو أقرب إلى الاختصار، ثم بدأ من الأول مع استيفاء للمهم من الأدلة والأقوال ولا سيما أقوال القدماء الأبرار، ولم يبرز منه قيباً وجدنا ونقل إلا الطهارة والحج وكذا الصلاة إلا أنها ناقصة.

وله ملخص الشفاء لابن سينا. (١)

٢. يقول الخوانساري: إن المستفاد من بعض خطوطه التي ألقيناها بالعيان كونه في سنة سبع وسبعين بعد الألف في عداد فضلاتنا الأعيان، والمشار إليهم بين الطائفة وغيرها بالبنان. (٢)

٣. يقول السيد جلال الدين الاشتياني: إني عثرت على عبارة في الماضي منقولة عن شخص كان يعيش في أواخر الدولة الصفوية كتب: فيها: إني رأيت في المدرسة صبيّاً مراهقاً، ماهراً في الأبحاث العلمية، وحائزاً لمرتبة عالية في العلوم العصرية، وآثار النبوغ تلوح من ناصيته بوضوح، فسألت عن نسبه، فقالوا: هو ابن الملا تاج الدين، اسمه محمد بهاء الدين. (٣)

وقبل أن أذكر انطباعي عن هذا الكتاب، أود أن أشير إلى ما كتبه صاحب الروضات تعليقاً على ذلك الكتاب، قال: إن هذا الكتاب أقوى دليل على كون الرجل قد وجد من كل فن من فنون العربية كنزه. (٤)

فرغ منها سنة ١٠٨٩ هـ.

١. مقابس الأنوار: ١٨، الطبعة الحجرية.

٢. روضات الجنات: ٧/١١٦.

٣. منتخب آثار الحكماء: ٣/٥٤٤ في الهامش.

٤. روضات الجنات: ٧/١١٢، برقم ٦٠٨.

ملاحح الكتاب و مميزاته

من القى نظرة على ذلك الكتاب، ولو نظرة عابرة يدعن بأن الشارح كاتب قدبر له إحاطة تامة بمفردات اللغة العربية، وقواعدها، ومعانيها، وكفيك في ذلك قراءة خطبة الكتاب، فإن النص الموجود فيه وإن كان على نظام السجع الرائج في القرن الثاني عشر، لكنّه يستخدم غريب الألفاظ بشكل يعرب عن إلمامه باللغة العربية بشكل واسع.

هذا هو أول ما يظهر للإنسان من قراءة صفحات من الكتاب، وأما إذا قرأه بدقة وإمعان حينها تنكشف له مميزات الكتاب وملاححه التي تلخص في النقاط التالية:

١ . بيان معاني المفردات

لما كانت القصيدة الحميرية لشاعر عربي صميم وقد أخذ بناصية اللغة العربية، فأودع فيها الاصطلاحات الرائجة في البداية، راح الشارح إلى بيان مفردات البيت ومعانيها اللغوية، وما يشتق منها من الأسماء والأفعال وفي كل ذلك يشبع الموضوع على وجه لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويخوض فيها.

ثم يشرع ببيان إعراب الكلمات الواردة في البيت، فيذكر جميع الوجوه المحتملة مشيراً إلى آراء أكابر العلماء، ثم يذكر رأيه بعد ذلك مع ذكر الدليل الذي دعاه إلى تبني هذا الرأي أو ذلك.

والنكتة الجديرة بالذكر أنه ربما يوافق رأي القائل الذي لا يتفق معه في العقيدة، ويرفض قول الآخر وإن كان ينسجم معه في المبدأ.

ثم بعد أن ينهي اعراب البيت يأخذ ببيان النكات الأدبية والبلاغية في القصيدة تحت عنوان (مسائل) أو البيان ويتمتع كل ذلك بدقة الملاحظة وجودة التفكير.

٢. استعراض التفاسير المطروحة وتقييمها

ومن المميزات البارزة أيضاً في هذا الشرح أن القارئ يلتقي فيه مع ذهن وقاد وعقلية كبيرة، قادرة على التحليق في سماء المعاني وذكر الفروض المحتملة التي يمكن أن تكون مرادة للشاعر، مما يضيف على الشرح جمالية أكبر وقعة للقارئ، فعلى سبيل المثال: نرى أنه يتطرق إلى سبب تسمية القصيدة بالعينية يذكر لها احتمالات ستة، ويذكر لكل وجهه العلمي والأدبي، وبالتالي يعلم أن المؤلف ليس ناقلاً للأراء ومدوناً لها، بل نراه ناقلاً ومحققاً للأراء المطروحة فلا يختار إلا عن حجة ولا يرفض إلا كذلك.

٣. الأمانة في النقل

ومن المميزات البارزة هي الأمانة في النقل، وهذه ميزة شاخصه عند المؤلف حيث حاول الإشارة إلى جميع المصادر التي اعتمدها، ويستنبط منها خاصية أخرى وهي رجوعه إلى مصادر كثيرة و ما يرافقه من جهود كبيرة ومضنية.

٤. محاولة ربط القصيدة بالواقع الموضوعي

ومن ميزات هذا الشرح هو محاولة الشارح الربط بين القصيدة و الواقع الموضوعي السياسي والاجتماعي الذي عاشه أمير المؤمنين عليه السلام مما يضيف على

القصيدة صفة كونها وثيقة تاريخية واجتماعية تحكي عن تلك الفترة التي عاشها الإمام عليه السلام وعن طبيعة المجتمع الذي كان يحيط به عليه السلام.

٥. دعم موقفه بآيات الذكر الحكيم

ومن المميزات الأخرى هي قدرة المؤلف على دعم آرائه بآيات الذكر الحكيم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على تبحر الشارح في فهم القرآن الكريم، ولذلك تراه في أكثر البحوث التي يوردها يستنجد بالقرآن الكريم لدعم حجته وتأييد رأيه .

إلى غير ذلك من المميزات التي يقف عليها القارئ حين مطالعته.

العلامة البلاغي

(١٢٨٢-١٣٥٢هـ)

سيرته الذاتية وأثاره العلمية

يعتبر القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٠-١٤٠٠هـ) من أخطر القرون التي مرّ بها العالم الإسلامي وأكثرها ضرراً على الأمة الإسلامية، ويتضح ذلك من خلال دراسة العوامل المسببة لذلك وهي:

١. التقدم الصناعي الغربي الذي سهّل الاستيلاء على الشرق الإسلامي ونهب كنوزه وثرواته، ومهد الطريق للمستعمرين من قبل، المستشرقون أولاً ثم جيش التبشير ثانياً فعرفوا مكامن البلاد واكتشفوا عوامل الضعف والقوة في المجتمع المسلم.

٢. اندلاع الحرب العالمية الأولى التي عمّ شرؤها كافة البلاد الإسلامية والتي سببت انحلال الدولة العثمانية - حيث كانت تمثل الحكم الإسلامي الرسمي في أكثر البلاد - وما نشأ بعد ذلك من دويلات صغيرة ضعيفة، يحارب بعضها البعض الآخر وقد زرع العدو فيها بينها عوامل الخلاف والاختلاف والتي بقيت آثارها حتى بعد الاستقلال المزعوم.

٣. الهجمة الثقافية المتمثلة بالأفكار المادية والتيارات الملحدة والأحزاب

السياسية العميلة، والتي خدعت الشباب المسلم وتصوروا أنّها طريق السعادة.

٤. الهزيمة النفسية والحيرة أمام التيار الاستعماري العارم حيث هوجم المسلمون بقوة مادة لم يكونوا على استعداد لها.

٥. أخيرها لا آخرها تطور وسائل الإعلام، وانحدار سيل المطبوعات اليومية والشهرية، بألوانها المختلفة الخداعة للعقول والأفكار.

ولمواجهة هذه الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين لابد من توفر سيد منيع يقف بوجهها وقوفاً قوياً حتى يمنع من نفوذها ويقفل من آثارها ولا يقوم بذلك إلا العلماء العارفين بزمانهم والقائمين بوظائفهم والمخلصين في أعمالهم، المضحين بأنفسهم وأموالهم في سبيل دين الله، فهم حصون الإسلام وسوره. وقد قال الإمام الكاظم عليه السلام عنهم: ... لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها. ^(١)

إنّ القلاع المحيطة بالمدن تصد الأعداء من التسلل إلى داخلها، وترد كيدهم إلى نحورهم، وهكذا العلماء الأئمة بعلومهم وأفكارهم وأقلامهم ودروسهم وما يملكون في طريق إرشاد الأمة من حول وقوة، يمثلون أمام الهجمة الثقافية والفكرية الكافرة حصناً معنوياً، ويغذون الأمة بالأفكار الصالحة، ويرشدونها إلى مكائد الأعداء ومخططاتهم الغاشمة.

ولذا أصبح مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء فإنّ الشهيد إنما يتسامى نفسياً ويختار الشهادة بفضل مواعظ العلماء وإرشادهم.

ومن هؤلاء العلماء الأمثال الذين أفنوا عمرهم في الذب عن حياض الإسلام، وإنقاذ المسلمين من براثن الاستعمار الفكري، العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي الذي عمّر عمراً ناهز السبعين، وترك من بعده ثروة علمية تفتخر

١. الكافي: ١/٣٨، في باب فقد العلماء.

بها الأمة وتتخذها سلاحاً مؤثراً يتدرج به العلماء والمفكرون إلى يومنا هذا.

مولده ونشأته

ولد رحمه الله (عام ١٢٨٢ هـ) في محلة البراق في النجف الأشرف، في بيت عربي رفيع عريق، ويعود نسبه إلى قبيلة ربيعة.

وقد وفد إلى ربه سنة (١٣٥٢ هـ) بعد أن عاش عمراً أمضاه في العلم والجهاد والتأليف والبيان، ويمكن تقسيم حياته إلى المراحل التالية:

مراحل حياته

نشأ الشيخ البلاغي في بيت رفيع وفي بلد زاخر بالعلم والأدب، ومع ذلك فلم يكن مقيماً في مكان واحد بل تنقل من مدينة إلى أخرى حتى استقر - في أواخر عقده الخامس - في النجف الأشرف، وسنستعرض مراحل حياته التي مرّ بها.

١. نشأ الشيخ في النجف الأشرف منذ نعومة أظفاره إلى أن بلغ الرابعة والعشرين من عمره (١٢٨٢ - ١٣٠٦ هـ)، وفي هذه المرحلة تبلورت شخصيته العلمية في أبعاد مختلفة.

٢. لم يكتفِ بما تلقاه عن أساتذة النجف بل هاجر إلى الكاظمية وبقي فيها ست سنوات (١٣٠٦ - ١٣١٢ هـ).

٣. عاد إلى النجف الأشرف وبقي فيها إلى عام (١٣٢٦ هـ) وفي هذه المرحلة حضر دروس أعلام الفقه، وفي مقدمهم الشيخ آغا رضا الهمداني مؤلف «مصباح الفقيه»، والمحقق الخراساني الطائر الصيت.

٤. ترك النجف الأشرف للاستفادة من المحقق الشيرازي، فأقام في سامراء

حوالي عشر سنوات (١٣٢٦-١٣٣٦هـ).

٥. ولما احتل الحلفاء مدينة سامراء لم يجد بداً من مغادرتها ونزل الكاظمية وكان ساعداً معيناً لأستاذه الأخير مفجر ثورة العشرين، ولذلك مكث فيها سنتين أدى رسالته السياسية ضد الاحتلال.

٦. وفي سنة ١٣٣٨هـ غادر الكاظمية ونزل مسقط رأسه (النجف الأشرف) وواصل نشاطه العلمي مكباً على التدريس والكتابة وعلى الإجابة عن الأسئلة التي ترده من العراق والخارج. إلى أن توفي رحمة الله عليه يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٥٣هـ.

هذه حياة الشيخ الجليل الإجمالية، ومراحلها التي مرّ بها، والمهم هو الآثار التي تركها والخدمات التي قدمها إلى الأمة الإسلامية، وهذا هو الذي نشير إليه تالياً وذلك من خلال دراسة بعض كتبه التي ألفها إستجابة للحاجات الدينية التي أحسّ بها.

آثاره وتأليفه

حقيقة المرء تكمن في آثاره وآرائه، والأفكار التي يتركها بعد رحيله، والتعرف على شخصية الإنسان من هذا الطريق هو من أفضل الطرق المأمونة من الدس والتحريف، فالمرور على آثاره العلمية في جوانب مختلفة يوقفنا على أنّ المسؤولية التي كان يحسّ بها شيخنا الراحل هي التي دفعته إلى الكتابة في هذه المواضيع وهذا هو المهم في حياة شيخنا الجليل.

بلغ عدد كتبه المطبوعة ستة عشر كتاباً، وأما غير المطبوعة فينازح ثلاثاً وعشرين كتاباً أو رسالة.

أساتيدّه ومشايخه

درس شيخنا الراحل رحمه الله في النجف والكاظمية وسامراء على عدد من أعلام عصره - أو روى عنهم بالإجازة - نذكر منهم:

١. الميرزا محمد تقي الشيرازي (المتوفى ١٣٣٨ هـ).
٢. السيد حسن الصدر الكاظمي (المتوفى ١٣٥٤ هـ).
٣. الميرزا حسين النوري الطبرسي النجفي (المتوفى ١٣٢٠ هـ).
٤. الشيخ آقا رضا ابن الشيخ محمد هادي الهمداني (المتوفى ١٣٢٢ هـ).
٥. الشيخ محمد حسن ابن الشيخ عبد الله المامقاني النجفي (المتوفى ١٣٢٣ هـ).

٦. الشيخ محمد طه ابن الشيخ مهدي نجف (المتوفى ١٣٢٣ هـ).
٧. المولى محمد كاظم ابن المولى حسين الخراساني النجفي، المعروف بالأخوند (المتوفى ١٣٢٩ هـ).
٨. السيد محمد ابن هاشم الرضوي الهندي (المتوفى ١٣٢٣ هـ).

تلامذته والرايون عنه

تتلمذ على الشيخ البلاغي ونهل من معين علمه، أو روى عنه عدد من أعيان الطائفة وعلماؤها المشهورين، وكان يحضر درسه عدد غفير من طلاب المعرفة بمستويات علمية مختلفة وتخصصات متنوّعة، ولنذكر هنا عدداً منهم:

١. الشيخ إبراهيم بن مهدي القرشي، المعروف بـ «أطميش» (المتوفى ١٣٦٠ هـ).
٢. السيد أبو القاسم الخوثي (المتوفى ١٤١٣ هـ).

٣. الشيخ جعفر بن باقر محبوبة النجفي (المتوفى ١٣٧٧هـ).
 ٤. الشيخ نجم الدين جعفر ابن الميرزا محمد العسكري الطهراني (المتوفى ١٣٩٧هـ).
 ٥. الشيخ ذبيح الله بن محمد علي المحلاتي (المتوفى ١٤١١هـ).
 ٦. السيد صدر الدين الجزائري (المتوفى ١٣٩٤هـ).
- وغير هؤلاء من الأعلام.

مؤلفاته وآثاره

ترك عليه السلام كتباً ونصائيف عديدة لم يطبع أكثرها، وسوف نسردها أسماء المطبوع منها وبعض ما لم يطبع وترك ذكر بقية الكتب إلى محله.

أ. الكتب المطبوعة:

١. الرحلة المدرسية والمدرسة السيارة.
٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن.
٣. أعاجيب الأكاذيب.
٤. أنوار الهدى.
٥. البداء.
٦. البلاغ المين.
٧. تعليقة على بيع المكاسب للشيخ الأنصاري.
٨. رسالة في شأن التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عليه السلام.
٩. رسالة التوحيد والتثليث.
١٠. رسالة حرمة حلق اللحية.

١١. دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى.

١٢. الرد على الوهابية.

١٣. العقود المفصلة.

١٤. نسيات الهدى ونفحات المهدي.

١٥. نصائح الهدى.

١٦. الهدى إلى دين المصطفى.

ب. الكتب غير المطبوعة

١. أجوبة المسائل البغدادية.

٢. أجوبة المسائل التبريزية.

٣. أجوبة المسائل الحلية.

٤. الاحتجاج لكل من انفردت به الإمامية من أحاديث أهل السنة في

أبواب الفقه.

٥. رسالة في الأوامر.

٦. رسالة في إبطال العول والتعصيب.

٧. تعليقة على العروة الوثقى^(١).

وقد عرض الفاضلان العزيزان : السيد منذر الحكيم والشيخ محمد الحسنون

- حفظهما الله - آثار شيخنا الراحل - المطبوع منها والمخطوط - وبتنا خصائصها

وطبعاتها، شكر الله مساعيها^(٢) ولذا نقتصر على عرض بعض كتبه التي لها

صدى واسع في الأوساط العلمية الإسلامية.

١. وقد تم ذكر بقية كتبه غير المطبوعة وقد بلغت ٢٣ رسالة، في مدخل موسوعة العلامة

البلاغي: ١/٢٧٧-٢٨٤، فراجع.

٢. موسوعة العلامة البلاغي (المدخل): ٢٢٥-٢٨٥.

١. الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة

ألف الشيخ هذا الكتاب في ردّ الديانة النصرانية بلسان عصري ووضعه على شكل حوار جرى بين جماعة اجتمعوا للدرس النزيه في الكتب السماوية؛ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن المجيد، والمقارنة بين هذه الكتب واستخراج الحقائق.

وقد طبع في ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول خصصه لمناقشة عبارات العهدين القديم والجديد، ويخرج بالنتيجة إلى مخالفتها للوقائع التاريخية وإن أكثرها موضوع منحول.

وخصص الجزء الثاني ببيان حقيقة الدين الإسلامي ومراحل تطوره والحروب التي خاضها رسول الله ﷺ دفاعاً عن نفسه وأصحابه وشريعته. والجزء الثالث يختص ببيان الأصول الإسلامية الثلاثية: التوحيد والنبوة والمعاد، وقسماً من المسائل الكلامية.

والكتاب من أفضل ما كتبه الشيخ وأحسنه - وإن كان الجميع حسناً - ويوقفك على عظمة الكتاب ومدى تأثيره هاتان الكلمتان:

قال الأستاذ توفيق الفكيكي: الرحلة المدرسية دلت على خياله الواسع الوثاب، وتفكيره العميق، وذوقه العالي، وأسلوبه الروائي الحديث المبتكر، وقد دارت بحوثه ومحاواراته على لسان جماعة من ذوي الرجاحة لتمحيص الحقائق وتنزيه العقائد.^(١)

وقال الأستاذ علي الخاقاني: ولو لم يكن للمترجم له إلا كتاب الرحلة

المدرسية لكفاه فخراً، فقد تناول الإسلام فيه على المسيحية وضيّق الخناق عليها فيه، ومن المستحيل أن إنساناً أوتي من التعقل والتمييز شيئاً لا يستقرّ بعد قراءته على الحقّ، ولا يعتنق الإسلام بعد هضمه له.^(١)

وقد طبع هذا الكتاب في جزء واحد في مؤسسة النعمان في النجف الأشرف عام ١٣٨٢ هـ وقدم له المحقّق السيد أحمد الحسيني وفي التقديم حياة الشيخ وحياته وآثاره.

ومن المسائل التي طرحها فيه شيخنا الراحل مسألة «التحسين والتقييح العقلين» وحقّق ملاك الحسن والقبح الذي اختلفت فيه كلمات العدلية القائلين بهما والأشاعرة المنكرين لها وقال: إنّ الملاك في التحسين ليس بالملائمة النفسية ولا بموافقة الشرع، وان تقييح الفعل ليس بالمنافرة النفسية ولا مخالفة الشرع، بل أنّ الحسن والقبح وصفان ثابتان للفعل بحسب العقلية المشتركة بين البشر يدركها العقل مهما اختلفت النفسيات واضطربت الميول الأهوائية، ولا نمنعك أن تقول إنّ حسن الفعل عقلاً هو ملائمة للعقل المشترك بين البشر وإن قبحه عقلاً هو منافرته للعقل المشترك بين البشر.^(٢)

ما جاء في هذا الكتاب كلّ مهم ومفيد، ومع ذلك فإننا نشير إلى عناوين بعض المسائل التي أسهب فيها المؤلف الكلام حتى يرجع القارئ إليها بنفسه، والتي نرى لها أهمية خاصة في هذه الأيام:

١. القرآن ميزان الحق.
٢. إيصال إبراهيم في القرآن والحجة الواضحة.

١. شعراء الغري: ٢/٤٢٨.

٢. الرحلة المدرسية: ٤٤٣.

٣. حاشا جلال الله من التعليم بالكذب.
٤. من أنباء الغيب في القرآن.
٥. القرآن والمسيح والتثليث.
٦. خلو التوراة من ذكر القيامة.
٧. الطلاق وشريعته.
٨. تعليم القرآن بالأخلاق الفاضلة.
٩. أصل الأنواع في مذهب دارون.
١٠. بطلان فرض التسلسل والدور.
١١. إثبات حدوث المادة.
١٢. الثالث والأقانيم والتثليث.

٢. الهدى إلى دين المصطفى

هذا الكتاب ألفه شيخنا البلاغي وهو نزيل سامراء، وقد طبع (في جزأين) لأول مرة عام ١٣٣٠هـ في صيدا - لبنان (مطبعة العرفان)، ولم يكتب المؤلف اسمه على الكتاب، بل اكتفى بقوله: الأقل كاتب الهدى، وذكر عنوان المراسلة هكذا: العراق، سامراء، مدرسة حجة الإسلام وقدوة الأنام الميرزا رحمته. وقد ذكر في وجه قيامه بهذا التأليف ما هذا نصه:

إني وقفت على كتاب عربي أرخ طبعه سنة ١٨٩١ ميلادية، لم تذكر - كما هو المعتاد - مطبعته، ولا محلها ولا صاحبها، عنوانه أنه تعريف هاشم العربي، عن اللغة الانجليزية لمقالة في الإسلام لجرجيس صال الانجليزي مولداً ومنشأ المولود في أواخر القرن السابع عشر، وقد ألحق المعرّب هذه المقالة بتذييل مستقل في

آخرها، وتذييلات متفرقات في أثنائها.

ثم وقفت على كتاب آخر استعير له اسم «الهداية» قد تكلف فيه الردّ على كتابي «إظهار الحق»، و«السيف المحمدي»، فوجدت الكتابين الأولين على طريقة ينكرها شرع التحقيق في البحث والأدب في الكلام، والأمانة في البيان، ولا يرتضيها خدام المعارف، المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم، المتحذرون من وبال الانتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيف.

وقد أحببت أن أشير إلى بعض ما فيها مما حاد عن الأمانة، أو تاه في الغفلة، خدمة مني للمعارف، وإحقاقاً للحق، وانتقاداً للزيف، ليثني من يريد الكتابة من جاح تعصبه، ويأخذ في مزال الأقدام وعشرات الأقلام بيد قلمه.

وقد آثرت أن أجعل ذلك في خلال ما هو الأمل بنا - بل الواجب علينا - من الإرشاد إلى سبيل الهدى ودين الحق... إلى آخر كلامه ﷺ.^(١)

وتتوفر عندنا نسخة مصورة من كتاب (مقالة في الإسلام) طبع في مصر عام ١٩٢٥م، والكتاب تعريف للإسلام في فصول ثمانية. والكتاب أكثر نزاهة وأحسن أدباً من التذييل الذي ألحقه المعرب على الفصول الثلاثة من الكتاب. وأشدّها تحاملاً تذييل الفصل الثالث حول القرآن الكريم.

وسنشير إلى بعض ما قام به الشيخ البلاغي في مقام الإجابة والردّ على هذا التذييل:

الأول: قال ﷺ: ومن مؤاخذاته أنه تصور الغلط النحوي في القرآن الكريم وقال في سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢) وكان الوجه

أن يقول «والصائبين»....

وأجاب المؤلف عن ذلك بقوله: من لغة العرب رفع المعطوف على المنصوب ومنه رفع المعطوف في الصورة على اسم «إن».

قال الحارث بن ضابئ البرجمي:

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فأتني وقيارٌ بها لغريب

وقد رُفِعَ «قيار» وهو معطوف على اسم «إن» المنصوب محلاً.

وفي الوقت نفسه جاء هذا اللفظ منصوباً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

فما وجه ذلك؟ ذكر المؤلف وجه ذلك بقوله: إن رفع لفظ «الصائبون» في الآية الأولى تمييزاً لهم من النسق وتنبهياً على أن الصائبين وإن كانوا أبعد من اليهود والنصارى عن صورة التوحيد إلا أنهم مثل اليهود والنصارى في أن من آمن منهم وعمل صالحاً فهو آمن، ولا حاجة إلى هذه الفذلكة في الآية الثانية، وذلك لأجل أن التناول في الترتيب فيها كاف في الإشارة إلى هذه النكتة. فالآيتان معاً دالتان عليها ولكن كل واحدة بنحو من الأسلوب^(٢).

أقول: وبعبارة واضحة أنه ذكر في سورة البقرة اليهود أولاً والنصارى ثانياً والصائبين ثالثاً، فبهذا الترتيب أشار إلى ترتيبهم في عقيدة التوحيد، وبذكر الصائبين في المرتبة الثالثة أثبت أنزلهم مرتبة فيه.

وأما سورة المائدة فقد قدم لفظ «الصائبون» على النصارى فيما أنه خالف الترتيب أشار بتغيير الإعراب إلى أنهم أقل مرتبة من الآخرين، ومع ذلك هؤلاء أيضاً كاليهود والنصارى لو عملوا عملاً صالحاً تكتب لهم النجاة.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. (١)

فقد قدم لفظ الصابئين على «النصارى» كما هو الحال في الآية ٦٩ من سورة المائدة، ومع ذلك جاء منصوباً والوجه هو أن الآية ليست بصدد بيان مراتب التوحيد في المعطوف والمعطوف عليه ذلك أنه ذكر «المجوس» و«الذين أشركوا» فلم يكن فيها محل لهذه النكتة حتى يميزه بالرفع.

الثاني: ذكر المذيل وقال في سورة آل عمران (آية ٥٢): ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ هُنَدُ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٢) والوجه «فكان» لكن هذا يخالف الراوي. (٣)

قال الشيخ في جوابه: قال جل شأنه في مقام الاحتجاج بالتمثيل (فيكون) بالفعل المضارع الدال على الثبوت. وذلك لبيان الملازمة الدائمة بين قوله تعالى: «كن» و بين أن الشيء يكون بهذا الأمر لا محالة. وبهذه القدرة التامة والملازمة الدائمة خلق عيسى من غير فعل إذ قال له «كن».

ولا تقوم الحجة بهذا التمثيل ولا يحصل المراد منه في الاحتجاج إلا ببيان الملازمة، بخلاف ما لو قيل: كن فكان، لأن هذا الأسلوب لا يفيد إلا أن آدم كان، سواء كان ذلك باتفاق أو بملازمة خاصة بذلك الكون أو عامة، وهو أمر معلوم لا فائدة فيه في بيانه ولا حجة فيه على خلق عيسى من غير فعل، فلا يكون التفرع لو قيل: كن فكان، إلا لغواً في كلام متهافت.

٢. آل عمران: ٥٩.

١. الحج: ١٧.

٣. مقالة في الإسلام: ٤١٧.

وبهذين الأنموذجين الرائعين تستطيع أن تثمن الكتاب وتقيمه، وتجد أنه قد سدّ فراغاً كبيراً أوجدته النصرانية قبل مائتي سنة، فشكر الله جهود شيخنا الراحل.

هذا ولنخرج إلى دراسة كتابه الثالث.

٣. آلاء الرحمن في تفسير القرآن

شرح الشيخ في كتابه هذا التفسير في عام ١٣٤٩ هـ واشتغل به إلى أواخر أيام حياته، فاستغرق تأليفه سنتين وتسع أشهر، وقد فسر سورة الفاتحة، والبقرة وآل عمران وإلى الآية ٥٧ من سورة النساء.

وهذا الكتاب تفسير ترتيبي رائع، وقد كتب له مقدمة في أربعة فصول تُعدّ من أفضل ما كتب حول علوم القرآن وإعجازه وجمعه وقراءاته، فنعرض في الفصل الأول لموضوع إعجاز القرآن الكريم وذكر وجوه الإعجاز فيه، وفي الفصل الثاني بين موضوع جمع القرآن الكريم في مصحف واحد وناقش اضطراب الروايات في ذلك، ثم عرّج على قول الإمامية بعدم النقيصة في القرآن الكريم. وأمّا الفصل الثالث فقد جعله ﷺ في القراءات، وتعرض لذكر القراء السبعة أو العشرة وقراءاتهم.

وفي الفصل الرابع تحدث عن الحاجة التي دعت له لكتابة هذا التفسير.

بحث رائع في معنى التوفي

من البحوث الشيعة في مقدمة هذا التفسير تحقيقه في معنى كلمة «التوفي»، حيث إن المفسرين قالوا في تفسير قوله سبحانه: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَذَّبَتْكُمَا بِلِقَاءِ رَبِّكَ الَّذِي وَعَدْنَا﴾ حيث إن المفسرين قالوا في تفسير قوله سبحانه: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَذَّبَتْكُمَا بِلِقَاءِ رَبِّكَ الَّذِي وَعَدْنَا﴾

إِلَىٰ»^(١) أي يميتك، وقال بعض: يميتك حتف أنفك، مع أن معتقد المسلمين هو أن عيسى لم يميت ولم يقتل قبل الرفع إلى السماء.

والحق أن يقال هو أنهم لم يفظنوا إلى أن معنى «التوفي» والقدر الجامع المستقيم في محاوره القرآن فيه وفي مشتقاته، إنما هو: الأخذ والاستيفاء، وهو يتحقق بالإماتة وبالنوم، وبالأخذ من الأرض، وعالم البشر إلى عالم السماء.

وأن محاوره القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك، كما في قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢)، ألا ترى أنه لا يستقيم الكلام إذا قيل: الله يميت الأنفس حين موتها؟ (ويميت التي لم تمت في منامها) إذ كيف يصح أن التي تمّت يميتها في منامها؟!

وكما في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾^(٣)؛ فإن توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم، ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار؛ ليقضوا بذلك آجالهم المسماة، ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد.

وكما في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّاَهُنَّ الْمَوْتُ﴾^(٤)؛ فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل: يميتهن الموت.

وحاصل الكلام أن معنى «التوفي» في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وإفياً، أي تاماً، كما يقال: درهم وإفٍ. وهذا المعنى ذكره اللغويون له «التوفي» في معاجمهم، وقالوا: إن توفاه واستوفاه بمعنى واحد، وأنشدوا له قول

٢. الزمر: ٤٢.

١. آل عمران: ٥٥.

٤. النساء: ١٥.

٣. الأنعام: ٦٠.

الشاعر:

إِنَّ بَنِي الْأَدْرِدِ لَيْسُوا لِأَحَدٍ
أَي لَا تَتَوَقَّاهُمْ وَتَأْخُذْهُمْ تَمَاماً .
وَلَا تَتَوَقَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي الْعَدَدِ

قلت: لكن بين الاستيفاء والتوقي فرقاً واضحاً من جهة أثر الاشتقاق؛ فإن الاستيفاء استفعال كالاستخراج، يشير إلى طلب الأخذ واستدعائه ومعالجته. والتوقي يشير إلى القدرة على الأخذ بدون حاجة إلى استدعاء وطلب ومعالجة، ولذا اختص القرآن الكريم بلفظ «التوقي» وعدل عن «الأخذ»؛ لعدم دلالة على التمام والوفاء، كالتوقي الدال على تمام القدرة، على نحو المعنى في ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) (٢)

٤ . دعوة الهدى إلى الورع في الفعال والتقوى

احتلت الوهابية الحرمين الشريفين عام ١٣٤٤ هـ وبعد أن استتب الأمر لهم حاولوا تخريب قباب أئمة أهل البيت عليهم السلام ووجهوا خطاباً إلى علماء المدينة ورد فيه السؤال عن البناء على القبور والعجب أن السؤال كان يتضمن الجواب أيضاً، فكأنهم أرادوا أن يجيب العلماء حسب هواهم.

وقد أجاب العلماء - لا أدري - عن طوع ورضخة أو عن جبن وكراهة بأن البناء على القبور ممنوع وأنه يجب هدمها واستندوا في ذلك بحديث علي عليه السلام بأنه قال لأبي الهياج: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته.^(٣)

١ . البقرة: ١٥٦.

٢ . الهدى إلى دين المصطفى: ١/٧٩ - ٨٠.

٣ . صحيح مسلم: ٣/٦١، باب النهي عن تخصيص القبر والبناء عليه.

وقد ألقى شيخنا الراحل محاضرة في نقد الجواب الذي نسب إلى علماء المدينة وطبع باسم: «دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والتقوى».

وستقتبس من هذا المحاضرة شيئاً ما أفاده رحمه الله في تبين الحديث، قال: وأما ألفاظ الحديث، فلا يخفيه من اللغة والعرف أن تسوية الشيء من دون ذكر القرين المساوي معه إنها جعل الشيء متساوياً في نفسه، فليس لتسوية القبر معنى إلا جعل سطحه متساوياً.

ولو كان المراد تسوية القبر مع الأرض لكان الواجب في صحيح الكلام أن يقال إلا سويته بالأرض فإنّ التسوية بين الشيئين المتغايرين لا بدّ فيها من أن يذكر الشيئان اللذان تُراد مساواتهما.

هذا هو كلام شيخنا في المحاضرة ونحن نذكر توضيحاً له:

إنّ الحديث يدلّ على لزوم تسطّيح القبور مقابل تسنمها ولا صلة له ببناء القبور أو البناء عليه وذلك أنّ لفظة «التسوية» تستعمل في معنيين:

١. تطلق ويراد منها مساواة شيء بشيء فعندئذ تتعدى إلى المفعول الثاني

بحرف التعدية كالباء قال سبحانه: ﴿إِذْ نَسُوا بَرِّبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقال سبحانه حاكياً عن حال الكافرين يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾^(٢) أي يودون أن يكونوا تراباً أو أمواتاً تحت الأرض.

٢. تطلق ويراد منها ما هو وصف لنفس الشيء لا بمقايسته إلى شيء آخر،

فعندئذ تكفي بمفعول واحد.

١. الشعراء: ٩٨.

٢. النساء: ٤٢.

قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾^(١).

وقال سبحانه: ﴿بَلْ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسْوِيَّ بِنَانِهِ﴾^(٢).

ففي هذين المرادين تقع التسوية وصفاً للشيء لا بإضافته إلى غيره.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى تفسير الحديث فنقول:

لو أراد من قوله: سويته هو مساواة القبر بالأرض - كمساواة شيء بشيء - يلزم أن يتخذ مفعولاً ثانياً بحرف الجر كأن يقول سويته بالأرض أي جعلتهما متساويين والمفروض أنه اقتصر بمفعول واحد دون الثاني.

فتعين أن المراد هو الثاني أي كون المساواة وصفاً لنفس الشيء وهو القبر ومعناه عندئذٍ تسطیح القبر في مقابل تسويمه، وبسطه في مقابل اعوجاجه، وهذا هو الذي فهمه شراح الحديث، وبما أن السنة هي التسطیح، والتسويم طراً بعد ذلك، أمر عليٌّ عليه السلام بأن يكافح البدعة ويسطح كل قبر مسنم.

ومما يؤيد أن المراد هو تسطیح القبر أن مسلم في صحيحه عنون الباب هكذا «باب الأمر بتسوية القبر» ثم نقل رواية عن ثمامة أنه قال: كنا مع فضالة بن عبيد في أرض الروم، فتوفي صاحب لنا، فأمر فضالة بين عبيد بقبره فسوي. قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويته ثم أورد بعده حديث أبي الهياج المتقدم^(٣).

وقد فسره أيضاً بما ذكرنا الفقيه القرطبي حيث قال: قال علماؤنا ظاهر

حديث أبي الهياج منع تسويم القبور ورفعها.^(٤)

١. الأعل: ٢.

٢. القيامة: ٤.

٣. صحيح مسلم: ٣/٦١، باب الأمر بتسوية القبر.

٤. تفسير القرطبي: ١٠/٣٨٠.

٥. الأسئلة والأجوبة

هذه الإمامة عابرة ببعض آثاره المهمة، فمن أراد أن يحيط بكامل ما تركه شيخنا الراحل من تراثه العلمي القيم فعليه بمراجعة ما طبع ونشر منه ويسرني أن أشير إلى مهمة أخرى والتي كان ﷺ قد تحملها على عاتقه وهي الإجابة عن الأسئلة التي ترده من مدن العراق وخارجه، وإليك أحد هذه الأسئلة وجوابه.

السؤال: إن البهائية قد استدلت على عدم انغلاق باب النبوة بالآية التالية، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِذَا يَأْتَيْتُكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

حيث قالوا: إن هذا الخطاب الوارد في القرآن الكريم، النازل على قلب سيد المرسلين ينبي عن مجيء الرسل بعد نبي الإسلام، ويدل بظاهر قوله ﴿يَأْتَيْتُكُمْ﴾ الذي هو بصيغة المضارع، على أن باب النبوة لم يوصد وأنه مفتوح بعد، ومعه كيف يدعي المسلمون أن محمد ﷺ خاتم النبيين وآخرهم وكتابهم يشهد على خلافه.^(٢)

وقد رفع العلامة الجرندي هذا السؤال إلى شيخنا الجليل فأجاب بما هذا نصه.

قال ﷺ: لا بد من بيان أمرين:

الأول: إن تلك الطائفة لا يعرفون اللغة العربية وخواصها، فإن الفعل المضارع غير مختص في المحاورات بالاستقبال، بل يؤتى به منسلخاً عن خصوصيات الزمان للدلالة على الدوام والثبات كقولهم: زيد يكرم الضيف،

١. الأعراف: ٣٥.

٢. الفرائد: ٣١٤، ط مصر - ١٣١٥هـ.

ويفك العاني ومن ذلك قول الشكري في المعلقة:

يدهدون الرؤوس كما تدهدى مزاورة بأبطحها الكرينا
وقوله أيضاً:

علينا البيض واليلب البياني وأسباب يقمن وينحنينا
وقوله سبحانه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾^(١)

الثاني: إن الجملة الشرطية كثيراً ما تحيء غير ناظرة إلى الزمان، بل لمجرد ملازمة الجزاء للشرط وترتبه عليه في أي زمان وقع الشرط، بمعنى أنه لا بد من وقوعه عند وقوع الشرط في أي زمان، ومنه قول القائل:

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله سيان
ومن قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ
ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٢)

ومنه قول زهير في معلقته:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومثله قوله الآخر:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم
إذا تقرر هذا: فلا خفاء في أن حاصل الآية: أنه مهما أتى بني آدم رسل،
يعني رسل حق، يأتون بآيات الله ووجيه ويقصونها في التبليغ، فمن اتقى حسب
ما جاء في الآيات ولم يعص الله بالمخالفة به وأصلح وجعل أعماله سالحة، فلا
خوف عليهم ولا يمحزون.

١. سبأ: ٣.

٢. الزلزلة: ٧-٨.

فجيء بالشرط بصيغة المضارع، للدلالة على ثبوت الإتيان بتكرره، بحسب الحكمة، وأنَّ الجزء لازم لهذا الشرط، دون نظر إلى الزمان الخاص، والواقعة الخاصة، وليس نظره إلى خصوص الزمان الماضي ولا خصوص المستقبل. لكن القرآن الكريم يبيِّن أنَّ هذا الشرط لا يقع في المستقبل وذلك بقوله سبحانه: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾، فكان هذا البيان من المحكمات التي هي أم الكتاب^(١).

هذا ما أجاب به شيخنا الراحل، وهناك جواب آخر وهو أنك إذا لاحظت سياق الآية تدعن بأنها ليست إنشاء خطاب في ظرف نزول القرآن بل حكاية لخطاب خاطب به سبحانه بني آدم في بدء الحلقة ولقد حكاها في القرآن بعد قرون، فكما أنه سبحانه يحكي فيه الخطابات الدائرة بين رسله وجبابرة عصورهم من فرعون وقارون من دون إنشاء خطاب في زمان الرسول ﷺ فهكذا يحكي في هذه الآية وما تقدمها الخطابات الصادرة منه سبحانه في بدأ الحلقة وإن كنت في ريب مما ذكرنا فلاحظ الآيات الواردة قبل هذه الآية وبعدها.

ابتدأ سبحانه بقصة آدم في سورة الأعراف من الآية ١١ وختمها بما استنتج من العبر في الآية ٣٧، وإليك هذه الآيات:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ انظُرْ إِلَى يَوْمِ يَبْعُثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فِيهَا أُغْوِيْتَنِي لِأَفُودَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ

خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا
مَذْمُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ *
فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ لِبَيْدِي لَهَا مَا وُرِيَ عَنْهَا مِنْ سَوْءَاتِهَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا
عَنِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا
لِئِمْنٍ النَّاصِحِينَ * فَدَلَامَا بَغُرُوا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهَا سَوءَاتُهَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ
عَلَيْهَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَتَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ
إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾

وعند ذلك ناسب أن يستنج سبحانه من تلك القصة ويخاطب أبناء آدم
بخطابات أربعة، هادفة إلى لزوم طاعة الله سبحانه والتجافي عما يأمر به الشيطان،
وإن لهم في قصة أبيهم وأمهم لبرة واضحة فقال سبحانه:

١. ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوءَاتِكُمْ وَرِشَاءَ وَرِشَاءَ

التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (١٢)

٢. ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ

عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ وَإِنَّا

جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٣)

٣. ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾.

ولا تجعل قوله سبحانه في ثنايا الخطابات الأربعة: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خذوا زينتكم عند كل مسجد...﴾ دليلاً على كونها إنشاء خطاب في عصر القرآن للمسلمين بقريظة ذكر المسجد، لأنه مردود بوجهين:

الأول: لوجود المسجد في الأمم السابقة وعدم اختصاصه بعصر الرسالة كما يشهد عليه قوله سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾. (٢)

الثاني: إن المراد من المسجد ليس البناء الخاص الدارج في البلاد الإسلامية بل هو كناية - باعتبار ذكر المحل واردة الحال - عن حالة الصلاة والعبادة التي أمر الله بها عباده في الأمم جمعاء على اختلافهم في الأجزاء والشرائط والصور، كما يشهد عليه قوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾. (٣)

وقوله سبحانه حاكياً عن المسيح: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. (٤)

وعليه فالمراد إما خذوا ثيابكم التي تنزفون بها للصلاة والبسوا أجودها في حال العبادة، أو خذوا ما تسترون به عوراتكم حالها، وعلى أي تقدير فهذا الحكم لا يختص بالأمّة الإسلامية بل يعمّ الأمم جمعاء.

٤. ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِذَا بَأْسُنَاكُمُ رُسلٌ مِنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَىٰ

١. الأعراف: ٣١.

٢. الكهف: ٢١.

٣. مريم: ٥٤-٥٥.

٤. مريم: ٣١.

وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١) ، ثم إنه سبحانه في الآية السادسة والثلاثين والسابعة والثلاثين توعد من كذب بآياته واستكبر عنها ومن افترى على الله كذباً ، وقال سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ .

وبعد ذلك ختم القصة مع ما استتج منها لأبناء آدم من عظات وعبر. وأنت إذا أحطت خبراً بهذه الآيات ، صدرها وذيلها وهدفها ومرماها ، لوقفت على أن الخطاب الأخير الحاكي عن بعث الرسل إلى بني آدم ليس إنشاء خطاب في عهد الرسالة حتى ينافي صريح قوله الآخر: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ بل هي حكاية لإحدى الخطابات التي ألقاها الله في بدء الخلق ، عندما أخرج الشيطان أبانا من الجنة وأهبطه إلى الأرض ، وتعلقت مشيئته سبحانه بأن يستقر هو وأبناؤه في الأرض إلى حين ، فخاطب سبحانه أبناء آدم بلسان النصح وقال : ﴿يا بني آدم إنا أتيناكم برسول منكم يقصون عليكم آياتي ...﴾ فصدق الخبر الخبر وجاءت الرسل تترى ، مبشرين ومنذرين ، تالين على بني آدم آيات الله .

ولعل هذا المقدار من العرض من آراء شيخنا الراحل في مواضعها المختلفة يوقفنا على مدى إحاطته بالمسائل الكلامية والقرآنية واطلاعه الواسع على العهدين فلا نطيل الكلام فيه .

انفتاحه على الثقافات الأخرى

من المواهب التي نالها الشيخ البلاغي هو انفتاحه على الثقافات والديانات الأخرى ولم يقتصر على القراءة بلغة الأم (العربية) بل أنه تعلم لغات أخرى كالعبرية والإنجليزية والفارسية، وما دعاه إلى تعلّمها إلا الحاجة الماسة للاطلاع على ما في العهدين المتداولين بأيدي اليهود والنصارى الذين كانوا ينشطون كثيراً في إثارة الشبهات ضد الإسلام. وقد تعلم الشيخ العبرية حتى يتعرف على مكانم ضعفهم فيرد سهامهم بسهام أقوى.

وقد تعلم الإنجليزية والفارسية لأن الأسئلة كانت تردّه بهاتين اللغتين. وتوجد أيضاً دواعٍ أخرى حفزته إلى تعلم هذه اللغات. يقول الشيخ الأستاذ محسن مظفر في ترجمته:

ألوى العنانَ برهة نحوَ بعض اللغات الأجنبية ففهمها من دون تعسف ولا كدّ خاطر. هذه العبرانية وكان يجيدها أيّما إجادة أتاحتها له اختلاط بسيط بالطائفة الإسرائيلية في بغداد، أثناء ارتياده بيعهم وتوراتهم لاستطلاع دقائق الأسرار والإشراف على مواطن الضعف في الكتب المقدسة، ويحسن اللغة الفارسية بصورة فائقة، وحدثت في التالي بأنّه كان ملماً بالإنجليزية.^(١)

أدبه الرائع

لم يقتصر شيخنا المترجم بالجهد في ميدان التأليف والكتابة، بل قرن ذلك بأشعاره الرائعة وأدبه الجم، فنراه قد شارك في جهاده العلمي بشعره الهادف. ولنتنقل إليك قصيدتين مليئتتين بالعلم والفكر:

١. موسوعة العلامة البلاغي، المدخل: ١٦٧-١٦٨.

القصيدة الأولى

نظمها رحمته معارضاً لعينية ابن سينا التي كان مطلعها:
 هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
 السؤال الذي طرحه الشيخ الرئيس هو أنه سبحانه لماذا أنزل النفس
 الإنسانية من عالم التجرد إلى عالم المادة؟ هذا السؤال يكرره الفلاسفة والعرفاء،
 وكلّ منهما يجب عنه بشكل خاص، وشيخنا الراحل يجب بأنه إنما أنزلت إلى
 عالم المادة لتجيب دعوة ربها التي يشير إليها قوله سبحانه: ﴿هَا أُيْتِهَا النَّفْسُ
 الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (١).
 وإليك القصيدة برمتها:

نِعِمَّتْ بَأَنْ جَاءَتْ بِخَلْقِ الْمُبْدِعِ
 خُلِقَتْ لِانْفِعِ غَايَةِ يَابِتْهَا
 اللَّهُ سَوَاهَا وَأَهْمَهَا فَهَلْ
 نِعِمَّتْ بِنِعْمَاءِ الْوُجُودِ وَتُودِثِ
 وَدَعِيَ الْهَوَى الْمُرْدِي لِئَلَّا تَهْطِي
 إِنْ شِئْتَ فَارْتَعِمِي لِأَرْفَعِ دُورَةَ
 إِنَّ السَّعَادَةَ وَالْغِنَى أَنْ تَقْتَمِي
 فَتَتَمِي وَتَزُودِي وَتَهْدِي
 وَيَهْجِي الْعِرْفَانَ وَالْعِلْمَ الْبَهْجِي
 وَتُحْذِي هُدَاكَ فِتْلِكَ أَعْلَامُ الْهُدَى
 ثُمَّ السَّعَادَةُ أَنْ يَقُولَ لَهَا (ارْجِعِي)
 تَبِعَتْ سَبِيلَ الرُّشْدِ نَحْوَ الْانْفِعِ
 تَنْحُو السَّبِيلَ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ ١٩
 هَذَا هُدَاكَ وَمَا تَشَانِي فَاصْنَعِي
 فِي الْخُسْرِ ذَاتُ تُسَوِّجِ وَتَفْجَعِ
 وَحَذَارِ مِنْ دَرْكِ الْخَصِيضِ الْأَوْصَعِ
 مَوْفُورَةٌ لَكَ وَالشَّقَا أَنْ تَطْمَعِي
 وَتَلْدُذِي وَتَكْمَلِي وَتَسُورَعِي
 وَلِنَسْرِجِ أَطْمَارِ الْجَهَالَاتِ انْزِعِي
 زُهْرٌ سَوَاطِعُ فِي الطَّرِيقِ الْمُهَيَّبِ

عُقْبِي سِرَاكِ إِلَى الْجَنَابِ الْمُمْرِعِ
 مَمْرِي إِلَيْهَا بُلْفَةً الْمُتَمَعِّعِ
 مَاوِي لَدَى الشَّرَفِ الْأَعَزِّ الْأَمْنَعِ
 فِي كُنْهَهَا وَصَفَاً وَ«كُلُّ يَدْعِي»
 ضَمَّتْ مَخَائِلَهَا خَوَانِي الْأَضْلَعِ
 مَهْلًا فَإِنَّكَ فِي ظَلَامٍ أَسْفَعِ
 وَجَدَ الْهُدَى سَاعٍ بِرَأْيٍ مُضْطَبِعِ
 إِنْ نَاءَ بِالْأَرَاءِ صَبِيحَ بِهِ قَعِ
 قَدْ رَفَّهَا مَحْجُوبَةً لَكَ أَوْ دَعِ
 وَجَوَابُهُ فِي «يَسْتَلُونَكَ» إِنْ يَعْ

وَسَرُّرَجِي بِسَدَى الطَّرِيقِ وَأَمَلِي
 نَجْدٍ وَكُلِّ طَرِيقِهَا رَوْضٍ وَفِي الْإِلِ
 وَهُنَاكَ إِذْرَاكُ الْمُنَى وَكِرَامَةِ الْإِلِ
 بَرَزَتْ مُحَجَّبَةً فَتَاهَ ذَوُوا الْهَوَى
 قَرَبَتْ وَبَاعَدَتْ الظُّنُونَ وَإِنْ تَكُنْ
 أَمْوَمَلِ الْإِشْرَاقِ فِي عِرْفَانِهَا
 تَسْعَى بِرَأْيِكَ نَحْوَهَا يَا هَلْ تَرَى
 أَمْ أَيْنَ مِنْ عِرْفَانِهَا مُتَكَلِّفِ
 سَلْ عَنْ حَقِيقَتِهَا وَمَعْنَاهَا الَّذِي
 كَمْ قَاتِلٍ فِيهَا يَقُولُ وَسَائِلِ

القصيدة الثانية

وقد نظمها رداً على قصيدة وردته من بغداد تعرض صاحبها لشأن الإمام
 المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وقد رد كذلك عليها غير واحد من الشعراء
 والعلماء، منهم شيخنا الراحل:

والقصيدة التي وردت من بغداد عام ١٣١٧ هـ مستهلها:

أيا علماء العصر يا من لهم خبر

بكل دقيق حال في مثله الفكر

فأجابه الشيخ بقوله:

فما أنا مالي فيه تهي ولا أمر

فما راعني منهن سهل ولا وعمر

من الليل تغليسا إذا عرّس السفر

أطعت الهوى فيهم وعاصاتي الصبر

أنت بهم سهل القفار ووعرها

أخسا سفير ولما اغتنيتم الثرى

وَمَا صَدَّهَا عَنْ قَصدهَا مَهْمَةٌ قَفَرُ
 بِصَدْرِ مُذِيعِ عَيْ عَنْ كَتْمِهِ التَّرُ
 حَتِينَ مَشُوقِ هَاجٍ لَوَعَتَهُ الذُّكْرُ
 إِذَا هَاجَهَا سُوقُ الدِّيارِ فلا نَكَرُ
 مُبَاحٍ وَأخْفَانِي عَلَيْهَا الكَرَى جِجْرُ
 غَرَامٍ بِهِ يَنْحَطُّ عَنْ كَاهِلِي الوِزْدُ
 لِحَبِي آلِ المِصْطَفَى فَهَوَى لِي عُذْرُ
 مَوَدَّتِهِمْ لا ما يُقْلِدُهُ النُّخْرُ
 وَلَوْلا مِزاجُ الحُبِّ ما سَاعَ لي دَرْ
 بَيْنَهُمْ وَالبَيْنُ مَطْمَعُهُ مُرُ
 فَعَن نَاطِرِي غَابُوا فِي خَاطِرِي قَرُوا
 وَمِنَ غَائِبٍ قَدِ حَالَ مِن دُونِهِ السَّرُّ
 وَمَا يَصْنَعُ الوِلهَانُ إِنْ خَانَهُ الصَّبْرُ
 مِنَ البَيْنِ لا يَأْتِي عَلَى قَعْرِهَا سَبْرُ
 بِتَذْكارِهِ وَكُفْأَ كَمَا يَكْفُ القَطْرُ
 بِأَيَاتِهِ لا ما يُزْخِرُ فُهُ الشُّعْرُ
 (لَعَا لَكَ) فِي دَخِضِ العِثَارِ بِكَ الكُفْرُ
 وَليْسَ بِغَيْرِ الحِذِّ يَصْفُو لَكَ الحِجْرُ

بِذَامِلَةٍ ما أَنْكَرْتَ أَلَمَ الوَجْهِ
 يَضِيقُ بِهَا صَدْرُ الفَضَا فَكَأَنَّمَا
 نَحْنُ إِذَا ذَكَّرْتُمَا بِدِيارِها
 وَشِمالِةِ أَعْدَيْتُمَا بِصَبَابِي
 أَرْوَحُ وَقَلْبِي لِلـوَاعِجِ وَالجَوَى
 وَأُحِلُّ أَوْزَارِ الغَرَامِ وَإِنَّهُ
 وَكَمْ لَلَّيْ خَلَعُ العِذارِ وَإِنْ يَكُنْ
 عَلِقْتُ بِهِمْ طِفْلاً فَكَانَتْ تَمائِي
 وَمَازِجِ دَرِي حُبِّهِمْ يَوْمَ سَاعِ لِي
 نَعِمْتُ بِحُبِّيهِمْ وَلَكِن بَلِيَّتِي
 وَنَائِنِ تُدِينِهِمْ إِلَي صَبَابِي
 فَمِنْ نازِحِ قَدْ غَيَّبَ الرَّمْسُ شَخْصَهُ
 أَطَالَ زَمَانَ البَيْنِ وَالصَّبْرُ خَسَابِي
 إِلَى قَمِ وَكَمْ تُنَكِّي بِقَلْبِي جِراحَهُ
 فَكَمْ سائِلٍ عَنْهُ يُبِيلُ مَدَامِي
 فِيا سائِلاً سَمْعاً لَأَيَّةِ مُعْجِزِ
 إِذَا رُمِضَتْ صَغَبَ الفِكرِ تُهْدِي فَقَدْ كَبَا
 فَمَا الحِجْرُ فِي التَّقْلِيدِ إِلَّا حِجازَةٌ

ثم يقول في آخر القصيدة:

فَمَدَّ قَادَنَا هَادِي الدَّلِيلِ بِمَا قَضَى
إِلَى عِضْمَةِ المَهِدِينَ آلِ عَمَّادِ
وَمَدَّ جَاءَ فِي الأَثَارِ عَن كُلِّ وَاحِدٍ
تُعَرَّفُنَا ابْنَ العَسْكَرِيِّ وَأَنَّهُ
بِهِ العَقْلُ وَالنَّقْلُ اليَقِينَانِ وَالدُّكْرُ
وَأَتَمَّ فِي عَضْرِهِمْ لَهْمُ الأَمْرِ
أَحَادِيثُ يَعْنى عَن تَوَاتُرِهَا الحَضْرُ
هُوَ القَائِمُ المَهْدِيُّ وَالوَائِرُ الوَتْرُ

وقد ذكر عليه السلام في ثنايا أبيات هذه القصيدة أسماء الكتب التاريخية ومؤلفيها التي وردت فيها الأخبار المتعلقة بظهور الإمام المنتظر المهدي (عجل الله فرجه الشريف) كقوله:

فكم في يواقيت البيان كفاية
وذي روضة الأحياب فيها مطالب الـ
يُقَلِّدُ من فصل الخطاب بها النحر
سؤول وفي كلِّ الفصول لها نشرُ
مناقب آل المصطفى لشواهد الـ
سنبوة فيها وهي تذكرة ذكر^(١)

المواقف السياسية للشيخ عليه السلام

تعد الثورة العراقية الكبرى التي اندلعت عام ١٩٢٠م/١٣٣٨هـ من أهم أحداث التاريخ العراقي في القرن العشرين، وقد فجرها الشعب العراقي بكل فئاته وطبقاته بقيادة علماء الدين وعلى رأسهم الإمام محمد تقي الشيرازي (المتوفى ١٣٣٨هـ)، وذلك بأصداره فتواه التي أجازت للشائرين حمل السلاح بقوله: مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالباتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع

١. راجع: موسوعة العلامة البلاغي: ٨/٩٦-٩٨، للتعرف على ما قصد المترجم له من أسماء هذه الكتب.

الإنجليز عن قبول مطالبهم.

لقد أكدت المصادر التي ترجمت للشيخ الراحل رحمه الله وذكرته أكدت على حضوره المتميز والفعال إلى جانب العلماء في تحريض الشوار ومساعدتهم في الثورة، حتى أنه اضطر إلى مغادرة سامراء وترك حلقات الدرس والمكوث في مدينة الكاظمية لمدة سنتين من ١٣٣٦ هـ إلى ١٣٣٨ هـ مؤزرراً للعلماء في الدعاية للثورة ومحرّضاً لهم على طلب الاستقلال.

وقد حضر رحمه الله الاجتماع التحضيري لهذه الثورة الذي عقد في المسجد الهندي في مدينة النجف الأشرف في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان سنة ١٣٣٨ هـ، والذي حضره كبار العلماء ورؤساء عشائر الفرات الأوسط، إذ تم في هذا الاجتماع التاريخي دراسة الأوضاع السائدة آنذاك، وإصدار مذكرة سياسية مهمة تطالب باستقلال العراق، وقد وقع عليها ثمانية وسبعون شخصاً من كبار الحاضرين في ذلك الاجتماع، وكان من ضمنهم علامتنا البلاغي رحمه الله.^(١)

الإمام عبدالحسين شرف الدين الموسوي

باحثاً ومجاهداً وداعياً للإصلاح والوفاق (١٢٩٠-١٣٧٧هـ)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(١)

أما بعد، فإني أتقدم بالشكر والتقدير إلى الإخوة المسؤولين في مكتب الإعلام الإسلامي لما بذلوه من جهود في عقد هذا المؤتمر الدولي المخصّص لتكريم العلامة السيد شرف الدين العاملي رحمته الله.

إنها - والله - لفرصة طيبة وجميلة أن نلتقي في رحاب العلامة السيد شرف الدين لنحیی مآثره الخالدة في حقول الدين والمذهب والأمة، ونقتطف منها أزاهير نُعطرُ بأريجها الزاكي، هذا الحفل المبارك الذي يجتمع فيه العلماء الأعلام والأساتذة والأدباء والفضلاء، فأهلاً بكم جميعاً ومرحباً.

وتودُّ في هذا الوقت الذي تهبّ فيه أعاصير الشر والطغيان لتستأصل المبادئ والقيم الرفيعة، وتسلب حقّ الشعوب في تحقيق كرامتها وحرّيتها

واستقلالها... نوذ في هذا الوقت العصيب أن نحتي بألستنا وقلوبنا وعواطفنا الصادقة الوفد الكريم الذي حل علينا ضيفاً من ربوع العلم والفكر والجهاد والتضحية والفداء، تلك الربوع التي أنبت فطاحل العلماء والفقهاء والمفكرين والأدباء، كما نحتي الإخوة الأفاضل الأماجد الوافدين من العراق، فشكراً للجميع.

لا شك في أن الأمة التي تتسلح بالعلم والإيمان واليقظة والوحدة، لا يمكن أن تضعف أو تستقل مها كانت الخطوب والمحن التي تداهما.

وفي هذا العصر أثبت علماء لبنان المجاهدون وأحرارهم وصناديدهم أنهم أعز وأمنع من أن تتناول عليهم الذئاب، أو تنظلي عليهم أحابيل الأفاعي مهما لان مشها، أو تخدعهم شعارات الديمقراطية المزيفة التي رأينا صوراً منها في مدن العراق المُستباحة، وسجون الحافلة بكل ما يبعث على التقرز والاشمزاز.

لقد اتضح تماماً أن أحرار لبنان ومجاهديه على مستوى المسؤولية في شتى الظروف والأحداث، فبالأمس وثب رجاله الأشاوس لتحرير أرضهم من دنس العدو الصهيوني الذي ردّد الكثيرون - جهلاً وجبناً وطمعاً - مقولة أسطورة جيشه الذي لا يقهر، ولكن لم يمض وقت طويل حتى رأى العالم فرار جنوده من الميدان فرار الحمر من بطشة الليث المصور.

لقد كان لهذا الانتصار والمظاهرات الحاشدة صدى واسع ووقع مؤثر في نفوس الجماهير التي بدأت تقترب من الإيمان بأن جولة الباطل لا بد أن تنتهي بصولة الحق والإيمان والوحدة والإقدام، وأخذت تدنو من الاعتقاد بواقعية قول الشاعر:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
ولا يبـدّ لليل أن ينجلي
فلا يبـدّ أن يستجيب القـدر
ولا يبـدّ للقيـد أن ينكسر

واليوم، وثاراً للهزيمة التي مُني بها الصهاينة، وتنفيذاً لسياسة إخضاع الشعوب وإذلالها ومسح هويتها ونهب ثرواتها، تمت حياكة مؤامرة خبيثة في مصانع الكيان الصهيوني ودوائره العالمية وبتأييد بعض الفئات المخدوعة ببريق الديمقراطية الخادع أو المتاجرة بضمايرها للالتفاف على الإنجازات الكبيرة للشعب اللبناني وسوقه إلى دائرة الشرق الأوسط الكبير الذي تسعى أمريكا خاسمة لتحقيقه.

وهنا أيضاً، انطلقت الجموع لصنع ملحمة جديدة لإحباط هذه المؤامرة وإخماد الفتنة، والكشف عن زيف الادعاءات والشعارات الكاذبة التي راحت تنزوي وتخفي أمام الحضور الجماهيري الحاشد الذي أجبر الأعداء على الاعتراف بمرارة بحقيقة قوة ووعي وتلاحم الشعب، وعلى التفكير بأساليب جديدة تمهد الطريق لأغراضهم الشريرة، ولكن الله تعالى والمؤمنين والأحرار لهم دائماً بالمرصاد وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.



برز في تاريخ الأمة الإسلامية عامة والشيعة الإمامية خاصة في كل قرن وعصر علماء كبار وعباقرة عظام، بذلوا جهودهم في ترسيخ العقيدة الإسلامية في قلوب الناس وكشف حجب الريب والشك عن وجه الحقيقة، فكأنتهم هم المعنيون في حديث رسول الله ﷺ، إذ يقول:

«يحمل هذا الدين في كل قرن عدول يتفون عنه تأويل المبطلين وتحريف

الغالين، وانتحال الجاهلين كما ينفي الكبير خبث الحديد»^(١).
وفي القرن الرابع عشر نجد رجالاً أحيوا الدين وأمانوا البدع وصدّوا سهام
الأعداء المرشوفة، تشهد على جهادهم العلمي المتواصل كتب التراجم، ومعاجم
الرجال.

ومن هؤلاء؛ الأجلة الأربعة الذين عاشوا في عصر واحد وبينة واحدة
وتخرجوا من مدرسة واحدة ولمسوا حلوة الحياة ومرّها في العراق والشام، أعني:

١. آية الله الشيخ محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ).

٢. آية السيد محسن الأمين العاملي (١٢٨٤-١٣٧١هـ).

٣. آية الله الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ).

٤. آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠-١٣٧٧هـ).

فهؤلاء الأجلة هم حجج الإسلام بحق، ورافعو ألوية الجهاد العلمي
بيانهم وبنائهم بلا شك، فقد ثابروا في عملهم لأجل هداية الأمة، وصبروا على
مضض الحياة من غير اكتراث بما يصيبهم في سبيل بلوغ هذا الهدف.

وحيث إنّ هذا المؤتمر ينعقد إجلالاً لأحد هؤلاء العباقرة الأربعة، أعني:
العلامة الحجة آية الله العظمى السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، فتود أن
نلقي أضواءً على جوانب من حياته.

خصائصه ومنجزاته

العالم الإسلامي تارة يقتصر سعيه في بلد خاص أو بأقليم معين، يبذل جهده من أجل إنارة الطريق لأهله فقط، ولكن هناك القليل من المصلحين ممن يحملون هموم المسلمين جميعاً، فيحررون أفكارهم عن قيد الإقليمية ويعطفون رغبتهم إلى العالم الإسلامي كله، فيكتبون للمسلمين عامة ويحاورونهم كذلك، فالمسلمون لديهم كأسيان المشط، من غير ميز بين أقليم دون أقليم أو فئة دون فئة.

١. كان رجلاً عالمياً

وفي طليعة هؤلاء سيدنا الجليل عبد الحسين شرف الدين العاملي رحمته الله الذي يهدف في كل أثر حثره يراعه إلى تماسك المسلمين وتعاونهم وتمسكهم بالكتاب والسنة، فترى أنه يؤلف كتاباً باسم: «الفصول المهمة في تأليف الأمة» وهو من أجل الكتب الكلامية، تناول فيه مسائل الخلاف بين الطائفتين على ضوء العقل والاستنتاج والتحليل، وقد ألفه في أيام شبابه، وتم في عام ١٣٢٧ هـ. ومن دلائل كونه رجلاً عالمياً لا إقليمياً أنه ركب البحر عندما لم تكن أي

طائرة في المنطقة، وتحمل جهد هذا النوع من السفر، فتوجه من لبنان إلى مصر عام ١٣٢٩ هـ والتقى فيها بأفذاذ المدرسة العقلية في مصر وعلى رأسهم الشيخ سليم البشري المالكي شيخ الجامع الأزهر، ودارت بينه وبين رئيس الأزهر مساجلات ومراجعات سوف نتحدث عنها فيما بعد.

ولم تكن هذه الرحلة فريدة في حياته وإن كان لها آثار جميلة، فقد زار عام ١٣٣٨ هـ دمشق ومصر وفلسطين مرة أخرى، وألقى خلالها محاضرات قيمة واجتمع هناك مع مشايخ العلم وعباقرته.

كما أنه زار عام ١٣٤٠ هـ الأراضي المقدسة في عهد الشريف حسين وكان الموسم في ذلك العام من أحفل مواسم الحج، وكان للسيد بين جموع الحجاج مكانة شامخة بشهادة أنه أم المسلمين في المسجد الحرام، وكان المسجد مكتظاً بالوان المسلمين، وصلّى من غير تقيّة.

وقد كان لهذه الرحلات أثر بارز في تعريف الأمة وتعريف الشيعة لإخوانهم، وتبيان أن الشيعة هم أخوانهم الذين افتقدوهم منذ قرون.

٢. الاهتمام بتوعية الشيعة

إن الإمام شرف الدين لما أكمل دروسه عند أعلام العصر وجهابذة الوقت، كالمحقق الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩ هـ)، والسيد كاظم اليزدي (١٢٤٧-١٣٣٧ هـ)، وشيخ الشريعة (١٢٦٦-١٣٣٩ هـ)، وغيرهم من أعلام النجف ومراجعها، غادر العراق ونزل بلاده فوجد أن الأُمّية متفشية بين المسلمين عامّة، وعند الشيعة خاصّة، ولاحظ أيضاً أن المناصب العليا بيد المسيحيّين، والمهن التي لا يرغب فيها المثقفون تركت للشيعة، فهم يبارسون المهن والحرف البسيطة.

فأحس السيد عليه السلام بواجبه فجعل توعيتهم وتثقيفهم نصب عينيه، فقام بتأسيس المدرسة الجعفرية في صور وجعلها نواة لفتح مدارس أخرى في هذا المضمار، وقال عند مراسم الافتتاح كلمة قيّمة دارت على الألسنة منذ أن قيلت إلى يومنا هذا، وهي: «لا يتشر الهدى إلا من حيث يتشر الضلال».

وقد رسم بذلك الخط الذي يجب أن يسير عليه قادة المسلمين، فإن التأثير بالمسيحية أو المادية التي راجت في ذلك الزمان أو بعده إنما حدث في أوساط المسلمين عن طريق المراكز الثقافية كالمدارس والجامعات، فأخذ أساتذة العلوم يثرون بالمسيحية تارة وبالمادية أخرى في ثنايا دروسهم ومحاضراتهم. فإذا دخل الخصم في تحقيق مآربه عن هذا الطريق، فعلياً أن نسلك نفس هذا المنهج لتحقيق أهدافنا، لأنه طريق معبد ومنتج...

وإذا كان في ناموس الحلقة أن يرث الأبناء ما للأباء من الفضائل والمناقب فإن كلمة السيد هذه، هي أشبه ما تكون بكلمات جدّه الإمام علي عليه السلام، فلو وجدناها مكتوبة في ثنايا قصار الكلم للإمام في «تهج البلاغة» لما شككنا في صدورها عنه عليه السلام، وهذه فضيلة راوية للإمام الراحل شرف الدين.

٣. فتح باب الحوار بين الطائفتين

سادت على المسلمين بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله فكرتان مختلفتان:

إحداهما: أنّ المرجعية السياسية الدينية منصب إلهي يضعه سبحانه أين يشاء، وقد شاء أن تكون مقتصة بأئمة أهل البيت عليهم السلام، فهم الذين لهم الحق في تولّي أمور المسلمين في شتى الحقول والمجالات.

ثانيهما: أنّ هذه المرجعية منصب بشري يارسها من يختاره الصحابة من

المهاجرين والأنصار، وقد قاموا بدورهم هذا في سقيفة بني ساعدة.

هاتان الفكرتان سادتنا على المسلمين إلى يومنا هذا، ولهم في هذا المجال؛

رسائل وكتب وموسوعات لا يمكن إحصاؤها.

إن أتباع هاتين الفكرتين يشتركون في أصول وفروع كثيرة تسهل لهم التمسك بعرى الوحدة الوثيقة، ولكنهم - وللأسف - تناسوا المشتركات، وضخّموا الأمر الذي يفرق بينهم، فأسفر ذلك عن عدم اطلاع طائفة على ما عند الطائفة الأخرى، ولذا نادى سيدنا شرف الدين رحمه الله بفتح باب الحوار لأجل تقريب الخطى بين الطائفتين، قائلاً: بأن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا.

إن باب الحوار كان مفتوحاً إلى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، فهذا هو الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) قد ملأ كتبه وأماله بالحوارات العلمية، وتبعه في ذلك تلميذاه: الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) والشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ)، ولكن بعد هذه الفترة انسد باب الحوار بين أعلام المسلمين ولم يفتح إلا في موارد يسيرة لا تكاد تذكر، فنهض السيد الراحل إلى فتحه من جديد عن طريق المكاتبة مع أحد أعلام أهل السنة، أعني: الشيخ سليم البشري (١٢٨٤-١٣٣٥هـ) شيخ الأزهر في عصره، وذلك بعدما هبط مصر أواخر عام ١٣٢٩هـ مؤملاً في ذلك تحقيق الأمنية التي أملها، فوجد تربة مصر تربة خصبة بالعلم والذكاء، وقد جمع الحظ السعيد بينه وبين أحد أعلامها المبرزين المتميزين: «بعقل واسع، وخلق وادع، وفؤاد حي، وعلم عيلم، ومنزل رفيع» كما عبر رحمه الله في مقدمة مراجعته وهو يصف لقاءه معه بقوله: «شكوت إليه وجددي، وشكا إليّ مثل ذلك وجدداً وضيقاً، وكانت ساعة موفقة أوحّت إلينا التفكير فيما يجمع الله به الكلمة، ويلمّ به شعث الأمة، فكان مما اتفقنا عليه أن

الطائفتين - الشيعة والسنة - مسلمون يدينون حقاً بدين الإسلام الخنيف، فهم فيما جاء الرسول به سواء، ولا اختلاف بينهم في أصل أساسي يفسد التلبس بالمبدأ الإسلامي الشريف... ٤.

فترتب على ذلك اللقاء الجميل مكاتبات ومراجعات بلغ عددها ٦٥ مراجعة، أي أنّ السيد قد تلقى خمساً وستين سؤالاً من شيخ الأزهر ليجيب عليها، وقد أجاب بعدد الأسئلة، فصار المجموع كتاباً علمياً تاريخياً حديثياً كلامياً كان له صدق واسع عندما طبع عام ١٣٥٥هـ.

يُشار إلى أنّ المتحاورين لم يخرجوا عن أدب الإسلام وأدب المناظرة قيد شعرة، بل انتهيا تبادل عبارات التقدير والاحترام، وهذا ما نلمسه في ثنايا كلامهما، فهذا شيخ الأزهر يبدأ مراجعته الأولى بقوله: «سلام على الشريف العلامة الشيخ عبد الحسين الموسوي ورحمة الله وبركاته» ثمّ إنه يكتب في ثنايا تلك المراجعة: وإني لواقف على ساحل بحرك اللحي، استأذنك في خوض عبابه والغوص على درره، فإن أذنت غصنا على دقائق وغوامض تحوك في صدري منذ أمد بعيد، وإلّا فالأمر إليك، وما أنا فيما أرفعه بباحث عن عشرة، أو متبع عورة، ولا بمفند أو مندّد، وإنّما أنا نشاد ضالة، وبحث عن حقيقة، فإن تبين الحق فإنّ الحق أحق أن يتبع، وإلّا فأنا كما قال القائل:

نحن بيا عندنا وأنت بيا عندك راض والرأي مختلف

فبادله السيد ﷺ الجواب الجميل وقال: «رमितني بأمالك ونزعت إليّ برجائك، وأنت قبله الراجي، وعصمة اللاجي، وقد ركبت من سوريا إليك ظهور الآمال، وحططت بفنائك ما شددت من الرحال، متجعاً علمك، مستمطراً فضلك، وسأنقلب عنك حي الرجاء، قوي الأمل، - ثم يقول له - : فسل عما

أردت، وقل ما شئت، ولك الفضل، بقولك الفصل، وحكمك العدل»^(١).
هكذا كان العلمان في سماء الأدب، وهذا هو تقديرهما لحقوق كلا الطرفين.

٤. اهتمامه بالفقه الأكبر

اهتم سيدنا الراحل بالفقه الأكبر نظير اهتمامه بالفقه الأصغر، فإن قائمة أسماء مؤلفاته تشير إلى أن اهتمامه بعلم الكلام والعقائد ومسائل البنية التحتية للدين الإسلامي كان بنفس مستوى اهتمامه بمسائل الفقه الإسلامي، ويشهد على ذلك كتبه ومحاضراته في العقائد والكلام.

وهو رحمه الله يذكر في إجازته لآية الله السيد شهاب الدين المرعشي النجفي رحمه الله أن من شيوخ إجازته الإمام الفقيه المحدث محمد المعروف بالشيخ بدر الدين الدمشقي شيخ الإسلام في دمشق وأعلم أعلامها، قال: فقد لقيته في شعبان سنة ١٣٣٨ هـ بدمشق وحضرت درسه ليالي رمضان من تلك السنة وجرت بيننا مذاكرة تتعلق بمباحث الحسن والقبح العقليين وبإمكان رؤية الله تعالى وامتناعها ويقدم القرآن وحدوثه، فأل البحث إلى ميله التام إلى رأينا في كل من المسائل الثلاث....^(٢)

نعم قد بذل رحمه الله جهوده الكثيرة في مسألة الإمامة والخلافة التي هي من الأصول عندنا ومن الفروع عند أهل السنة، حيث إن تنصيب الإمام عندهم من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١. المراجعات: الأولى والثانية.

٢. مجلة آيينه پژوهش «مرآة التحقيق» ٢٠٦.

٥. تبيين المسائل الخلافية

نحن نعتقد بأن الخط الفاصل بين الطائفتين السنية والشيعية أمر واحد لا غير، وهو أن الشيعة يرى أن المرجعية السياسية والعلمية بعد رحلة الرسول ﷺ تعود إلى أئمة أهل البيت من سلالته، وترى الطائفة الأخرى خلاف ذلك، هذا هو الفرق الأصيل بين الطائفتين.

وأما سائر المسائل فلا تمت إلى الخلاف الجوهرى بين الطائفتين، فهي إما مسائل كلامية أو مسائل فقهية.

مثلاً: المسائل الثلاث التي خاض فيها الإمام شرف الدين في دمشق وأقنع المخالف بما يراه الإمامية ليس شيئاً مما يختص بالإمامية، فإن المعتزلة أيضاً شاركت الإمامية بالتحسين والتضيح العقليين، وامتناع رؤية الله تعالى في الآخرة، وحدوث القرآن وعدم قدمه، ونظير ذلك المسائل الفقهية فإن الشيعة يرى عدم نسخ نكاح المتعة أو بطلان العول والتعصيب، كل ذلك خلافات فقهية لا تمت إلى أصول الدين بصلة.

فكل من يريد أن يعمق الخلاف أو الشقاق فإننا يتمك بالمسائل الكلامية أو الفقهية، أو يتهم الطائفة بما هم براء عنه براءة يوسف من الذنب الذي ألصق به.

وعلى ضوء ذلك بحث السيد شرف الدين بعض المسائل الفقهية الخلافية تبعاً للقدماء من كلتا الطائفتين، فهذا هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ) يؤلف كتاباً باسم «اختلاف الفقهاء»، كما أن أبا جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (المتوفى ٣٢١هـ) ألف كتاباً باسم «اختلاف العلماء»، هذا ما عند السنة.

وعند الشيعة نرى أنّ السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) ألف كتاباً باسم «مسائل الخلاف في الفقه»، وتبعه تلميذه أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) فألف كتاب «الخلاف في الأحكام»، ذكر فيه آراء الموافق والمخالف بسعة صدره وطول باعه.

إنّ هذه الكتب التي قام بتأليفها فطاحل العلماء من الطرفين كانت أداة التقريب بينهما، إذ ما من مسألة إلا وللشيعة الإمامية موافق من أحد الطوائف الأربعة أو أحد المذاهب البائدة، ولم يكن لهذه الكتب أي أثر سيئ.

كما ألف محمد بن حسن الشيباني (المتوفى ٢٩٨هـ) كتاباً باسم «الحجة على أهل المدينة» وقد طبع في أربعة أجزاء طرح فيه المسائل الخلافية بين مدرسة الرأي الذي هو من أعظم أتباعها ومدرسة أهل الحديث التي كان عليها المحدثون في المدينة كما لك وأتباعه، ولم توصف هذه الكتب بشق العصا أو توسيع نطاق الخلاف، لأنها كانت بحوثاً علمية فكرية توجب تقدّم عجلة الفقه إلى الأمام.

وفي القرن السابع قام أحد الفطاحل من علماء الشيعة الذي قلما يتفق في الزمان أن يسمح بمثله وهو الإمام العلامة الشيخ الحسن بن يوسف المطهر الحلبي (٦٤٨-٧٢٦هـ)، قام بتأليف كتابين قيمين، وهما:

١. تذكرة الفقهاء.

٢. منتهى المطلب في تحقيق المذهب.

أورد فيها آراء الصحابة والتابعين والفقهاء، بصدر رحب، ونقل دليل كل طائفة على رأيه وذكر مذهبه مع دليله.

فنحن نتلقّى هذه الكتب تحقيقاً للفقه وإنارة للمذهب.

فتبعاً لسيرة هؤلاء الأعظم قام سيدنا شرف الدين بالبحث حول المسائل

الفقهية الخلافية، وهو وإن لم يستقصها جميعاً ولكنه أدلى بمهات المسائل الخلافية، وألف في ذلك كتاباً طبع باسم: المسائل الفقهية.

وعلى ضوءه سرنا في كتابنا «الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف» فاستقصينا المسائل الخلافية التي اشتهرت بها الشيعة الإمامية كالمنع عن مسح الحفين، وغسل الأرجل والتي لم تتجاوز عن ٢٦ مسألة.

إن اختلاف الفقهاء في المسائل العملية نابع عن الاختلاف في المدارك التي يعتمدونها في استنباط الأحكام، وكل منهم يطلب الوصول إلى الحكم الواقعي بنية خالصة. فرحم الله علماءنا الماضين وحفظ الله الباقيين.

ولعل اختلافهم كان مثل اختلاف نبي الله داود وسليمان في قصة الحرث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم، إذ يقول عنها: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾. (١)

وقد ذكر المفسرون حكمها على وجه لا يصادم عصمتها، فمن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى التفاسير.

٦. تأسيس منهج لتمييز الصحيح من الأحاديث

إن حديث الرسول ﷺ كالقرآن الكريم حجتان عند الأمة الإسلامية، غير أن القرآن وحى بلفظه ومعناه، وأما حديث الرسول ﷺ فوحي بالمعنى دون اللفظ، وقد ارتحل الرسول الأكرم ﷺ وترك في الأمة وديعتين ثميتين، وهما: كتاب الله

وعترته الذين هم حفظة سنته ومبلغو أحاديثه.

غير أن تحريم كتابة السنة والتحدّث بها في عصر الخلفاء الثلاثة (خاصة الثاني منهم) أفرز مشكلة كبيرة هي ذهاب كثير من حفظة الحديث مع أحاديثهم دون أن يكتب أو ينقل، فحلّ محلهم مستلمة أهل الكتاب، فرّجوا الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات، فتلقتها الأمة علماً ناجعاً ملأوا به كتبهم. وفي نهاية القرن الأوّل تنبه عمر بن عبد العزيز إلى الخسارة الفادحة المتوجهة إلى التراث النبوي من ترك كتابة الحديث والتحدّث به، فكتب إلى عامله في المدينة المنورة أبي بكر بن حزم قائلاً: أنظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكته، فإنّي خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإنّ العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً.^(١)

ومع الحثّ الأكيد من جانب الخليفة الأموي لم تكن هناك حركة سريعة بالنسبة إلى هذا الموضوع، إلى أن دالت دولة الأمويين وقامت محلّها دولة العباسيين وأخذ أبو جعفر المنصور بمقاليد الحكم، فعندئذٍ قام المحدثون بتدوين الحديث عام ١٤٣هـ.^(٢)

وفي خلال الفترة التي أهملت فيها (باستثناء شيء يسير) السنة النبوية كتابة وتحديثاً، دخلت الإسرائيليات والمسيحيات والمجوسيات والمكذوبات على لسان رسول الله ﷺ عن طريق تجار الحديث والمستأكلين به، فاحتاج المحققون إلى تمييز الصحيح عن غيره، والصادق عن الكاذب بعلم الرجال الباحث عن

١. صحيح البخاري: ٢٧/١، باب كيف يقبض العلم، من كتاب العلم.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٦١.

صفات الراوي ضبطاً وثقةً.

فمن ذلك العصر صار المحور في نقصد السنة في ألسن الرواة وتمحيص الأحاديث النبوية هو صفات الراوي، من حيث كونه عادلاً حافظاً ضابطاً مسنداً إلى غير ذلك من الصفات.

ولكن القوم غفلوا عن أنّ هناك طريقاً آخر في جنب الطريق الأول وهو نقد مضمون الحديث بأصول علمية وهي:

١. عرض الحديث على الكتاب.

٢. عرض الحديث على السنة القطعية المتواترة.

٣. عرض الحديث على العقل الحصيف الذي به يخاطبنا سبحانه في كتابه، ويحتج به علينا.

٤. عرض الحديث على التاريخ المتواتر المتضافر.

٥. عرض الحديث على ما اتفق عليه المسلمون.

فإذا كان الحديث مخالفاً لأحد هذه الأقسام القطعية فإننا نعلم ضعف الحديث وعدم صدقه وتسرب الوضع إليه من إحدى النواحي دون أن يتهم الصحابي أو التابعي أو مؤلف الكتاب به.

نعم الشرط هو عدم مخالفته، لا موافقته لأحد هذه الموازين، لوجود موضوعات مختلفة حفلت بها الأحاديث الكثيرة، دون أن يرد في القرآن الكريم - حسب أفهامنا - منها شيء.

فهذا النوع من دراسة الحديث مما رسمه سيدنا الراحل في كتابه «أبو هريرة» الذي نُسب إليه أكثر من خمسة آلاف حديث، مع أنه لم يدرك من حياة النبي أكثر من ثلاث سنوات.

وهذا النوع من التحقيق يكر في بابه، وقد صار عليه أحد أعلام مصر ألا وهو محمد الغزالي، حيث ألف كتابه «الحديث النبوي بين أهل النقل والفهم» الذي أثار ضجة عند بعض المتحجرين، وقام أئمة الجمعة والجماعة في بعض المساجد بالتنديد والتشهير بهذا الكتاب، وما ذلك إلا لأنهم ألفوا وأنسوا بصحة عامة ما في الصحاح والسنن على وجه لا يقبل النقاش.

رحم الله سيدنا الراحل الذي شق لنا هذا الطريق الذي سرنا على ضوئه في كتابنا «الحديث النبوي بين الرواية والدراية» حيث درسنا أحاديث ما يربو على أربعين صحابياً، بعد ذكر نبذة مختصرة عن سيرتهم ونماذج من روايتهم حديثهم، ثم أخذنا بالأحاديث الزائفة المخالفة لأحد هذه الأسس دون أن نتهم الصحابي أو التابعي بشيء، وإنما اتهمنا مضمون الحديث بالوضع والدس، ومما ذكرناه في هذا الكتاب أنموذج لما لم نذكر، وإلا فهذا النوع من التحقيق يحتاج إلى دراسة منهجية موسعة تقوم بمهامه لجنة عالمية بأصول التحديث وقواعده.

رسائل متبادلة بين العلمين:
 عبد المتعال الصعيدي و السيد شرف الدين
 حول كتاب «أبو هريرة»

لما صدر كتاب «أبو هريرة» للإمام شرف الدين إلى الأسواق، والذي سلك فيه مسلكاً جديداً في تقييم الأحاديث النبوية كما عرفت؛ أثار اهتماماً كبيراً لدى المحذّثين والباحثين، لأنّ هذا النوع من الدراسة كان يُعدّ شيئاً غير مألوف في وقته باعتباره يمثّل خطوة جريئة في مجال إزاحة الستار عن وجه الحقيقة، إذ أثبت بوضوح أنّ قسماً كبيراً ممّا روي عن أبي هريرة موضوع لا تصحّ نسبته إلى رسول الله ﷺ.

وقد قام عبد المتعال الصعيدي بنقد الكتاب في مقالات ثلاث نشرت في مجلة «الرسالة» الصادرة في القاهرة، وقد أجاب السيد شرف الدين عن نقد الكاتب بالترتيب، و كان ردّه صارماً وواضحاً لكلّ من طالع النقد والرد. ونحن بدورنا نشر نصوص النقد والرد وردودهما كما وردت بدون تغيير.

«أبوهريرة»^(١)

تأليف : الأستاذ عبد الحسين الموسوي العاملي
 بقلم : الأستاذ عبد المتعال الصعبيدي

اسم كتاب ألفه الأستاذ الفاضل عبد الحسين الموسوي العاملي ، وهو من الشيعة المقيمين بالشام ، وقد أراد أن يدرس أبا هريرة درساً علمياً بريئاً من التعصب المذهبي ، ولكنه لم يكد يفتح كتابه حتى وقع فيما قرأ منه ، وابتدأ من أول صفحة كتاباً لا ينظر إلى أبي هريرة في ذاته ، وإنما ينظر إليه كشخص يقده أهل السنة المخالفون له في الغلو في التشيع ، لأننا معشر أهل السنة نتشيع لعلي وأهل بيته رضي الله عنهم ، ونسلك في ذلك مذهباً وسطاً بين المغالين في التشيع لهم ، والذين يكرهونهم من الخوارج ونحوهم ، وقد قال علي رضي الله عنه : خير هذه الأمة النمط الأوسط ، يلحق بهم التالي ، ويرجع إليهم الغالي .

فقد ذكر المؤلف أن الذي أوقع أهل السنة في الرضا عن أبي هريرة إنما هو مذهبهم في تعديل كل صحابي ، واعتقاد أن الصحبة عصمة لا يمس صاحبها بجرح وإن فعل ما فعل ، ثم ذكر أن الصحبة فضيلة جلييلة ولكنها غير عاصمة ، وأن الصحابة كان فيهم العدول والأولياء والأصفياء والصديقون ، وكان فيهم مجهول الحال ، وكان فيهم المنافقون من أهل الجرائم والعظائم ، كما قال

١ . مجلة الرسالة ، العدد ٧١٥ ، السنة ١٥ ، المورخة ١٧ / ٣ / ١٩٤٧ م ، الصفحة ٣٢٣ .

تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النُّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾
 فعُدولهم حجة، ومجهول الحال تتبين أمره، وأهل الجرائم لا وزن لهم ولا
 لحديثهم، وقد درس المؤلف أبا هريرة على هذا الأساس ليثبت أنه كان منافقاً
 كذاباً مجرمًا، فيكون عنده من الفريق الثالث الذي عدّه من الصحابة، ولا يكون
 هناك وزن له ولا لحديثه.

ونحن معشر أهل السنة لا نعتقد أنّ الصحبة عصمة، لأنه لا عصمة
 عندنا إلا مع وحي ونبوة، والشيعه هم الذين يقولون بوجود العصمة بعد النبوة،
 فالمؤلف فيما رمانا به من هذا على حدّ قولهم في أمثالهم: رمتي بدائها
 وانسلت.

فالصحابة عندنا رجال كسائر الرجال، يصيبون كما يصيبون، ويخطئون
 كما يخطئون، ولهذا كان مذهب الصحابي ليس حجة عند جمهور أهل السنة،
 وكان الشافعي فيما أظن إذا خالف مذهبه مذهب الصحابي يقول: هم رجال
 ونحن رجال فالصحابي قد يخطئ في رأيه، وقد يخونه سمعه فيخطئ فيما يرويه
 عن النبي ﷺ، وأهل السنة يجيزون تخطئة الصحابي فيما يقع فيه من الخطأ، لا
 فرق في ذلك بين أبي هريرة وغيره من أصحاب النبي ﷺ، ولكنهم لا يجيزون
 تجاوز ذلك إلى الطعن في دينهم، ورميهم بما رمى به المؤلف أبا هريرة من أنه
 كان منافقاً مجرمًا كذاباً، لأنّ النبي ﷺ مات وهو راض عن أصحابه، ونحن
 نكرمه برضانا عن رضاه عنه، وبالتأدب في حقّه وعدم الطعن عليه في دينه،
 وقد كان أبو هريرة من ألصق الأصحاب بالنبي ﷺ، فيهمنا أن يكون رضاه عنه
 في موضعه، وألا يكون رضاه عن منافق كان يخدعه في دينه، ولنخطئ أبا

هريرة بعد ذلك فيما يثبت عليه أنه أخطأ فيه، مع صون اللسان عن السب والشتم والظعن في الدين، فليس هذا السب من النقد الصحيح في شيء، ولا من أدب الجدل في الدين والعلم، وقد نهانا الله عن ذلك في جدالنا مع من يخالفنا في الدين، فقال تعالى في الآية، ١٠٨ من سورة الأنعام: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١)، وقال تعالى في الآية ٤٦ من سورة العنكبوت: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، والمسلم أحق بذلك مع المسلم.

وقد ثبت أنه كان هناك رواية يضعون الحديث على أبي هريرة، ومنهم إسحاق بن نجيج الملطي، وعثمان بن خالد العثماني، وابنه محمد، وهو الذي روى عن أبي هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله ﷺ امرأة عثمان بن عفان ويدها مشط، فقالت خرج رسول الله ﷺ من عندي أنفأ رجلت شعره، فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله - يعني عثمان - قلت: بخير، قال: أكرمه، فإنه من أشبه أصحابي بي خلقاً. وهذا حديث باطل، لأن رقية ماتت في غزوة بدر، وأبو هريرة إنما أسلم بعد فتح خيبر، فلنحمل مثل هذا على أولئك الرواة، ولا داعي إلى الظعن في أبي هريرة.

ولما قرأ الإمام السيد شرف الدين النقد المذكور كتب رداً عليه وإليك

نصه:

١. دراسة أحاديث الصحابي وعرضها على الكتاب والسنة المتواترة والمتضاربة وإجماع المسلمين والتاريخ الصحيح لا يمتد إلى السب بصفة، فاتهم السيد شرف الدين ﷺ بالسب صدر غفلة عن معنى السب.

كتاب «أبو هريرة»^(١)

نشرت مجلتكم الغراء «الرسالة» - في عددها ٧١٥ - كلمة للأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدي حول كتابي «أبو هريرة» فأبرأته مما نال مني ولم أتعبه فيما أفرط فيه من التمويه والمغالطة.

ولكن البحث العلمي فرض عليّ أن أمعن في قوله: «وقد ثبت أن هناك رواية يضعون الحديث على أبي هريرة ومنهم إسحاق بن نجيع الملطي وعثمان بن خالد العثماني وابنه محمد وهو الذي روى عن أبي هريرة أنه دخل على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان بن عفان ويدها مشط فقالت خرج رسول الله من عندي آنفاً رجلت شعره. فقال لي: كيف تجدين أبا عبد الله - يعني عثمان - قلت: بخير. قال: أكرمه فإنه من أشبه أصحابي بي خلقاً. [قال:]: وهذا حديث باطل، لأن رقية ماتت في غزوة بدر وأبو هريرة إنهما أسلم بعد فتح خيبر [قال:]: فلنحمل هذا على أولئك الرواة ولا داعي إلى الطعن في أبي هريرة».

قلت: لا يمكن حمله على أولئك الرواة من وجهين:

١. ثبوته عن أبي هريرة بالسند المتصل الصحيح وقد أخرجه وصححه الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري في كتاب معرفة الصحابة أثناء ذكر وفاة رقية ودفنها في ص ٤٨ من الجزء ٤ من المستدرک وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحة سنده وإنكار منته.

٢. أمعنا في البحث عن سند هذا الحديث فلم نجد أحداً قبل اليوم زعم

أنه يروى من طريق محمد بن عثمان بن خالد . وإنما روي بسندين لا ثالث لهما أوردهما الحاكم ، وليس في واحد منهما إسحاق بن نجیح الملقب ولا عثمان بن خالد ولا ابنه محمد فكيف نحمله عليهم والحال هذه يا منصفون؟! وليت الشيخ يدلنا على مأخذه فيما حملة على محمد بن عثمان بن خالد العثماني إذ قال : وهو الذي روى عن أبي هريرة أنه دخل على رقية ويدها مشط الخ ، ومتى فعله كنا له شاكرين وسدد الله من أمعن في نقد كتابي بنصح فنبهني إلى أخطائي محرراً للحق مجرداً من سواه .

عبد الحسين شرف الدين

هذا وقد حاول عبد المتعال الصعيدي تصحيح ما أخطأ فيه فكتب مقالاً موجزاً جواباً للسيد، هذا نصه:

حول أبي هريرة^(١)

كتبت كلمة نقد لكتاب أبي هريرة سلكت فيها جادة الإنصاف ، ووضعت توجيهاً جديداً لدراسة أبي هريرة دراسة عادلة ، ولكن هذا لم يعجب صاحب الكتاب ، ولم يعجب بعض إخواننا من الشيعة ، فحملوا عليّ في بعض جرائدهم حملة ظالمة ، وقد ردّ عليّ صاحب الكتاب بكلمة في «الرسالة» لم يأت فيها بشيء نحو ذلك التوجيه الجديد في دراسة أبي هريرة ، ولم يجد فيما يأخذه عليّ إلا إسناد حديث دخول أبي هريرة على رقية إلى محمد بن خالد بن عثمان ، وقد كنت ذكرت معه بعض أسماء من كان يضع الأحاديث على أبي

هريرة، فسقط في الطبع بعض هذه الأسماء^(١)، وترتب على هذا إسناد ذلك الحديث إلى محمد بن خالد. والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه، وقد ورد هذا الحديث بروايتين في مستدرک الحاكم، جاء في إحداهما محمد بن أحمد بن سعيد الرازي، وهو من الضعفاء، والمطلب بن عبد الله، وهو من الضعفاء أيضاً، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وقد ضعفه النسائي والبخاري.

وجاء في الرواية الثانية عبد المنعم بن إدريس عن وهب بن منبه، وهو قصاص لا يعتمد عليه، وقد ذكر أحمد بن حنبل أنه كان يكذب على وهب بن منبه، وذكر البخاري أنه ذاهب الحديث.

فلم يبق إلا تصحيح الحاكم لسند هذا الحديث، ولا شك أن تصحيحه له يشمل أبا هريرة أيضاً، فلا يصح لصاحب كتاب أبي هريرة أن يعتمد عليه في رأيه فيه، وقد قال الحاكم عقب هذا الحديث: ولا أشك أن أبا هريرة رحمه الله تعالى روى هذا الحديث عن متقدم من الصحابة أنه دخل على رقية رضي الله عنها، لكتبي قد طلبته جهدي فلم أجده في الوقت، وهذا هو الإنصاف الذي يجب أن يدرس به أبو هريرة وغيره.

وقد جاءني من حضرة الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمجموني أنه وجد هذا الحديث في كتاب التاريخ الصغير للبخاري (ص ١٠٠) وأنه ذكر إسناده إلى المطلب بن عبد الله عن أبي هريرة، ثم قال: ولا يعرف للمطلب سماع من أبي هريرة، ولا تقوم به الحجة، فأعله بالانقطاع. وقد ذكر هذا الأستاذ الفاضل أن الحاكم يروي في كتبه ما لا يعقل، وقد طعن في بعض أحاديثه الإمام

١. نظن بالكاتب حسناً، لما ورد: ضع أمر أخيك على أحسنه.

السيوطي في كتابه (اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعية) وكذلك طعن فيه صاحب كتاب (الصارم المنكي). وذكر الشيخ عبد العزيز الخولي في كتابه (مفتاح السنة) أنّ في المستدرک للحاكم كثيراً من الموضوعات، وطعن فيه صاحب المنار في المجلد السادس منها، والشيخ طاهر الجزائري في كتابه (توجيه النظر إلى أصول الأثر).

وما كان أحرى صاحب كتاب أبي هريرة أن يتناول دراسته بهذا التوسع الذي يجده في دراسة هذا الحديث، ويثبت منه أنه موضوع على أبي هريرة، لا أنّ أبا هريرة هو الذي وضعه على النبي ﷺ.

عبد المتعال الصعيدي

وقد أجاب السيد على هذا التصحيح بمقال أكثر تفصيلاً وهذا نصّه:

أبو هريرة والصعيدي^(١)

كان الأستاذ عبد المتعال الصعيدي نشر - في العدد ٧١٥ من الرسالة الغراء - كلمة حول كتابنا «أبو هريرة» فأجبتنا بما نشرته الرسالة - في عددها ٧١٨ - جنحتنا في جوابه إلى الدعة لا نسأله عن شيء مما غلط به أو غلط فيه كالعصمة التي حمل بها حملته على غير روية، فإنّ العصمة من الذنوب - التي تثبتها الإمامية للأنبياء وأوصيائهم - شيء، والعصمة من الجرح المسقط لعدالة المجروح - التي يثبتها أهل السنة لكلّ صحابي - شيء آخر.

واليوم وإفاننا العدد ٧٢١ من الرسالة فإذا به يعترف بالغلط في نسبة وضع

١. مجلة الرسالة، العدد ٧٢٤، السنة ١٥، المورخة ١٩/٤/١٩٤٧م، الصفحة ٥٧٥.

الحديث إلى محمد العثماني المذكور فقال: والحقيقة أنه من وضع غيره لا من وضعه.

ثم ضعف سنده بما لا تنتزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح، على أنه لم يستند في تضعيفه إلى أئمة الجرح والتعديل وإنما أرسل تضعيفه كسائر مراسلاته.

ونحن نستند في تصحيحه إلى إمامين مسلمي الإمامة في الجرح والتعديل عند أهل السنة، حجّتين عندهم في السنن لا يدافعان، الحاكم في المستدرك، والذهبي في تلخيصه (ص ٤٨ من الجزء الرابع).

والأستاذ لا يجهد دأب الذهبي في تعقب الحاكم وإفراطه بتضعيف كثير من صحاح المستدرك وإسقاط بعضها بأقل شبهة، لكنّه مع ذلك لم يتعقبه في هذا الحديث بل صرح بصحته عن أبي هريرة. فقال: صحيح منكر المتن، فإن رقية ماتت وقت بدر وأبو هريرة أسلم وقت خيبر.

وما كان الذهبي ولا الحاكم مع حسن ظنهما بأبي هريرة ليثبتا عنه هذا الباطل لو وجدوا إلى حمله على غيره سبيلاً، لكنّها الأمانة لا يحمل وزرها إلا من (كان ظلوماً جهولاً).

وقد حاول الحاكم صرف الباطل عن أبي هريرة - كما جاء في كلمة الأستاذ - لكنّه لم يفلح.

نقل الأستاذ أنّ كلاً من الإمام السيوطي و الشيخ الخولي وصاحب المنار والشيخ الجزائري طعنوا في بعض أحاديث المستدرك ونحن نقول: إنهم طعنوا في البعض من حديثه، لكنهم لم يذكروا هذا الحديث بسوء، ولو كان ضعيفاً لنتهبوا إلى ضعفه، ولو كان من الأحاديث الموضوعة لنظمه السيوطي وغيره في

سلك الموضوعات، ما علمنا أحداً من أئمة الحديث فعل ذلك .

أما ما نقله الأستاذ عن الفاضل الجمجوني - من انقطاع الحديث، لأن المطلب بن عبد الله لا يعرف له سماع عن أبي هريرة - ففيه نظر، وقد قيل: إن الذي لم يدرك أبا هريرة إنما هو المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب، وراوي الحديث إنما هو المطلب بن عبد الله بن حنطب، فهما - على الأصح - اثنان يروي الأول منهما عن أنس وجابر وابن عمر وعائشة وأبي هريرة، وروى عنه الأوزاعي وعمرو بن أبي عمر، وقد وثقه أبو زرعة والدارقطني وحديثه ثابت في السنن الأربعة وغيرها .

وهب أنا صرفنا النظر عن هذا الحديث ولوازمه الباطلة فما رأي الأستاذ وسائر المنصفين فيما يلزم أبا هريرة من أحاديثه الثابتة عنه في الصحيحين؟ وحسبهم منها ما اشتمل عليه كتابنا «أبو هريرة» في جميع فصوله فليمعن به الأستاذ، وليدع توجيهه الجديد جانباً وليسلك جادة العلماء المنصفين ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ والذي دعانا إلى هذا إنما هو الذود عن السنة المقدسة والغيرة على الإسلام والمسلمين بتمحيص الحق المتصل بحياتنا العلمية والعقلية اتصالاً مباشراً، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت .

صور - لبنان

عبد الحسين شرف الدين

وبذلك تمت التقود والردود الأربعة ولكن الأستاذ الصعيدي حاول أن يحرز الفوز في هذه المساجلة، فكتب رسالة مختصرة هذا نصّها:

كلمة أخيرة في أبي هريرة^(١)

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد الحسين شرف الدين في العدد ٧٢٤ من مجلة الرسالة، فوجدته يدعي أننا معشر أهل السنة نذهب إلى عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعدالة المجروح، وهذا ليس بصحيح، لأنَّ العصمة خاصة عندنا بالأنبياء، وعدالة الصحابة عندنا لا ترجع إلى عصمتهم، لأنه يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم، وإنما ترجع إلى ما كان من تحرزهم في دينهم، وما يأخذه أخواننا من الشيعة عليهم يرجع إلى رأيهم في الخلافة، ومثل هذا لا تسقط به عدالة.

ثمَّ وجدته يعود إلى حديث دخول أبي هريرة على رقية، وإلى تصحيح الحاكم لسنده، مع أنَّ البخاري أعله بالانقطاع، ومع أنَّي أثبت له ضعف هذا السند في روايتي الحاكم، واعتمدت في هذا على كتاب ميزان الاعتدال للذهبي، وقد ذكر الأستاذ أنَّي ضعفت هذا السند بما لا يتنزه عن مثله أسانيد كثير من الصحاح، وفاته أنه يكفر أبا هريرة بهذا الحديث ويتهمه بوضعه، ولا يصحَّ تكفير مثل أبي هريرة إلا إذا لم يكن مطعن ما على غيره، فإذا كان هناك مطعن ما على غيره لم يصحَّ تكفيره، لأنَّ التكفير لا يثبت إلا بقاطع فيه.

على أنَّ تصحيح الحاكم لسند ذلك الحديث لا يفيد الأستاذ فيما يريد من إثبات وضعه، ومن أنَّ واضعه أبو هريرة، لأنَّ الحديث الذي يصحَّ سنده دون متنه لا يكون موضوعاً، وإنما يكون في متنه غلط أو نحوه، كما تقرر هذا

في علم مصطلح الحديث، أما طلب الأستاذ أن ينظر في غير هذا الحديث من كتابه فيمنع منه أن مجلة الرسالة لا تتسع له.

عبد المتعال الصعيدي

وقد قمت بوظيفة الأمانة في نقل المقالات نقداً ورداً ولكن بما أن الحقيقة بنت البحث نعلق على المقال الأخير للأستاذ عبد المتعال الصعيدي حتى يتضح أن ما أنكره من عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعذالة المجروح من الأصول الثابتة عند غير واحد من رجال الجرح والتعديل.

١. إن إنكار عصمة الصحابة من الجرح المسقط لعذالة المجروح، في غير محلّه، وهذا هو ابن الأثير يقول: «والصحابه يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلا في الجرح والتعديل، فإنهم كلهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح»^(١)

وقال الحافظ ابن حجر في الفصل السادس من الإصابة، نقلاً عن زرعة: إذا رأيت الرجل يتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنما أدى إلينا ذلك كلّ الصحابة وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة.^(٢)

٢. إن جرح الراوي سواء أكان صحابياً أم لا، لا يمت إلى تكفيره بصلة، فإن التكفير يتعلق بإنكار التوحيد ورسالة النبي الخاتم واليوم الآخر، وأما

١. أسد الغابة: ٣/٢.

٢. الإصابة: ١٧/١.

القول بأنّ (فلان) الصحابي، كذب على رسول الله، فلو كان صادقاً وكان الجرح بنية سليمة كان مأجوراً، لأنه عرّف للأوساط العلمية من يجب التحرز عنه في أخذ معالم الدين وفروعه وأصوله. وإن كان كاذباً في جرحه يُعدّ مأثوماً ويعاقب على كذبه.

فالتركيز على أنّ السيد شرف الدين بصدّد تكفير أبي هريرة أمر خاطئ ويعيد عن الصواب. وقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «كثرت الكذابة عليّ»^(١) ووصف عدة ممن كان حوله بالكذابة فهل كفرهم النبي ﷺ؟

دفاع عن الحقّ والحقيقة

انتقل العلمان الجليلان: الأستاذ عبد المتعال الصعيدي، والإمام شرف الدين إلى رحمة الله الواسعة ولا نظنّ بهما إلّا خيراً، ولا نقول فيما تبادلاه من المساجلات، إلّا أنّه محاولة لنصرة الحقّ، وكشف لوجه الحقيقة، فللمصيب منهما أجران وللمخطئ أجر واحد.

وانطلاقاً من هذا المبدأ، - وشهيدي الله - نذكر وثائق قيّمة تُثبت بوضوح، أنّ الحقّ مع الإمام شرف الدين وأنّ أبا هريرة لم يكن راوياً متبثّاً، متحرزاً عن القول بغير علم، ولا مكترثاً عن نسبة قول إلى النبي الأعظم مع عدم سماعه منه، أو سماعه من غيره، وربما كان يعتذر عن بعض زلاته وغفلاته بأنّه من كيس أبي هريرة لا من النبي الأعظم، غفر الله لنا وله. وإليك تلك الوثائق:

١. أخرج غير واحد من المؤرّخين والمحدّثين، عن السائب بن يزيد أنّه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتترك الحديث عن رسول الله وإلّا لألحقنك بأرض

الدوس. (١)

وقال لكعب: لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة. (٢)

لم يكن الخليفة مانعاً عن التحديث بقله، ولذلك كان يقول: «أقلوا الرواية عن رسول الله»، وإنما خالف أبو هريرة في تكثيره.

٢. روى ابن عجلان أن أبا هريرة، كان يقول: إنني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر، لشج رأسي.

٣. روى الشعبي قال: حدث أبو هريرة فسرده عليه سعد حديثاً، فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الأبواب.

٤. روى إسحاق بن سعيد، عن أبيه قال: دخل أبو هريرة على عائشة، فقالت له: أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: أي والله يا أمّاه، ما كانت تشغلني عنه المرأة، ولا المكحلة، ولا الدهن، قالت: لعله.

٥. لما أرادوا أن يدفنوا الحسن في الحجرة النبوية وقع خصام.

قال الوليد بن رباح: سمعت أبا هريرة يقول لمروان: والله ما أنت وال، وإن الوالي لغيرك، فدعه - يعني حين أرادوا دفن الحسن ﷺ مع رسول الله ﷺ - ولكنتك تدخل فيما لا يعينك، إنما تريد إرضاء من هو غائب عنك - يعني معاوية -.

فأقبل عليه مروان مغضباً، وقال: يا أبا هريرة، إن الناس قد قالوا أكثر أبو هريرة الحديث عن رسول الله ﷺ وإنما قدم قبل وفاته بيسير. (٣)

٦. أخرج البخاري عن أبي صالح، قال: حدثني أبو هريرة، قال: قال النبي

١ و ٢. سير أعلام النبلاء: ٦٠١/٢.

٣. سير أعلام النبلاء: ٦٠٥/٢.

ﷺ: أفضل الصدقة ماترك غني، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني.

ويقول العبد: اطعمني واستعملني.

ويقول الابن: اطعمني إلى من تدعني؟

فقالوا: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ﷺ ١٩

قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة.^(١)

ورواه الإمام أحمد في مسنده باختلاف طفيف في اللفظ.^(٢)

انظر إلى الرجل ينسب في صدر الحديث السرواية إلى النبي ﷺ بضرس قاطع، ولكنه عندما سُئل عن سماع الحديث من رسول الله ﷺ عدل عما ذكره أولاً، وصرح بأنه من كيسه الخاص أي من موضوعاته.

وبعد هذا فهل يصحّ توثيقه!؟

هذه النصوص تعرب عن أنّ الرجل كان متهماً في عصره، وإن كان هو يترز عمله بأنّ الآخرين كانوا منشغلين بالصفق في الأسواق أو بالمرأة والمكحلة والدهن، ولكن كان في القوم من لم يكن له ذلك الشأن، كعلي بن أبي طالب ﷺ وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو، إلى غير ذلك من أقطاب الحديث، الذين كان لهم شغف بنقل الحديث وضبطه وتحديثه، ومع ذلك لم يبلغ حديث أكثرهم معشار ما نقله أبو هريرة.

كان أبو هريرة يجلس إلى حجرة عائشة فيحدث، ثم يقول: يا صاحبة

١. صحيح البخاري: ٧/٦٢، ٦٣، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال من كتاب النفقات.

٢. مسند أحمد: ٢/٢٥٢.

الحجرة، أنتكرين مما أقول شيئاً؟

فلما قضت صلاتها، لم تُنكر ما رواه، لكن قالت: لم يكن رسول الله ﷺ يسرد الحديث سردكم.

وكذلك قيل لابن عمر: هل تنكر مما يحدث به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنه اجترأ، وجبناً.

فقال أبو هريرة: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا. ^(١)

قال ابن عساکر: إنَّ رجلين من بني عامر دخلا على عائشة، فقالا لها: إنَّ أبا هريرة يقول: إنَّ الطيرة في الدار والمرأة والفرس، فقالت: كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم ﷺ ما قاله إنَّما قال: كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك. وعن عائشة إنَّها قالت لأبي هريرة: إنك تحدث عن رسول الله أشياء ما سمعتها منه؟! فقال لها مجيباً: إنَّه كان يشغلك عن تلك الأحاديث، المرأة والمكحلة. ^(٢)

هذه النصوص توفِّقك على حقيقة الحال وإنَّ الرجل كان متبهماً في روايته في عصره، ولكن القول بعدالة الصحابة وترفعهم عن الجرح والتعديل حال بين المحققين والتحقيق في رواياته ومروياته، ولولا ذلك لما أخذوا بكثير مما عزاه إلى النبي ﷺ.

التحديث بنصف ما حفظه

يظهر ممَّا رواه أبو هريرة أنه إنَّما حدَّث بنصف ما وعاه عن النبي ﷺ وحبس النصف الآخر لأنَّ الظروف لم تساعد له.

١. سير أعلام النبلاء: ٦٠٧/٢.

٢. مختصر تاريخ ابن عساکر: ٢٩/١٩٥-١٩٦.

روى البخاري، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: حفظت من رسول الله وعامين، فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته قطع هذا البلعوم.^(١) فلو أسعفته الظروف وحدث بالنصف الآخر، لبلغت أحاديثه عشرة آلاف.

التدليس في الحديث

قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة، يقول: كان أبو هريرة يدلس. وذكره ابن عساكر في تاريخه والحافظ ابن كثير في البداية.^(٢) ولما كانت شهادة شعبة تحطُّ من مكانة أبي هريرة عاد الذهبي ناقضاً للقاعدة، فقال:

قلت: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم، والصحابة كلهم عدول.

وأنت خير بأن التدليس من أسباب الضعف، فكيف صار هناك من أسباب الفخر، حيث قال: إن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم. وقد أشار الحافظ ابن كثير في البداية إلى تفسير كلام شعبة، بقوله: وكان شعبة يشير بهذا إلى حديث: «من أصبح جنباً فلا صيام له» فإنه لما عوتب عليه، قال: أخبرني به مخبر ولم أسمع من رسول الله ﷺ.

وأبي تدليس كان أعظم من ذلك؟ بل كان ينسب ما سمعه من كعب الأحرار إلى النبي ﷺ، وهو من أسوأ التدليسات، وها نحن نوقفك على نموذج من هذا النوع من التدليس الذي كان يرتكبه أبو هريرة.

روى الطبري عن أبي نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة، قال: بينا

١. صحيح البخاري: ٣١/١، باب حفظ العلم من كتاب الايمان.

٢. انظر سير أعلام النبلاء: ٦٠٨/٢، قسم التعليق.

ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس سمعت العجب من كعب الحبر يذكر في الشمس والقمر.

قال: وكان متكئاً فاحتفز، ثم قال: وما ذلك؟ قال: زعم أنه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيُقدفان في جهنم.

قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شفة ووضعت أخرى غضباً، ثم قال: كذب كعب، كذب كعب، كذب كعب، ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ إنما يعني دؤوبهما في الطاعة، فكيف يعذب عبدين يُنسي عليهما اتها دائبان في طاعته؟! قاتل الله هذا الحبر وقبح حبريته، ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدین المطيعين لله.

قال: ثم استرجع مراراً وأخذ عُويداً من الأرض فجعل ينكته في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله، ثم إنه رفع رأسه ورمى بالعويد، فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما فقلنا: بلى رحمك الله.... (١)

وهذا النسج الخرافي للقصة التي حاكتها نخيلة كعب وأضرابه، رواها أبو هريرة مباشرة عن النبي ﷺ.

روى ابن كثير في تفسير سورة التكويد:

حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، عن عبد الله الداناج، قال: سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد، مسجد الكوفة، وجاء الحسن

فجلس إليه، فحدث، قال: حدثنا أبو هريرة: إن رسول الله ﷺ قال: إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة، فقال الحسن: وما ذنبهما؟

فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول أحسبه، قال: وما ذنبهما. (١)

ترى أن حديثاً واحداً يرويه رجل عن كعب، وفي الوقت نفسه يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ، فيما أن كعباً لم يدرك النبي ﷺ لم يستطع أن ينسبه إليه، وبما أن أبا هريرة أدرك عصر الرسالة أخذ بالتدليس فنسب ما سمعه عن كعب إلى النبي ﷺ. وأي تدليس أسوأ من ذلك؟ وليس هذا إلا من مقولة الكلب المنافي للعدالة.

ومما يقضى منه العجب ما ذكره أبو جعفر الطحاوي لتصحیح هذا الأثر حيث قال: إن الشمس والقمر كالملائكة المؤكّنين لأهل النار، معدّبان لأهل النار لا معدّبان فيها، إذ لا ذنوب لهما. (٢)

يلاحظ عليه: أن التفسير خلاف ما فهمه المخاطبون بهذا الحديث، مضافاً إلى أنه لا يناسب قوله: «عقيران» وما العقر إلا لتعذيبها.

وحيث إن أهل السنّة ذهبوا إلى عدالة الصحابة بأجمعهم أخذوا بروايات أبي هريرة وأمثاله دون أدنى تحقيق، وإذا فنشوا عن اسناد الرواية فإنما يفتشون عمّن ورد اسمه قبل الصحابة، فإذا وصل الكلام إليهم يكسر القلم ويضبط اللسان فلا كلام فيهم وإن صدر عنهم ما صدر.

وفي الختام، ندعو كل من يكتب حول فرقة أو فئة من المسلمين، أو في موضوع من المواضيع الإسلامية، أن يفكر في نتائج ما يكتب وينشر، وهل هو في صالح المسلمين أو لا؟ ومع ذلك فتمحيص الحديث النبوي من أفرض

الفرائض، وقد وقع ذريعة بأيدي المستشرقين للطعن بالنبي الخاتم ﷺ وشريعته وسننه.

وقد قام السيد ﷺ بهذا العبء الثقيل في إطار خاص، وهو بذلك قد فتح الطريق للآخرين.

نسأل الله سبحانه أن يرزق المسلمين توحيد الكلمة، كما رزقهم كلمة التوحيد.

وشهد شاهد من أهلها

قد عثرت أخيراً على كتاب بعنوان: «نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث» للكاتب السوري: إسماعيل الكردي والذي طرح بعض ما روي عن أبي هريرة على طاولة البحث، وأدى حق المقال ونحن نذكره برمته، ليكون حجة لمن يتهم الشيعة، بالحقق وهل له أن يتهم كل من كتب حول روايات أبي هريرة من تمحيص ونقد، بالحقق؟ قال:

١. أبو هريرة وروايته عن كعب الأخبار وتدليسه عنه

لقد مرّ معنا ما ذكره بعض المحدثين، ومنهم الإمام البيهقي والإمام البخاري، في ردّهم لحديث «خلق الله التربة يوم السبت» الذي أخرجه مسلم، بسنده عن أبي هريرة مرفوعاً، حيث قالوا: إن الصحيح أنه موقوف على كعب^(١)

١. أي كعب الأخبار الذي كان من أحبار اليهود في اليمن، ثم دخل في الإسلام بعد وفاة النبي، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر، فجالس أصحاب محمد فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، وعن تعلمه عليه، وأخذ عنه أخبار أهل الكتاب: أبو هريرة وابن عباس، (سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٤٨٩-٤٩٠). وكان عمر ينهيه عن التحديث، ويهدده بإرجاعه لأرض القردة (أي اليمن التي جاء منها)!

وأته غلط، ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي، وأنه مما أنكر الخذاق على مسلم إخراج إياه^(١). فيبدو أن مثل هذا حدث كثيراً عمن رواوا عن أبي هريرة، أي أنه روى قصصاً وأحاديث سمعها من بعض مسلمة أهل الكتاب ككعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما، فظن السامع منه والراوي عنه أنه سمعها عن رسول الله!

وقد ذكر الحافظ الذهبي (٧٤٨هـ) في موسوعته الرجالية الضخمة «سير أعلام النبلاء» في ترجمته لأبي هريرة ما نصه: «وقال بكير ابن الأشج عن بسر بن سعيد قال: اتقوا الله، وتحفظوا في الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله، ويحدثنا عن كعب (أي اليهودي المسلم كعب الأحبار)، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا، يجعل حديث رسول الله عن كعب، ويجعل حديث كعب عن رسول الله!»^(٢).

وقال محقق «سير أعلام النبلاء» الأستاذ شعيب الأرنؤوط معلقاً على هذا الخبر في الحاشية: «أورده ابن كثير في البداية والنهاية: ج ٨/ ص ١٠٩^(٣)، من طريق مسلم بن الحجاج، عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن مروان بن محمد بن حسان الدمشقي عن الليث بن سعد عن بكير بن الأشج. وهذا سند صحيح. وهو في تاريخ ابن عساکر: ١٩/١٢١/٢. ٤هـ.

وبعد أن روى ابن كثير تلك الرواية أتبعها بقوله: «وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلّس، أي يروي ما سمعه من كعب وما

١. راجع الفصل الخامس (أحاديث انتقد محدثون حفاظ متونها): الحديث الثاني: خلق الله التربة يوم السبت.

٢. سير أعلام النبلاء: ج ٢، ترجمة أبي هريرة، ص ٦٠٦.

٣. وهو في الطبعة التي أرجع إليها من البداية والنهاية: ٨/١١٢. [بيروت: دار الكتب العلمية].

سمعه من رسول الله ولا يميز هذا من هذا، ذكره ابن عساكر^(١).
 إنَّ وصم شُعْبَةَ أَبِي هُرَيْرَةَ بالتدليس، أخرجه عنه مسنداً: «ابن عدي
 الجرجاني» (المتوفى ٣٦٥هـ) في كتابه: «الكامل في ضعفاء الرجال» في أثناء ترجمته
 للإمام الحافظ شعبة، قال: أخبرنا الحسن بن عثمان التستري، أخبرنا سلمة بن
 شبيب قال: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس^(٢).
 والمشهور والمتعارف عليه عرفاً وتقليداً أنَّ تدليس الصحابي لا إشكال فيه،
 لأنه لا يدلس إلا عن صحابي مثله، ولكن لا يخفى ما في تعميم هذه القاعدة من
 إشكال، لا سيما هنا، فقد رأينا كيف ذكر ابن كثير - في البداية والنهاية - أنَّ
 تدليس أبي هريرة كان روايته للأحاديث وسرده للأخبار دون تمييزه لما سمعه من
 كعب الأخبار عما يرويه عن رسول الله! فينقل عنه الرواة أحاديث يظنونها عن
 النبي هي من حديث كعب!!



ومن الأمثلة على ذلك، ما أخرجه الترمذي وابن ماجه في سنتهما والإمام
 أحمد في مسنده، بسندهم عن أبي هريرة عن رسول الله قال - و اللفظ لأحمد
 في مسنده - : «إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ لِيَحْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ
 شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِم: ارْجِعُوا، فَسْتَحْفَرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ كَأَشَدَّ
 مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتَهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى
 إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِم: ارْجِعُوا، فَسْتَحْفَرُونَهُ غَدًا إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ، فَيَسْتَنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَحْفَرُونَهُ،

١ - البداية والنهاية لابن كثير: ١١٢/٨.

٢ - الكامل في ضعفاء الرجال: ١/٦٨. (ط ٣، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م).

ويخرجون على الناس، فينشفون المياه، ويتحصن الناس منهم في حصونهم ... الحديث». (١)

ذكر الحافظ ابن كثير هذه الرواية عن أبي هريرة بطرقها المختلفة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَعْمُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (الكهف: ٩٧-٩٨)، في تفسيره المعروف، وبعد نقله قول الترمذي عن الحديث بأنه غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه، قال (ابن كثير): «وإسناده جيد قوي، ولكن منته في رفعه (أي إلى النبي) نكارة، لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه، ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأخبار أنهم قبل خروجهم يأتونه، فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون غداً نفتحك. فيأتون من الغد، وقد عاد كما كان يلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل. إلخ، (ثم قال ابن كثير): وهذا متجه، ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب، فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه، ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع (أي عن النبي) فرفعه، والله أعلم». (٢)



ومثال آخر، ما أخرجه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره، وذكره ابن كثير في تفسيره بقوله: «وقد أورد ابن أبي حاتم (أي في تفسيره) هاهنا حديثاً غريباً منكرأً فذكروا حديثاً بسند متصل عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يحكي عن موسى على المنبر قال: «وقع في نفس موسى هل ينام

١. مستد أحمد: ٢/٥١٠-٥١١.

٢. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ٣/١٠٢، (طبع الرياض، دار عالم الكتب).

الله عزّ وجلّ؟ فأرسل الله تعالى إليه ملكاً، فأرّقه ثلاثاً، وأعطاه قارورتين، في كلّ يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما. فجعل ينام، وتكاد يدها تلتقيان، ثمّ يستيقظ، فيحبس إحداهما عن الأخرى، حتى نام نومةً، فاصططقت يدها، فانكسرت القارورتان! (١).

قال الحافظ ابن كثير بعد روايته هذا الحديث: «والظاهر أنّ هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيليات المنكرة. فإنّ موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوّز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز بأنّه ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ...» (٢).

ومثال ثالث، ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده عن أبي هريرة أنّ رسول الله قال: «يخرج من خراسان رايات سود، لا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء» (٣). فقد ذكر ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية» هذا الحديث، عند ذكره لما جاء من أحاديث أو أخبار مأثورة عن سقوط دولة بني أمية وقيام دولة بني العباس، نقلاً عن مسند أحمد، ثمّ قال: «وقد رواه البيهقي في الدلائل (أي دلائل النبوة) من حديث راشد بن سعد المصري. وهو ضعيف. ثمّ قال: قد روي قريباً من هذا عن كعب الأحبار وهو أشبه. ثمّ رواه عن كعب أيضاً، قال:

١. كلهم عند تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُغْسِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ الآية ٤١ من سورة فاطر، فانظر تفسير ابن كثير: ٣/٥٣٨-٥٣٩. وقد ذكره ابن كثير أيضاً ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ من آية الكرسي (أي الآية ٢٥٥) من سورة البقرة كذلك.

٢. المصدر السابق: ٣/٥٣٩.

٣. مسند أحمد: ٢/٣٦٥.

تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا بالشام، ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم! (١)

ب. مأخذ عدد من الصحابة على كثرة رواية أبي هريرة لما يوقعه ذلك في أوهام وأخطاء في بعض ما يرويه

ثبت في الصحيح أنّ عدداً من الصحابة ردّوا على أبي هريرة بعض ما رواه، ووهّموه في روايته، أو خطّوه في فهمه في أكثر من موضع:

١. من ذلك ما جاء في صحيح مسلم أنّ عائشة وأمّ سلمة غلّطنا أبا هريرة في حديث كان يرويه عن رسول الله، فلما واجهه بعض التابعين بذلك صرّح بآته لم يكن سمع ذلك الأمر من رسول الله حقيقة، بل سمعه من الفضل بن العباس! وهذه هي الرواية:

أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: [سمعت أبا هريرة يقص، يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم. (٢) فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك. فانطلق عبد الرحمن، وانطلقت معه. حتى إذا دخلنا على عائشة وأمّ سلمة، فسألها عبد الرحمن عن ذلك. قال: فكلتاها قالت: «كان النبي يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم». قال فانطلقنا

١. البداية والنهاية لابن كثير: ١٠/٦٧. (طبعة دار أبي حيان بالقاهرة، على نفقة الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم). وفي طبعة بيروت: ١٠/٥١.

٢. وأورد البخاري في صحيحه - في رواية معلقة عن همام وعبد الله بن عمر - كلام أبي هريرة هذا بصيغة صريحة في رفعها للرسول فقال: [وقال همام وابن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة: «كان النبي يأمر بالفطر»]: صحيح البخاري: ٣٠، كتاب الصوم، ٢٢، باب الصائم يصبح جنباً، ح ١٩٢٦.

حتى دخلنا على مروان. فذكر ذلك له عبد الرحمن. فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة، فرددت عليه ما يقول. قال: فجننا أبا هريرة، وأبو بكر حاضر ذلك كله، قال فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم. قال: هما أعلم!

ثم ردّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس. فقال أبو هريرة: سمعت ذلك من الفضل، ولم أسمعه من النبي. قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك. (ثم قال الراوي أبو بكر) قلت لعبد الملك: أقالنا: في رمضان؟ قال: كذلك. كان يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم.^(١)

٢. ومن ذلك ما مرّ منّا من إقلاع أبي هريرة عن رواية حديث «لا عدوى» وروايته لما يخالفه، ويثبت العدوى!، فلما استغرب بعض سامعيه من ذلك، وقالوا له ألم تكن تروي أنت نفسك أن لا عدوى؟! أنكر ذلك، ووطن بالحيشية، فاستغربوا منه إنكاره روايته رغم أنهم سمعوها منه، وقالوا: إنها أول مرة نجده فيها نسي!^(٢)

٣. ومنه ما مرّ منّا من ردّ السيدة عائشة حديث تعذيب الميت المسلم ببيكاه أهله عليه ومن رواته أبو هريرة فضلاً عن عمر و ابنه عبد الله.

٤. ومنه أيضاً ما مرّ منّا من ردّ عائشة بشدة لحديث أبي هريرة مرفوعاً: «يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب» وقولها: «قد شبهتمونا بالخمير والكلاب!!»

١. صحيح مسلم، ١٣، كتاب الصيام، ١٣، باب صحة صيام من طلع عليه الفجر وهو جنب، ح ٧٥؛ صحيح البخاري، ٣٠، كتاب الصوم، ٢٢، باب الصائم يصبح جنباً، ح ١٩٢٦.

٢. راجع الفصل الرابع: (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين): فقرة هل نفى رسول الله العدوى أم أثبتها؟ من هذا الكتاب.

وفي رواية للبخاري: «قد جعلتمونا كلاباً!!»^(١)

٥. و منه ما مرّ من ردّ عائشة رواية أبي هريرة التي نقل فيها عن النبي ذمه للشعر مطلقاً وقوله: «لئن يمتلئ جوف رجل قيحاً حتى يَريه خيرٌ من أن يمتلئ شعراً!».^(٢)

٦. وقد روي عن السيدة عائشة أيضاً أنها ردّت رواية أبي هريرة عن رسول الله عن أنّ الشؤم في المرأة والدابة والدار!^(٣)

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (ج ٦، ص ٢٤٦) بسنده عن قتادة عن أبي حسان الأعرج، أنّ رجلين دخلا على عائشة فقالا: إنّ أبا هريرة يحدث أنّ نبي الله كان يقول: «إنّما الطيرة في المرأة والدابة والدار» قال: فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما كان هكذا يقول، ولكن نبي الله كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة» ثم قرأت عائشة: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» (الحديد: ٢٢).

٧. وروي كذلك عن عائشة أنها ردّت ما رواه أبو هريرة عن رسول الله بشأن ولد الزنا وأنه هو شرُّ الثلاثة، أي: شرُّ من أبويه!! فقد أخرج الحاكم في مستدرکه (كتاب الأحكام، ج ٤، ص ١٠٠) بسنده: حديثين عن أبي هريرة قال: «سئل النبي عن ولد الزنا؟ فقال: هو شر الثلاثة!».

١. راجع الفصل الرابع: (مختلف الحديث ومتعارضه في الصحيحين): فقرة ٨.

٢. هذا الحديث أخرجه الشيخان وأصحاب السنن عن عبد الله بن عمر، كما في صحيح البخاري: ٧٦،

كتاب الطب، ٤٤، باب الفأل، الحديث رقم ٥٧٥٥ و ٥٤ باب لا عدوى، الحديث ٥٧٧٢؛

صحيح مسلم، ٣٩، كتاب السلام، ٣٤، باب الطيرة والفأل، الحديث ١١٥-١١٦.

فخطأت عائشة روايته هذه، كما ذكر ذلك الزركشي في الإجابة^(١) (ص ١٠٨-١٠٩) وكما أخرجه الحاكم في مستدركه في الباب نفسه (ج ٤، ص ١٠٠) بسنده عنها قالت: قال رسول الله: «ليس على ولد الزنا من وزر أبويه شيء» ﴿وَلَا تَزُرُ وَاِزْرَهُ وَزُرَ أُخْرَى﴾. وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الحافظ الذهبي على ذلك في التلخيص، ذيل المستدرك.

وقد أخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن عمرو بن الزبير عن (خالته) عائشة رواية أشمل في ذلك توضح منبع وهم أبي هريرة فقال:

[بلغ عائشة أنّ أبا هريرة يقول: إنّ رسول الله قال: لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق ولد الزنا، وأنّ رسول الله قال: ولد الزنا شر الثلاثة، وإنّ الميت يُعذّب ببكاء الحي.

فأقلت عائشة: رحم الله أبا هريرة: أساء سمعاً، فأساء إصاًبة.

أما قوله: لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أعتق ولد الزنا: إنّها لما نزلت: ﴿فَلَا أَقْتَحِمَ الْعَقِبَةَ * وَمَا أَدْرِيكَ مَا الْعَقِبَةُ * فَكُ رَقَبَةً﴾ قيل: يا رسول الله: ما عندنا ما نعتق، إلّا أنّ ألدنا له جارية سوداء تخدّمه، وتسعى عليه، فلو أمرناهن فزنتين، فجئن بالأولاد، فأعتقناهن؟ فقال رسول الله: «لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحب إليّ من أن أمر بالزنا، ثم أعتق الولد».

وأما قوله: ولد الزنا شر الثلاثة، فلم يكن الحديث على هذا إنّما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله فقال: «مَنْ يعلدني من فلان؟» قيل: يا رسول الله: (إنّه) مع ما به ولد زنا، فقال: «هو شر الثلاثة!» (أي لأنّه منافق، لا لأنّه ولد

١. الإجابة لإيراد ما استدركه عائشة على الصحابة: ص ١٠٨-١٠٩، عني بتحقيقه سعيد الأفغاني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

زنا)، والله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾^(١).

٨. وأنكر عليه ابن مسعود قوله: «من غسل ميتاً فليغتسل، ومن حملة فليتوضأ» وقال فيه قولاً شديداً، وقال: يا أيها الناس! لا تنجسوا من موتاكم.^(٢)

ولعل أوهام أبي هريرة الكثيرة هذه هي التي تفسر كلام الزبير بن العوام عن روايات أبي هريرة الذي رواه عنه ابن كثير في تاريخه: «البداية والنهاية» فقال: «وقال ابن خيثمة: حدثنا هارون بن معروف، ثنا محمد بن سلمة، ثنا محمد بن إسحاق عن عمر أو عثمان بن عروة عن أبيه - يعني عروة بن الزبير بن العوام - قال: قال لي أبي الزبير ادنني من هذا البياني - يعني أبا هريرة - فإنه يكثر الحديث عن رسول الله، قال: فأدنيته منه، فجعل أبو هريرة يمدح، وجعل الزبير يقول: صدق، كذب، صدق، كذب. قال: قلت: يا أبي ما قولك: صدق، كذب؟ قال: يا بُنيّ أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله فلا أشك، ولكن منها ما يضعه على مواضعه، ومنها ما وضعه على غير مواضعه».^(٣)

ويبدو أنّ هذا هو ما كان عمر يخشاه عندما كان ينهى أبا هريرة عن الرواية عن رسول الله كما أخرج ذلك عنه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (١٤٧٥)، وأورده الذهبي في سير أعلام نبلائه، من طريق محمد بن زرعة الرعييني، حدثنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن السائب بن يزيد، سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس!»، وقال لكعب (أي كعب الأحبار):

١. مستدرک الحاکم: ٥/ ٢١٥، بسند صحيح، وأقره على تصحيحه الذهبي في التلخيص.

٢. كتاب جامع بيان العلم وفضله للمحافظ ابن عبد البر القرطبي: ٢/ ١٠٥، (بيروت: دار الفكر).

٣. البداية والنهاية: ٨/ ١١٢.

لتتركّن الأحاديث، أو لألحقنك بأرض القردة»^(١).

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» بعد أن أورد هذا الخبر: «وهذا محمول من عمر على أنه خشي من الأحاديث التي قد تضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتكلمون على ما فيها من أحاديث السرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ، فيحملها الناس عنه، أو نحو ذلك»^(٢).

ثم ذكر الذهبي [في سير أعلام النبلاء: ٢/٦٠١]: عن يحيى بن أيوب، عن ابن عجلان: أن أبا هريرة كان يقول: «إني لأحدّث بأحاديث، لو تكلمتُ بها في زمن عمر لشجَّ رأسي»^(٣).

قال العلامة محمد رشيد رضا معلقاً على ذلك: «أقول: فلو طال عمر عمر

١. قال الأستاذ شعيب الأرنؤوط في حاشية تعليقاته على «سير أعلام النبلاء» للذهبي (ج ٢، ص ٦٠١) بعد ذكره هذه الرواية: «وهذا إسناد صحيح، محمد بن زرعة قال أبو زرعة في تاريخه: ٢٨٦/١: ثقة حافظ من أصحاب الوليد بن مسلم مات سنة ست عشرة ومائتين، ومروان بن محمد هو الطاطري: ثقة كما في التقريب، وباقى السند من رجال الصحيح. وروى ذلك عن عمر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمته لأبي هريرة (ج ٢، ص ٦٠١) وكذلك ابن كثير في «البداية والنهاية» (ج ٨، ص ١١٠) وفي طبعة أخرى في (ج ٨، ص ١٠٦) وتصحّف في سنده إسماعيل بن عبيد الله إلى عبد الله، وهو في تاريخ دمشق لابن عسّكر (١٩/١١٧/٢) (أفاده الأستاذ أرنؤوط).

٢. البداية والنهاية: ٨/١١٠ (بيروت: دار الكتب العلمية).

٣. وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب، ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع، لأن ابن عجلان لم يسمع من أبي هريرة، وفي المصنف لابن عبد السزّاق الصنعاني (٢٠٤٩٦): «أخبرنا عبد الرزّاق عن معمر عن الزهري قال: قال أبو هريرة لما ولي عمر، قال: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به، قال: ثم يقول أبو هريرة: «أفإن كنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذا لأفيت المخففة شباشر ظهري» [أفاده الأستاذ الأرنؤوط في تعليقه على سير الأعلام].

حتى مات أبو هريرة في عصره لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة عنه ومنها
٤٤٦ حديثاً في البخاري، ما عدا المكرر.^(١)

وقال ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) راداً على طعن النظام المعتزلي بأبي
هريرة: «وأما طعنه على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلي وعائشة له فإن أبا
هريرة صحب رسول الله نحواً من ثلاث سنين، وأكثر الرواية عنه، وعمر نحواً من
خمسين سنة....»

فلما أتى من الرواية عنه، ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه
والسابقين الأولين إليه، اتهموه، وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟
ومن سمعه معك؟ وكانت عائشة أيضاً أشدّهم إنكاراً عليه لتناول الأيام بها
وبه. وكان عمر أيضاً شديداً على من أكثر الرواية... إلخ.^(٢)

هذا، ومن الجدير بالذكر، أن نقدَ أبي هريرة على كثرة روايته أو تكذيبه في
بعضها، لما يقع فيها من وهم منه أو نقل خاطئ، لم يقتصر على عمر أو عائشة أو
الزبير، بل كان عاماً بين عديد من الصحابة، كما يبدو من هذا الحديث التالي
الذي أخرجه مسلم في صحيحه: قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو
كريب (واللفظ لأبي كريب) قال: حدثنا ابن إدريس عن الأعمش، عن أبي
زرين. قال: خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته، فقال: ألا إنكم
تحدثون أني أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل؟ ألا وإني أشهد لسمعت رسول
الله يقول: «إذا انقطع شمع نعل أحدكم، فلا يمشي في الأخرى حتى
يصلحها»!^(٣)

١. مجلة المنار، الجزء ٩ من المجلد العاشر، مقالة: نهي الصحابة ورغبتهم عن الرواية، ص ٨٥١.

٢. تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري: ٤١، (ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية).

٣. صحيح مسلم: ٣٧، كتاب اللباس والزينة، ١٩، باب استحباب لبس النعل في اليمنى...، ح ٦٩.

ج. علماء الكوفة وتركهم بعض ما يروى عن أبي هريرة
ويبدو أنّ كلّ ما تقدم، كان سبباً في ترك طائفة من علماء الكوفة وعلى
رأسهم الإمام «إبراهيم النخعي» شيخ الإمام أبي حنيفة لبعض أحاديث أبي هريرة
وعدم أخذه بكلّ ما رواه أو ما رووه عنه. وإليك ما جاء في ذلك بأسانيد:
روى عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: «حدثني أبي، قال: حدثنا أبو
أسامة، عن الأعمش، قال: كان إبراهيم (أي النخعي) صديقاً في الحديث، أجيؤه
بالحديث. قال: فكتب مما أخذته عن أبي صالح عن أبي هريرة، قال: كانوا
يتركون أشياء من أحاديث أبي هريرة»^(١).

وقد رويت هذه الرواية عن النخعي بلفظ أشد، ذكره ابن أبي الحديد
المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة، نقلاً عن الشيخ أبي جعفر الإسكافي المعتزلي
(٢٤٠هـ) قال: «وروى أبو أسامة عن الأعمش، قال: كان إبراهيم (أي النخعي)
صحيح الحديث، فكننت إذا سمعت الحديث أتيت، فعرضته عليه، فأتيته يوماً
بأحاديث من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، فقال: دعني من أبي هريرة، إثمهم
كانوا يتركون كثيراً من حديثه»^(٢).

ونسب الفقيه الحنفي الكبير، شارح كتاب الشيباني، شمس الأئمة
السرخسي (٤٩٠هـ) في كتابه المعروف بأصول السرخسي، بصراحة، للإمام
النخعي إخباره عن سبقه إثمهم: «كانوا يأخذون من حديث أبي هريرة،

١. كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد: ١٤٠. وأبو أسامة هو حماد بن أسامة، ثقة جليل
المكانة، من رجال الصحيحين. (أفاده عبد المنعم صالح العلي في كتابه: دفاع عن أبي هريرة:
٢٣٧).

٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٣٦٠ (من الطبعة القديمة) أوج ٤/ ٦٧-٦٩، من الطبعة
التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢،
١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

ويدعون»^(١).

وجاء في كتاب «مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول» لأبي شامة المقدسي (٦٦٥هـ) قال: «وروى محمد بن الحسن (أي الشيباني تلميذ أبي حنيفة) عن أبي حنيفة أنه قال: «أقلد مَنْ كان من القضاة من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والعبادلة الثلاثة، ولا أستجيز خلافتهم برأيي إلا ثلاثة نفر». وفي رواية: «أقلد جميع الصحابة، ولا أستجيز خلافتهم برأيي، إلا ثلاثة نفر: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وسمرة بن جندب».

فقليل له في ذلك، فقال: «أما أنس، فاختلط في آخر عمره، وكان يفتي من عقله، وأنا لا أقلد عقله. وأما أبو هريرة، فكان يروي كل ما سمع، من غير أن يتأمل في المعنى، ومن غير أن يعرف «الناسخ والمنسوخ»^(٢).

وقال ابن كثير في تاريخه: «البداية والنهاية»: «... وقال شريك عن مغيرة عن إبراهيم (النخعي)، قال: [كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة]. وروى الأعمش عن إبراهيم (النخعي) قال: [ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة]. وقال الثوري: [عن منصور عن إبراهيم (النخعي) قال: «كانوا يرون في حديث أبي هريرة شيئاً وما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة، إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار، أو حيت على عمل صالح، أو نهي عن شرّ جاء القرآن به»]. وقد انتصر ابن عساكر لأبي هريرة وردّ هذا الذي قاله إبراهيم النخعي. وقد

١. أصول السرخسي: ٣٤١/١.

٢. مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول، لأبي شامة المقدسي، تحت عنوان: [نصوص الإمام أبي حنيفة في اتباع السنة وتأسيس مذهبه]: ٦٢-٦٣، (قدم له، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه: صلاح الدين مقبول أحمد، طبع الكويت، مكتبة الصحوة الإسلامية).

قال ما قاله إبراهيم (أي النخعي) طائفة من الكوفيين، والجمهور على خلافهم^(١).

د. ارتياب عدد من أعلام المعتزلة القدماء في أحاديث أبي هريرة وتكذيب كثير من رواياته

رغم أن ما نقلته كان كافياً لإثبات وجود الشبهة وضرورة الثبوت في المرويات الغربية والإسرائيلية والمستنكرة والمخالفة لظاهر القرآن أو لمدلولات الأحاديث المشتهرة الأخرى (وبتعبير الحنفية: المخالفة للقياس) المسندة عن طريق أبي هريرة، ووجوب التوقف في نسبتها إلى رسول الله؛ إلا أن الصورة لا تكتمل إلا إذا ذكرنا أقوال العلماء والمجتهدين جميعهم من سلف الأمة وقرونها الأولى حول أبي هريرة وغرائب مروياته.

ولا شك أن المعتزلة يمثلون جزءاً لا يُجتزأ من سلف الأمة ومجتهداتها الأعلام، ولا يمكن لمنصف أن ينكر فضلهم وعلمهم وجهادهم باللسان والقلم في الدفاع عن الإسلام في وجه خصومه ومهاجميه من الملاحدة وأهل الملل والأديان المخالفة، وهذا ما قرره لفيق من علماء الإسلام ومفكره في هذا القرن، ومنهم عدد من أعلام علماء الأزهر الشريف، أذكر على سبيل المثال لا الحصر فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر شيخ كليتي أصول الدين واللغة العربية بالأزهر الشريف سابقاً وعضو مجمع البحوث الإسلامية فيه في كتابه: «ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين».

وقد أحسن العلامة محمد رشيد رضا، قبل ذلك، الدفاع عنهم في مجلته

١. البداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ١١٣. (وفي الطبعة الأخرى، ج ٨/ ١٠٩).

المنار مبيّناً أنّهم من المجتهدين المثابرين على اجتهادهم إمّا بأجر واحد إن أخطؤوا، أو بأجرين إن أصابوا، مثلهم مثل سائر المجتهدين من أمة محمد^(١)، كما بين أنّه من الخطأ تصور أنّ مذهبهم اندثر، فالزيدية والإباضية ثم الإمامية، الذين يشكلون مئات الملايين من المسلمين، هم في أغلب آرائهم الكلامية - خاصة في التوحيد والصفات والعدل الإلهي - مع المعتزلة.

كما أنّ لمنهج المعتزلة العقلاني صديداً من المؤيدين في أوساط أعلام أهل الفكر المعاصرين من أهل السنة في مصر و الأردن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، امتحسنوا في كتاباتهم آراء المعتزلة، وأبدوا إعجابهم بعقلانيتهم في التفكير، وصرحوا برجحان كثير من عقائدهم ومواقفهم، انكب بعضهم على تحقيق تراثهم ونشره: أذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، بعض الأسماء اللاحقة: فمنهم الأستاذ أحمد أمين، والأستاذ فؤاد السيد (رئيس قسم إرشاد وياحي المخطوطات بدار الكتب المصرية) والدكتور عبد الكريم عثمان، والدكتور أحمد محمود صبحي (أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة الإسكندرية) والدكتور محمد عمارة، صاحب المؤلفات العديدة والذي كان عنوان رسالته للمهاجرين: «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية»....^(٢)

﴿ فَيَأْيُ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾.^(٣)

١. راجع دفاعه عنهم وإنصافه بحقهم في الجزء ١٢ من المجلد ١٦ من مجلته المنار: الصفحات: ٨٣٩-٨٤٨، و ٩١٣-٩٢٨.

٢. نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث لإسمايل الكردي: ٢٤٣- ٢٦٠، ولكلامه صلة فمن أراد فليرجع إليه.

٣. الأعراف: ١٨٥.

مواجهة المستعمرين

لم يقتصر جهاد السيد ﷺ على الجانب العلمي والفكري فقط، بل ضمَّ إليه نضاله ضد الاستعمار، وذلك عندما انسحبت قوات الخلافة العثمانية من البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م، وحلَّت مكانها قوات الحلفاء وتقسَّم العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة تقاسمها الحلفاء بينهم، وصارت بلاد الشام تحت الانتداب الفرنسي.

فعند ذلك أحسَّ السيد شرف الدين ﷺ بأنَّ الأخطار محدقة بالإسلام والمسلمين، فنهض بعزم صارم إلى محاربة الاستعمار ودعوة الجماهير (السنة منهم والشيعية) إلى طرد الحكام ورفض حكومة الانتداب فلاقَى في هذا الطريق ما لا قَى ممَّا لا يمكن تبيُّنه في هذا المقال.

يقول المحقِّق الخبير بحياة السيد (الشيخ مرتضى آل ياسين): إنَّ خدماته العظيمة في العهد التركي، ثمَّ في العهد الفرنسي، ثمَّ في أيام الاستقلال، كانت امتداداً لحركات التحرير، وارتقاء بها نحو كلِّ ما يحقق العدل ويوطد الأمن، ... ولعلَّ المحن التي كابدها هذا الإمام الجليل في سبيل إسعاد قومه، لم يكابد ناراها إلَّا أفذاذ من زعماء العرب وقادتهم، ممَّن أبلوا بلاءه وعانوا

عناؤه .

وناهيك بما فاجأته به سلطة الاحتلال الفرنسي حين ضاقت به ذرعاً، إذ أوعزت إلى بعض جفاتها الغلاظ باغتياله . واقتحم ابن الحلّاج عليه الدار في غرفة، وهو بين أهله وعياله، دون أن يكون لديه أحد من أعوانه ورجاله، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد له غير ما أرادوا، فكفّ أيديهم عنه، ثم تراجعوا عنه صاغرين يتعشرون بأذيال الفشل والهوان، وما كاد يذيع نبأ هذه المباغثة الغادرة في عاملة، حتى خفت جماهيرهم إلى صور، تزحف إليها من كل صوب وحذب، لتأتمر مع سيدها فيما يجب اتخاذه من التدابير إزاء هذا الحادث، غير أنّ السيد صرفهم بعد أن شكرهم، وأجزل شكرهم، وارتأى لهم أن يمروا بالحادث كراماً .

ثم تلا هذا الحادث أحداث وأحداث اتسع فيها الخرق، وانفجرت فيها شقّة الخلاف، حتى أدت إلى تشريد السيد بأهله ومن إليه من زعماء عاملة إلى دمشق، وقد وصل إليها برغم الجيش الفرنسي الذي كان يرصد عليه الطريق، إذ كانت السلطة الغاشمة تتعقبه بقوة من قواتها المسلحة لتحول بينه وبين الوصول إلى دمشق، وحين بثت من القبض عليه، عادت فسلطت النار على داره في (شحرور) فتركتها هشيماً تذرّوه الرياح، ثم احتلت داره الكبرى الواقعة في (صور) بعد أن أباحتها للأيدي الاثيمة، تعيث بها سلباً ونهباً، حتى لم تترك فيها غالباً ولا رخيصاً، وكان أوجع ما في هذه النكبة تحريقهم مكتبة السيد بكل ما فيها من نفائس الكتب واعلاقتها، ومنها تسعة عشر مؤلفاً من مؤلفاته، كانت لا تزال خطية إلى ذلك التاريخ .

في دمشق

وظل في دمشق تجيش نفسه بالعظائم، وتحيط به المكرمات، في أبهة من نفسه، ومن جهاده، ومن إيمانه، وكان في دمشق يومئذ مداولات ملكية، واجتماعات سياسية، وحفلات وطنية، تتبعها اتصالات بطبقات مختلفة من الحكومة والشعب، كان السيد في جميعها زعيماً من زعماء الفكر، وقائداً من قادة الرأي، ومعقداً من معاهد الأمل في النجاح.

وله في هذه الميادين مواقف مذكورة، وخطابات محفوظة، سجلها له التاريخ بكثير من الفخر والإعجاب.

ولم يكن بد من اصطدام العرب بجيش الاحتلال، فقد كانت الأسباب كلها مهتأة لهذا الاصطدام؛ حتى إذا التقى الجمعان في «ميسلون» واشتبكا في حرب لم يطل أمدها ودارت الدائرة على العرب لأسباب تعرض عنها، غادر السيد دمشق إلى فلسطين ومنها إلى مصر بنفر من أهله، بعد أن وزع أسرته في فلسطين بين الشام؛ وبين أنحاء من جبل عامل، في مأساة تضيف أدلة إلى الأدلة على لؤم، فقد ظل ثقل من أهله الذين ذهبوا إلى «عاملة» يجوبون القلوات والوديان في «عاملة» ليالي وأياماً لا يجدون بلغة من العيش يحشون بها معد صغارهم الفارغة على أنهم يبدلون من المال أضعاف القيمة، ويسطون أكفهم بسخاء نادر، وأخيراً لم يجدوا حلاً بغير توزيع قافلتهم في الأطراف المتباعدة، بين من بقي من أوليائهم وأصدقائهم على شيء من السواء أو الشجاعة.

في مصر

وحين وصل مصر احتفلت به، وعرفته بالرغم من تنكره وراء كوفية

وعقال ، في طراز من الهندام على نسق المألوف من الملابس الصحراوية اليوم ؛ وكانت له مواقف في مصر وجهت إليه نظر الخاصة من شيوخ العلم ، وأقطاب الأدب ، ورجال السياسة ، على نحو ما تقتضيه شخصيته الكريمة .

ولم يكن هذا أول عهده بمصر فقد عرفته مصر قبل ذلك بشمان سنين ، حين زارها في أواخر سنة تسع وعشرين ، ودخلت عليه فيها سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية ، في رحلة علمية جمعتها بأهل البحث ، وجمعت به قادة الرأي من علماء مصر ، وعقدت فيها بينه وبين شيخ الأزهر يومئذ - الشيخ سليم البشري - اجتماعات متوالية تجاذبا فيها أطراف الحديث ، وتداولوا جوانب النظر في أمهات المسائل الكلامية والأصولية ، ثم كان من نتاج تلك الاجتماعات الكريمة هذه «المراجعات» التي نحن بصدددها .

في فلسطين

وحدثت ظروف دعت إلى أن يكون قريباً من عاملة ، فغادر مصر في أواخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية إلى قرية من فلسطين تسمى (علما) تقع على حدود جبل عامل ، وفي هذه القرية هوى إليه أهله وعشيرته ، ولحق به أولياؤه المشردون في هذا الجهاد الديني الوطني ، فكانوا حوله في القرى المجاورة . وكان في (علما) كما يكون في جبل عامل من غير فرق ، كأنه غير مبعد عن داره وبلده ، يتوافد إليه الناس من قريب ومن بعيد ، ولا يكاد يخلو منزله من أفواج الناس ، فيهم الضيوف ، وفيهم طلاب الحاجات ، وفيهم رواد القضاء ، والفقهاء ، وفيهم من تستدعه الحياة السياسية أن يعرف ما عند السيد من وجه الرأي .

وانسلخت شهور في (علما) تصرفت فيها الأمور تصرفاً يرضي السيد بعض الرضا، وأبيح للسيد أن يعود إلى عاملة بعد مفاوضات أدت إلى العفو عن المجاهدين عفواً عاماً، وإلى وعد من السلطة بإنصاف جبل عامل، وإنهاضه، وإعطائه حقوقه كاملة.

العودة

وحين اطمأنت نفسه بما وعدته به السلطة، عاد إلى جبل عامل، ولم تسمح نفسه بأن يعود والمجاهدون مبعدون، لذلك جعل بيروت طريق عودته - وطريقه بعيدة عنها - ليستتجز العفو العام عن المجاهدين، وكذلك كان، فإنه لم يخرج من بيروت حتى كان المجاهدون في حل من الرجوع إلى وطنهم وأهلهم.^(١)

١ . . مقدمة كتاب «المرجمات» بقلم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين.

كلمات الأعظم في حق السيد

الحق أنّ شخصية شرف الدين ومكانته العلمية وشخصيته الجليلة ونضاله ضد المستعمرين والملحدّين أظهر من أن تخفى على من له إلمام بتاريخ العلم والعلماء.

ونقتصر في المقام - إكمالاً للبحث - ببعض كلمات الثناء والتقدير التي ذكرها العلماء في حقّه.

هذا هو آية الله المحقّق الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ) صاحب المدرسة الأصولية، المعروف بكثرة الإنتاج والتخريج، يعرّف تلميذه الجليل شرف الدين في إجازة خاصّة له، بما يلي:

كلمة المحقّق الخراساني في حقّه

«وإنّ سيادة السيد السند، والثقة الفقيه المجتهد المنزّه من كلّ شين، سيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي - شد الله أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه - مجتهد مطلق، وعدل موثّق قد أصبح من أهل الذكر الذين ترجع إليهم العباد، وترقى من حضيض التقليد إلى أوج الاجتهاد، فخفقت ألوية النيابة عليه، وألقت

بأزمتها إليه، وحرّم عليه التقليد، ووجب عليه العمل برأيه السديد، فليمثل المؤمنون أمره ونهيه، وليرجعوا إليه في أموالهم، ويفزهوا إليه في سائر أفعالهم، فإنّه حجّة عليهم، ماضية فيهم حكومته ونافذ قضاؤه، ويحرم الردّ عليه فإنّ الرادّ عليه رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك بالله؛ والمأمول منه أن يسلك جادة الاحتياط فإنّها سبيل النجاة، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل».

كلمة الحجّة الطهراني

يقول الشيخ آقا بزرك الطهراني في ترجمته: لقد كان المترجم له ماثرة من مآثر الوقت، وآية كبرى ازدهر بها العصر الحاضر، وحسب هذا القرن مفخرة أن ينبغ فيه مثل هذا العبقرى الفذّ، وحسب «عاملة» أن تقل باحتها علماً خفياً للدين وسيفاً مشهوراً للهدى مثله من بقايا العترة الطاهرة عليهم السلام.

فلقد فاق أقرانه بثروة علمية طائلة، وقوة في العارضة، وفلج في الحجّة، ورياسة في الاسلوب، وجودة في السرد، واهتداء إلى المغازي الشريفة والدقائق البعيدة المرمى، والغايات الكريمة، فماذا يقول الواصف فيه، أهو مجتهد فاضل، أم متكلم بارع، أم فيلسوف بحر محقق، أم أصولي ضليع، أم مفسر كبير، أم محدث صدوق، أم مؤرخ ثبت، أم خطيب مصقع، أم باحث ناقد، أم أديب كبير؟ نعم هو كلّ ذلك أضف إليه: أنّه ذلك المجاهد الدائب على المناضلة دون الدين والمكافح المتواصل دفاعه عن المذهب الحق، تشهد له بذلك كلّ المحابر والمزابر، والكتب والدفاتر، والخطب والمنابر، وأعماله الناجعة، ومحاضراته البديعة، وحجاجه الدامغ ^(١).

ولعل في هذه الكلمة من معاصره الخبير بالرجال، الغنى والكفاية.
وقد ترجم في «موسوعة طبقات الفقهاء» ووصف فيها بالنحو التالي:
كان فقيهاً مجتهداً محدثاً خطيباً مفوهاً أديباً بارعاً من كبار الدعاة إلى الوفاق
بين المسلمين.^(١)

الإمام الخميني والسيد شرف الدين

قضى السيد الراحل حياته بجلالته وأعماله وعظيم مواقفه إلى أن لبى دعوة
ربه عاشر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ فخسره المسلمون زعيماً كبيراً من رجالات
الأمة وبطلاً من أشهر أبطالها، وقد أحدثت وفاته، ثلثة في الدين، وأقيمت له
الفواتح في مختلف البلاد، ومنها مجلس الفاتحة الذي أقامه السيد البروجردي في
مسجد الحرم الشريف لكريمة أهل البيت عليهم السلام في قم المقدسة، ولم يطلع السيد
الإمام الخميني عليه السلام على إقامة الفاتحة ذلك اليوم، فجاء بنية إلقاء درسه اليومي في
أحد المساجد المعروفة في قم (مسجد السلماسي) والذي يلقي فيه دروسه يومياً،
فأخبرناه بمجلس الفاتحة، فقال: نحن نجمع بين الحقين: الدراسة والحضور في
الفاتحة، فالتقى شيئاً من محاضراته، ثم تحدّث عن خدمات السيد شرف الدين، ومما
ذكره: «أنه كان سيفاً مسلولاً على أعداء الله»، ثم توجه بعد ذلك هو وطلاب
درسه إلى مجلس الفاتحة لأجل المشاركة فيه.

وعند وصولنا إلى المجلس نبئنا أنّ الفاتحة كانت في وقتها الأخيرة، فلما ورد
السيد الإمام المجلس والتلاميذ من ورائه فكأنه قد انعقد مجلس الفاتحة من جديد
للسيد الراحل.

مشايخه وأساتذته

نشأ على أبيه السيد يوسف فتعلم القرآن والكتابة ومبادئ العلوم كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والأدب العربي والمنطق، ثم درس فقه الإمامية وشرائع الإسلام عند والده أيضاً. ثم قرأ سطوح الفقه والأصول على لفيف من رجال الفضل والعلم في الكاظمية وسامراء والنجف الأشرف فحضر على:

١. الشيخ حسن الكربلائي.
٢. الشيخ محمد طه نجف.
٣. الشيخ محمد كاظم الخراساني.
٤. السيد محمد كاظم اليزدي.
٥. شيخ الشريعة الاصفهاني.
٦. الشيخ باقر حيدر.
٧. الشيخ علي باقر حفيد صاحب الجواهر.
٨. السيد محمد صادق الاصفهاني.
٩. الشيخ آقا رضا الهمداني.
١٠. جده السيد محمد هادي الصدر.

١١ . خاله السيد أبي محمد الحسن الصدر.

١٢ . السيد إسماعيل الصدر.

١٣ . الشيخ ملا فتح الله السلطان آبادي.

١٤ . الشيخ عبد الله المازندراني.

١٥ . الشيخ المحدث النوري.

وشهد له جمع من أساتذته بالاجتهاد المطلق الذي يحرم عليه التقليد ويميز

للاخيرين الرجوع إليه والأخذ بفتياه، كالشيخ محمد طه نجف، والشيخ محمد

كاظم الخراساني، والشيخ آقا رضا الهمداني، والشيخ عبد الله المازندراني، وشيخ

الشرعية الاصفهاني، والسيد إسماعيل الصدر.

تلامذته والمجازون منه

تلمذ عليه وأخذ عنه على سبيل الإجازة ثلثة من سدنة الدين وأئبائه وحمله العلم وثقاته، نذكر منهم الأعلام الهداة:

٢١. السيد صدر الدين الصدر وولده السيد رضا الصدر.
٤٣. السيد حيدر الصدر وولده إسما عيل الصدر.
٥. أخوه السيد الشريف.
- ٦ و٧. السيد علي الصدر وولده السيد مهدي الصدر.
- ٨ و٩. الشيخ مرتضى آل ياسين وصنوه الشيخ راضي آل ياسين.
١٠. الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ موسى شرارة.
١١. الشيخ محمد تقي ابن الشيخ عبد الحسين صادق.
- ١٢ و١٣. السيد محمد هادي الميلاني وولده السيد نور الدين الميلاني.
١٤. الشيخ الميرزا محمد الطهراني نزيل سامراء .
- ١٥ و١٦. السيد أحمد الشبيري الزنجاني وولده السيد موسى الزنجاني.
١٧. الميرزا علي الزنجاني.
١٨. الشيخ محمد حسين المظفر.

١٩. السيد محمد سعيد بن السيد ناصر حسين بن السيد حامد حسين الهندي صاحب العبقات.

٢٠. السيد محمد حسين الرضوي اللكنهوتي.

٢١. الشيخ عبد الله السبيتي.

٢٢. السيد محمد صادق بحر العلوم.

٢٣. الشيخ محمد رضا الطبسي.

٢٤. السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

٢٥. الشيخ عباس قلي الجرندي الواعظ التبريزي.

٢٦. السيد محمد علي القاضي الطباطبائي.

٢٧. الشيخ محيي الدين ابن الشيخ عبد الله المامقاني.

٢٨. الشيخ حسين آل الواعظ الخراساني.

٢٩. السيد أبو الحسن الشهير بمولانا التبريزي.

٣٠. الشيخ جعفر الإشرافي التبريزي.

ومن السنة: ٣١. أبو الفيض أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسني

الإدريسي.

٣٢ و ٣٣. أخواه أبو المجد عبد الله وأبو اليسر عبد العزيز.

٣٤. محمد سعيد دحلوح.

مؤلفاته وآثاره

امتازت مؤلفات السيد بالعمق والاستيعاب والمثانة والأدب الرفيع، نذكر منها ما هو الأهم:

١. شرح تبصرة المتعلمين في الفقه للعلامة الخلي، في ثلاثة أجزاء.
٢. المسائل الفقهية. مطبوع.
٣. تحفة الأصحاب في طهارة أهل الكتاب.
٤. رسالة في منجزات المريض.
٥. رسالة في المواريث.
٦. تعليقة على مبحث الاستصحاب من «فرائد الأصول» للشيخ الأنصاري.

٧. المراجعات. ويعتبر من أشهر كتبه وأروعها، طبع مرات عديدة، آخرها نشر دار المؤرخ العربي في بيروت - ١٤٢٧هـ ضمن موسوعة الإمام شرف الدين، كما ترجم الكتاب إلى اللغات الفارسية والهندية والإنجليزية.

٨. تعليقة على صحيح البخاري في مجلد واحد.
٩. تعليقة على صحيح مسلم في مجلد واحد.
١٠. أبو هريرة. مطبوع.
١١. النص والاجتهاد. مطبوع.
١٢. الفصول المهمة في تأليف الأمة. مطبوع.
١٣. المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، في أربعة أجزاء. مطبوع.

١٤. رسالة حول الرؤية. مطبوعة.
١٥. رسالة فلسفة الميثاق والولاية. مطبوعة.
١٦. رسالة الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء. مطبوعة.
١٧. بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين. مطبوع في جزأين.
١٨. أجوبة مسائل موسى جار الله. مطبوع.
١٩. تحفة المحدثين في من أخرج عنه الستة من المضعفين.
٢٠. سبيل المؤمنين في الإمامة، في ثلاث مجلدات.
٢١. «إلى المجمع العلمي العربي بدمشق» ردّ به على محمد كرد علي رئيس المجمع عندما تعرض لآل البيت في مقال نشره في مجلة المجمع. طبع في صيدا سنة ١٣٧٠ هـ. مطبوع حديثاً.
٢٢. مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة في صدر الإسلام. نشر بعض فصوله في مجلة العرفان. مطبوع حديثاً.
٢٣. زكاة الأخلاق. نشر بعض فصوله في مجلة العرفان. مطبوع حديثاً.
٢٤. «بغية الفائز في نقل الجنائز» ردّ به على محمد علي هبة الدين الشهرستاني في كتابه تحريم نقل الجنائز المتغيرة. نشر أكثره في مجلة العرفان. مطبوع حديثاً.
٢٥. تفسير آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ...﴾.
٢٦. النصوص الجلية في الإمامة.
٢٧. «تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة» في الإمامة، مجلد واحد.
٢٨. تحفة العلماء فيمن أخرج عنه البخاري ومسلم من الضعفاء.
٢٩. الذريعة في الرد على البدعة للنبهاني.
٣٠. بغية السائل عن لشم الأيدي والأنامل.

٣١. الفوائد والفرائد.

٣٢. ثبت الأسناد في سلسلة الرواة، ذكر فيه شيوخه من أعلام المذاهب

الإسلامية، طبع في صيدا مرتين.

وقد طبعت مؤلفاته رحمته مجدداً ضمن موسوعة الإمام شرف الدين، نشر

«دار المؤرخ العربي» في بيروت - ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م في أحد عشر جزءاً، تشتمل

على سبعة وعشرين مؤلفاً من كتبه ورسائله إضافة إلى الخطب والمراسلات والإجازات والتفريقات والفهارس.

السيد البروجردي وكتاب المراجعات

صدر كتاب المراجعات إلى الأسواق عام ١٣٥٥هـ ثم تلت الطبعة الأولى

طبعت أخرى بعد مضي عقد من السنين، ولم يكن السيد البروجردي مطلعاً

عليه، وقد قدّم الكتاب إليه أحد أساتذة الحوزة العلمية وهو آية الله السلطاني رحمته،

فأخذه السيد بإجلال وإكبار، فلمّا جلس لمطالعة ليلاً أسرته جاذبته وأخذت

بمجامع قلبه، فاستغرق في مطالعته إلى أن بلغ الصفحة الأخيرة من الكتاب وقد

مضى هزيعاً من الليل.

ولما التقى صبيحة تلك الليلة بالسيد السلطاني أعرب له عن إعجابه

بالكتاب، وتقديره الهادئ وفي الوقت نفسه الصارم والقاطع لحجة المناظر.

ثم إن السيد السلطاني أخبر السيد البروجردي أنّ للسيد شرف الدين كتاباً

آخر وهو كتاب «النص والاجتهاد»، أثبت فيه أنّ المسلمين الأول خصوصاً

المتّهمين منهم لمدرسة الخلفاء كانوا يقدّمون المصالح على النصوص، وإنّ السيد رحمته

قد استقصى موارد هذا النوع من الاجتهاد بمعنى العمل بالسلطات في مقابل

الكتاب والسنة، فسعد السيد البروجردي بهذا الكتاب وتحمّل نفقة طبعه، وصدر

إلى الأسواق مرات عديدة.

نماذج من رشحات قلمه الفياض

إنّ للإمام شرف الدين وراء ما ألف وصنّف في موضوعات مختلفة، رسائل إخوانية إلى أعلام عصره وفطاحل زمانه، لو جمعت في مكان واحد لشكّلت كتاباً مفرداً.

ونحن نعرض في هذا الفصل نماذج من رشحات قلمه الفياض التي تلوها بلاغة علوية، وكلمات عذبة وجميلة موجزة تحتوي أرقى المعاني، كما أنّ مكاتباته مع علماء مختلف البلدان تعرب عن أنّه كان قطباً تدور عليه رحى الفضل والأدب، وأنّه كان مفزِعاً لحل المشاكل العلمية، غير أنّ المجال لا يتسع لعرض جميع هذه الرسائل، لذا نقتصر على رسائل ثلاث:

الأولى: رسالته التأيينية إلى آية الله صدر الدين الصدر المقيم بمدينة قم.

الثانية: رسالته إلى الخطيب المصقع الحاج عباس قلي الواعظ الجرندي التبريزي حول نشر كتاب «أوائل المقالات»، و«تصحيح الاعتقاد» للشيخ المفيد.

الثالثة: تقرّظه لكتاب «الغدير» للعلامة الأميني.

وهذه الرسائل تعرب عن أدبه الجمّ وقدرته الفائقة على صبّ المعاني

والأفكار في قوالب رصينة. وإليك نصوص تلك الرسائل:

أ

رسالته التأبينية إلى آية الله
السيد صدر الدين الصدر في وفاة أحد أقربائه:

بسم الله تعالى

سندي وكهلي والبقية من أهلي، لك البقاء وبك العزاء، وأنت الأسوة وبك القدوة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
ألا أيها الموت أَلَّذِي لَيْسَ تَارِكِي
أرحمني فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذنين أحبهم
كأنك تنحور نحوهم بدليل
لا غرو أن سئمت الحياة الدنيا، وعزفت نفسي عنها، فإن فقدان الأعبة،
وئكلان الأعزة، يوجب ذلك بحكم الفطرة والجبلة، وما علي من معرفة إذا ما مللت
عمرى، وسئمت حياتي، وتفطرت حرقاً، وتفجرت علقاً، فمن لي بالجلد، وأين لا
أين يوجد، وأحبابي سفر، وأترابي ظعن، والدار قفر، والجناب صفر.
كأن لم يكن بين الحججون إلى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فأه وأواه على إخواني مصابيح دجى العالم، ومقاييس هدى بني آدم، أعلام
الدين من آل الصدر وياسين.

سبقوا هواي وأعنفوا لهواهم
فَتَخَّرِ مَوَا لِكَلِّ جَنْبِ مِصْرَعِ

فللعين القذى، وللحلق بعدهم الشجى، واللَّيل مسهد، والحزن سرمد، أو
يختار الله لي دارهم التي ظعنوا إليها.

أجيب مني القلب داعي سـلوة

وهو الأصم الوقر عن نغماتها

أيقاد سلس القود نحو نديها

فبعوج شامسه على أيباتها

هيهات يقعه السلو وغدوة

عنه الأجرة هجهجت جسراتها

هيهات هيهات، وقد أومض برق العراق، بصاعقة اقشعرت لوهها الأفاق،

فاضطربت الحواس، وانخلعت بها قلوب الناس فإننا لله وإنا إليه راجعون.

قضى إمام الأمة، ومفزعها في كل ملة، وطريقها الفاصل، بين الحق

والباطل، قضى والله فصل خطابها، ومفصل صوابها، قضى شخص العلم

والعمل، ومناط الرجاء والأمل.

مصاب عظيم هو لسه بلغ السما

وخطب جسيم صير الذهر في عمى

اندك الطود الذي يُمسك الله به الأرض أن تميد، وبه يُغيث الناس

فيمطرهم رحمةً وفضلاً، فإذا صبري قنيل، وأمري عويل، وحياتي شقاء، وكل ما

حولي ثكل وبكاء.

ويا لهف أرضي وسماي على بقية سلفنا الهاشمي، وتليّة شرفنا الفاطمي

المفدأة، تأخذها القارعة تلو القارعة وقد بلغت من الكبر عتياً، رحماك اللهم ربنا

وحنانك في أمتك هذه الضعيفة وابنة عبدك وأنت أعلم بها وارحم ولك عليها

سوابق النعم، أشبثتها الضراغم لتكون بينهم أعزّ من جبهة الأسد، اللهم فافرح
عليها من الصبر ما تستوجب به أعظم الأجر، وأورف عليها من ظلال علميها ما
تتقلب فيه على مهاد الدعة، وتستظل فيه تحت سماء العز على ما لها من الباقيات
الصالحات فإتها خير عندك ثواباً وخير أملاً.

امتع ربنا عبادك بآيتك فيهم وحجتك عليهم «صدر الدين» و إمام
المسلمين، واجعله ثمال الباقيين كما جعلته مثال الماضين، إنك ذو الفضل العظيم
والمن الجسيم وأنت أرحم الراحمين.

صور - ١٥ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

وفي هامش الرسالة:

إلى الآن لم تصل هديتكم المشكورة - كتاب المهدي عجل الله فرجه - ومتى
وصلت سنأثر بها جماعة (حول حلب) قد استبصروا ولاية وبراءة فهم بهذه الهدية
أولى.

أمّا «بغية الراغبين» فربما نطبعها في إيران حين التشرف بزيارة المشهد
المقدس وبخدمتكم، ولعلّ ذلك يكون قريباً إن شاء الله تعالى.

ب

رسالته إلى الشيخ الواعظ الجرندي

حول نشر كتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخي في الله عز وجل الحاج الشيخ عباس قلي الواعظ الجرندي

شكر الله سعيك الدائب في نصر الحق، وعزمك المرهف في نشره،
وسلام عليك فاضلاً باسلاً مناضلاً عن الحقيقة، جاداً فيما يوجب السعادة،
مجتهداً في الوعظ نصحاً وإرشاداً وإفادة ورحمة الله وبركاته .

فزنا اليوم بكتابك المستطاب مؤرخاً ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ وقبلة بأسبوع
كانت لنا العظوة بالهدية السنوية - أوائل المقالات في المذاهب والمختارات ، و
تصحيح الاعتقاد - لمؤلفهما إمام الأمة وممثل أهل العصمة شيخنا ومولانا أبي
عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي المعروف بالشيخ المفيد أعلى الله
مقامه ، ولعمري إنك اجملت الصنع إذ بعثت هذين المصحفين من مرقدكما
المجهول فأوليت الأمة بذلك علماً جماً، وازدرعت في الدنيا الإسلامية خيراً
كثيراً وخورلتها نعمة عظيمة .

تصفحت «أوائل المقالات» أنعم فيها النظر سبراً لغورها، وقلبتها ظهراً
لبطن عجباً لعودها، فإذا هي فرقان محكم الوضع، غزير المادة، معتدل الأساليب،

١. أوائل المقالات، الطبعة الثانية، مكتبة حقيقة في تبريز.

متناسق التبويب، جزيل المباحث، جليل العوائد، ذاتي القطوف، عذب المورد، ناصع البيان، تدرك مقاصده على غير مؤنة ولا إرهاق خاطر، تؤيده الحجج الملزمة والبيئات المسلمة، وقد طوى على نحو تسعين مقالة هي موضوع البحث ومحل النزاع بين الشيعة الإمامية وغيرهم من سائر الفرق المسلمة، ظهر فيها مقطع الحق، وبان بها مشعب السداد، وقد استظهر مؤلفها - شيخ الأمة ومفيدها - على خصومه فيها بحكم العقل والنقل، فإذا مقالاته مفصل الصواب وفصل الخطاب، وإذا هي الحد الفاصل بين الحق والباطل، وإذا خصمه فيها صاغر قمي، قد خصم فخطم والحمد لله رب العالمين.

ثم استقرت «تصحيح الاعتقاد أو شرح عقائد الصدوق» فإذا هو كسابقه لا شبهة فيه لمعتدل، ولا مطعن به لمنصف، ولا سبيل عليه لفاضل فاضل، يستسلم للبيئات والدلائل من مؤالف أو مخالف، ولا غرو فيها يخرجه قلم شيخنا المفيد أن يكون الغاية ليس وراؤها مذهب لطالب ولا مراغ لمستفيد، فقد كان أعلى الله مقامه أفضى قضاة محاكم المعقول والمنقول، وأمضى فياصل الحق من أولياء آل الرسول، ولو وجبت العصمة لغير الأنبياء وأوصيائهم لكان أول من وجبت له بعدهم عليه السلام، فكتبه كلها هدى ونور وشفاء لما في الصدور، ونحن نشكر لك نشر الرسائل، ونقدر إتحافك إيانا بهما، ونكبر جزيل فوائده، ولا ننسى جميل عوائده، وفقك الله لتأييد الحق ونصره وسهل لك أسباب إذاعته ونشره.

صور - لبنان

في ٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٤

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

ج

تقريره لموسوعة الغدير^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حجة الإسلام العلامة الثبت المجاهد (الأميني) أعزّه الله وأعزّه به

تحية طيبة وسلاماً كريماً.

أشعر أن لك عليّ واجباً يتجاوز حدود القول في تقرير (الغدير) موسوعتك

النادرة، والثناء عليها بوصفها مجهوداً ثقافياً منقطع النظير.

فالقول في هذا ونحوه أدنى ما يُستقبل به جهادك، وأقل ما يوزن به تتبّعك

واستيعابك، أما الذي يعطيك كفاء حَقِّك في هذه الموسوعة الفاضلة فتقديرٌ يبلغ

الأمة أنك من أبطالها الأقلين، ويدعوها من أجل هذا إلى شدّ أزرِك وإرهاقِك في

سبيلك النير الخيّر هذا، إنصافاً للقيم التي توشك أن تضع فتُضيع؛ ومتى

ضاعت وأضاعت فقد خسرت الحياة «مثلها الأعلى» وعادت بعده تافهة، لأنها

تخلو آنذاك من حقّ وخيرٍ وجمال، أي تخلو ممّا يجب الحياة ويرفعها، ويدلّ على

١. نشر هذا التقرير في مقدّمة الطبعة الثالثة (لموسوعة الغدير) المطبوعة في دار الكتاب العربي،

أقدارها.

موسوعتك (الغديري) في ميزان النقد وحكم الأدب عملٌ ضخمٌ دون ريب، فهي موسوعةٌ لو اصطلاح على إبداعها عدّة من العلماء وتوافروا على إتقانها بمثل هذه الإجادة لكان عملهم مجتمعين فيها كبيراً حقاً.

ولكنّي ما سقت كلمتي لأقول هذا، وإتما سقتها لأشير إلى هذه الناحية الخطيرة من حياتنا المفكّكة داعياً إلى التشدّد، والالتفات حول الحفنة الباقية من رجال الفكر الإسلامي ممّن يجيلون أقلامهم في علومنا وأثارنا بفقّه وحبّ.

فليس شيء عندي أخطر على هذا الفكر الولود من التفرّق عن رجاله، لأنّ التفرّق عنهم نذير بعقم نتاجه، وقطع حلقاته، فالتفرّق عنهم بمعناه تفرّق للحواضر والبواعث التي تتّصل بها حياة الحقّ في طبائع الأشياء وظواهر السنن.

وليس أفجع لحضارة الشرق بل لحضارة الإنسان من عقم هذا التاج وقطع هذه الحلقات.

إذا دعونا إلى مؤازرتك والسوقوف إلى جانبك في شقّ الطريق بين يدي (غديرك) فإننا ندعوا في واقع الأمر إلى خدمة فكرة كلىّة ترتفع بها شخصيّة الأئمة كاملة، أملين أن يرى المفكّرون بك مثلاً يشجعهم بحياة الأئمة حولك، وحسن تقديرها لك، أن يخدموا الحقّ الذي خدمته لوجه الحقّ خالص النية.

أقف هنا لأقول: إنّ قمّة (الهرم) في عملك الجاهد القيم إنّما هي حبّك له حبّاً يدفعك فيه إلى الأمام في زحمة من العوائق والمثبّطات، وهي خصلةٌ في هذا

العمل الكبير تُعيد إلى الذهن دأب أبطالنا من خدام أهل البيت وناشري علومهم وآثارهم، ذلك الدأب الذي أمتع الحياة بأفضل مبادئ الإنسانية من معارفهم الثيرة.

أما الجوانب الفنية فقد نسجتها نسج صناع، وهيات لقلمك القوي فيها عناصر التجويد والإبداع في مادة الكتاب وصورته، وفي أدواتهما المتوقفة على سعة باع، وكثرة اطلاع، وسلامة ذوق، وقوة محاكمة، أمامك، حفظك الله وأعانك.

١٤ ذو الحجة ١٣٦٨

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

السيد شرف الدين والتقريب بين المسلمين

إنَّ التقريب بين المسلمين من الآمال التي يطمح إليها كل مسلم مخلص عارف بالقضايا الراهنة، ومما يحز بالنفس أن نرى أبناء أمة واحدة تجمعها روابط كثيرة، متشبتين مختلفين لا يتعاونون تعاون الإخوة، وقد خاطبهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾^(١)، وجعلهم الكتاب إخوة متعاطفين وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، ومع ذلك نرى التشتت والتمزق متفشين فيهم.

ولدره هذا الخطر قام في أواسط القرن الرابع عشر جماعة - إحساساً منهم بخطورة الموقف - بتأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة، وعلى رأسهم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر من أهل السنة والسيد شرف الدين من الشيعة.

وقد نشرنا مقالات حول التقريب وتبيين المشتركات، وأن المسائل الخلافية لا تضر بوحدة الكلمة وتوحيد الأمة.

وهذا ما يظهر من مقالاته المنتشرة في مجلة رسالة الإسلام.

١. الأنبياء: ٩٢.

٢. الحجرات: ١٠.

ومع ذلك كله ليس التقريب عنده بمعنى تذويب السنّة في الشيعة أو بالعكس، فإنّ التقريب شيء والتذويب شيء آخر، فالسيد من دعاة التقريب لا من دعاة التذويب، فإنّ الثاني أمر مستحيل في الظروف الحاضرة والأول أمر ممكن. ولذا نراه - مع أنّه يكتب مقالات في التقريب وآلف كتاب: «الفصول المهمة في تأليف الأئمة» الذي طبع في صيدا عام ١٣٣٠هـ - يرد على موسى جار الله الذي افترى على الشيعة برسالة خاصّة أسماها: «أجوبة مسائل موسى جار الله» التي طبعت في صيدا عام ١٣٥٥هـ، كما أنّه ألف رسالة باسم: «رسالة إلى المجمع العلمي العربي بدمشق» والتي طبعت في صيدا سنة ١٣٧٠هـ وقد ردّها على الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع عندما تعرض لآل البيت عليهم السلام في مقال نشره في مجلة المجمع.

هذا بعض ما تيسر لنا كتابته تقديماً للمؤتمر الذي أقيم إجلالاً له في اليومين الثالث والرابع من صفر المظفر عام ١٤٢٦هـ في قم المشرفة في قاعة مدرسة الإمام الخميني عليه السلام.

ونحن نعترف بتقصيرنا أو قصورنا عن بيان ما للسيد الراحل من فضائل ومناقب وخدمات وبطولات.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

جعفر السبحاني

قم المشرفة

صفر المظفر ١٤٢٦هـ

آية الله العظمى البروجردي

(١٢٩٢-١٣٨٠هـ)

والخطوط العريضة لقرائه الفكري^(١)

أشعر أنّ للسيد الإمام البروجردي حقاً كبيراً عليّ يتجاوز حدود اللقاء
محاضرة قصيرة في هذا الحفل الكريم، وقد طويت من عمري لديه سنين
متعدية، فارتويت من علمه الغزير، وأدبه الجم، وأخلاقه العالية.
وبما أنّي لا أتمكن من أداء هذا الحقّ الكبير، فاكثني بالميسور آخذاً بقول
الإمام علي عليه السلام: «الميسور لا يسقط بالمعسور».

تزامنت حياة الأمة الإسلامية بعلماء وعباقرة كانوا كالنجوم اللامعة في سماء
العلم والعمل، وقد استضاءت بهم الأمة الإسلامية في مسيرها التكاملي،
فانتعشت بهم حياة العلم والدين فصاروا بحق مصاديق للحديث المأثور عن
سيد الرسل ﷺ حيث قال:

«يحمل هذا الدين في كلّ قرن، عدول ينفون عنه تأويل المبطلين، وتحريف
الغالين، وانتحال الجاهلين، كما ينفي الكيرُ خبث الحديد»^(٢).

١. أُلقيت هذه المحاضرة في الملتقى الدولي لتكريم الإمام البروجردي والإمام محمود شلتوت عام

١٤٢١، شوال المكرّم في قم المشرقة.

٢. رجال الكشي: ١٠، باب فضل الرواية والحديث.

ومع الاعتراف بفضل الجميع إلا أنّ مواقفهم كانت مختلفة.
فمنهم من سار على المنهج السائد في حياته في مجال العلم، فخدم الإسلام
برأيه وفكره، وقلمه وبنانه .

ومنهم من أحاط لإحاطة تامة بالمنهج السائد ولم يكتف بذلك، بل طفق
ببتكر أسساً تلبي حاجات العصر، وهم في كل عصر ومصر نزر قليل. ولو أردنا
استعراض أسماء بعضهم نذكر على سبيل المثال: شيخنا المفيد في إبداعاته
الكلامية ومناظراته العلمية، والسيد المرتضى - مضافاً إلى أدبه الجم - في إنتاجاته
الأصولية، وتلميذهما شيخ الطائفة الطوسي في الحديث والفقہ المقارن والتفسير،
إلى غير هؤلاء من العباقرة الذين خاضوا عُباب بحار العلوم فأثاروا أمواجاً
هائلة، وحالوا دون خمول العلم وركوده، فخرجوا بدرر وجواهر ثمينة أهدوها بكل
تواضع إلى الأمة الإسلامية.

وهكذا كانت سيرة فقيدنا الراحل السيد البروجردي (١٢٩٢-١٣٨٠ هـ
ق) في حياته التي ناهزت قرابة تسعين عاماً، فلو غضضنا النظر عن مقتبل عمره
وأيام دراسته على مشايخه وأساتذته حتى استقلاله بالتدريس، نرى أنّ حياته
العلمية حفلت بابتكارات قيّمة، سواء قبل تسنّمه المرجعية والزعامة الدينية أم
بعدها، وها نحن نذكر الخطوط العريضة لتراثه الفكري.

ابتكاراته وخدماته العلمية

إنّه ﷺ تمتع بمواهب خارقة، فقد جمع بين الحفظ والفهم، والتصرف في
الأفكار والآراء، والأخيرة منها عزيزة الوجود بين أوساط العلماء، فالسيد الراحل
بفضل هذه الموهبة - أي موهبة التصرف في الأفكار والآراء - جاء بإبداعات
تركت بصمات واضحة على العلوم الإسلامية لا سيما في الرجال والفقہ والحديث.

الف. ابتكاراته الرجالية

كان السيد البروجردى متضلّعاً في رجال الفريقين يعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وتلاميذهم ومشايخهم، وقد لمس النقائص الفنية في الجوامع الرجالية للشيعة الإمامية مع ما لها من الأهمية البالغة، وإليك الإشارة إليها:

١. أنّ الخطبة التي رسمها القدماء وتبعها المتأخرون في التوثيق والجرح لا تخرج عن إطار التقليد لأنّمة الرجال، وليس طريقاً مباشراً للمستنبط بغية التعرف على أحوال الراوي بأن يلمس بفهمه وذكائه ويقف عن كتب على كلّ ما يرجع إلى الراوي من حيث الطبقة والعصر أولاً، ومدى الضبط والإتقان ثانياً، وكمية روايته كثرة وقلة ثالثاً، ومقدار فضله وعلمه وكماله رابعاً، وهذا ممّا لا تفني به الكتب الرجالية الدارجة.

٢. لا شك أنّ التحريف والتصحيّف تطرق إلى قسم من اسناد الأحاديث المروية في الكتب الأربعة وغيرها، وربما سقط الراوي من السند من دون أن يكون هناك دليل يدلّنا عليه، وليست الكتب الرجالية بصورة توقفنا على طبقات الرواة من حيث المشايخ والتلاميذ حتى يقف الباحث ببركة التعرف على الطبقات على نقصان السند وكماله، لأنّها كتبت وفق حروف المعجم مبتدأة بالألف ومنتھية بالياء، لا يُعرف أصل الراوي وطبقته في الحديث ولا أساتذته وتلاميذته.

٣. أنّ أسماء كثير من الرواة مشتركة بين عدّة أشخاص، بين ثقة يُركن إليه، وضعيف ترد روايته، فعندما يلاحظ المستنبط الأسماء المشتركة في الاسناد لا يقدر على تعيين المراد.

ولأجل رفع هذه التقيصة التجأ العلماء إلى تأسيس فرع آخر لعلم الرجال باسم «تميز المشتركات».

٤. أنّ هناك رواية جاءت أسماؤهم في اسناد الأحاديث ولا نرى أثراً لهم في الكتب الرجالية، وصار هذا سبباً لوصف كثير من الروايات بالضعف للجهل بالراوي.

٥. أنّ التصحيف والتقليب طرأ على الأسانيد عبر القرون، فكثيراً ما جاء محمد بن مسلم بصورة محمد بن سالم فأوجد غموضاً في الحديث، كما قلب الحسين بن خالد عن يعقوب بن شعيب، إلى يعقوب بن شعيب عن الحسين بن خالد.

٦. توجد إضافات بين الأسماء فـ«أبو علي الأشعري» المعروف بابن إدريس، يروي عن علي بن الحسن الكوفي، ولكن ورد في بعض الأسانيد أبو علي الأشعري، عن (محمد بن) الحسن بن علي الكوفي، فما هو الميزان في التعرف على زيادة (محمد بن)؟

٧. ربما نرى أنّ الراوي يروي عمّن لم يدركه، ولكن في روايات أخرى نرى أنّه يروي عنه بواسطة شخص خاص.

كلّ هذه المشاكل كان يعاني منها السيد البروجردي، فعاد إلى معالجة هذه النقائص الفنية في كتب الرجال بتأليف كتابين يعدّان من أبرز الأعمال وأعمقها في الرجال.

الأول: يعرّف عنه تارة بتجريد الأسانيد، وأخرى بترتيب الأسانيد، وثالثة بتنقيح الأسانيد.

ويتلخّص عمله في أنّه قام بتجريد أسانيد كلّ من الكتب الأربعة وسماها: تجريد أسانيد الكافي، وتجريد أسانيد الفقيه، وتجريد أسانيد

التهديب، وتجريد أسانيد الاستبصار، ثم انصرف إلى تجريد أسانيد الأمالي والخصال وعلل الشرائع للشيخ الصدوق، وتجريد أسانيد الفهرست للطوسي، وأسانيد رجال الكشي والنجاشي وغيرها من الكتب، مراعيًا فيها ترتيب الحروف، فباستيفاء الأسانيد وقياس بعضها مع بعض قام بحلّ كافة المشاكل التي كان يُعاني منها.

بالنظر إلى هذه الأسانيد المجردة، يتسنى الحصول على الفوائد التالية:

١. يعلم مشايخ الراوي وتلاميذه، ومن هو مشاركته في نقل الحديث وكان في طبخته.

٢. يعرف مشايخ كل من هؤلاء الرواة وطرقهم إلى الإمام.

٣. يعرف الفقيه وجود الوسطة الساقطة بين الراوي والمروي عنه.

٤. يعرف المصحّف عن الصحيح، والمقلوب عن غيره.

الثاني: قام رحمته الله بتأليف كتاب باسم «طبقات الرجال» فقد جعل سلسلة الرواة من عصر الرسول الأكرم إلى زمان الشيخ الطوسي اثني عشرة طبقة، فجعل الصحابة الطبقة الأولى، ومن أخذ عنهم الحديث الطبقة الثانية، وهكذا. والعمل الثاني متزج من العمل الأول.

لا أقول إنّ السيد هو الوحيد الذي اختط هذا السبيل؛ بل سبقه المحقّق الأردبيلي المعاصر للعلامة المجلسي مؤلف «جامع الرواة»، فأنه يلتقط في ترجمة الرواة، جملة من الأسانيد عن الكتب الأربعة وغيرها ويجعلها دليلاً على التعرف على شيوخ الراوي؛ كما تبعه السيد محمد شفيع في كتابه: «طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال» فإتباعها بدلاً جهدهما في رفع النقائص الفنية الطارئة على رجال الحديث، ولكن الذي قام به المحقّق البروجردي يعدّ من أبرز الأعمال وأعظمها

في هذا الحقل.

كما تبع السيد البروجردي في هذا المشروع، الزعيم الديني السيد الخوئي رحمته الله، فقد رفع بعض النقائص في كتابه الضخم «معجم رجال الحديث و تفسير طبقات الرواة» حيث إن من خصائص و مزايا هذا الكتاب أنه ذكر في ترجمة كل شخص أسماء من يروي عنه و من روى هو عنهم في الكتب الأربعة ، وقد يذكر ما في غيرها، ولا سيما رجال الكشي فقد ذكر أكثر ما فيه من الرواة و المروي عنهم، و بذلك خدم علم الرجال خدمة كبيرة (شكر الله مساعي الجميع).

ب. منهجه الفقهي

إن الوقوف على الأحكام الشرعية من الكتاب و السنة و سائر أدلتها، هو الفقه الذي كان يمارسه السيد البروجردي منذ شبابه إلى رحيله، فقد قام بتدريس كثير من أبواب الفقه طيلة حياته، كما درس سائر الأبواب بنفسه مرة بعد أخرى، وكان يتمتع بذاكرة حادة بالنسبة إلى المسائل الفقهية و الآراء التي دارت حولها من قبل الفريقين. وهو حين إلقائه المحاضرات الفقهية يتبع النهج التالي:

١. إذا كانت المسألة ذات تاريخ عريق في الفقه الإسلامي من عصر الصحابة و التابعين و الأئمة المعصومين إلى يومنا هذا، درج في بيان سيرها التاريخي و ما مرت عليه من مراحل تاريخية، و لم يكن ذلك من خصائصه في الفقه فحسب، بل كان يدخل من هذا الباب في المسائل الأصولية أيضاً. مثلاً كان رحمته الله يدرس مبحث «العام و الخاص» وكانت المسألة المعنونة هي: صيرورة العام مجازاً بعد التخصيص و عدمها، فخاص في لباب تاريخ المسألة حتى وصل إلى النتيجة التالية: بأن المسألة عنونت في أوائل القرن الرابع، ثم ذكر الآراء من ذلك العصر إلى يومنا هذا. و هذه من خصائصه فكان يرى أن الإحاطة بالأقوال من أركان

الاستنباط، ومع أنه كان يمتلك أكثر الكتب الفقهية للفرقيين مخطوطها ومطبوعها، ولكنّه كان يعتمد في نقل الآراء على كتاب «الخلاص» للطوسي و «تذكرة الفقهاء» و «متهى المطلب» للعلامة الحلّي.

وكثيراً ما ينقل الآراء الفقهية لأصحابها حسب تدرّجها الزمني حتى يعلم تطور المسألة، وربما يشير إلى مباني الآراء عند ذكرها إشارة عابرة.

٢. ثمّ إنّ بفضل التركيز على نقل آراء فقهاء الفرقيين والإشارة إلى بعض الأدلّة، كان لمنهج فقهه صبغة الفقه المقارن، فيذكر آراء الفقهاء وبعض أدلّتهم وربّما يصحّح وأخرى يناقش بصدور رجب، وكثيراً ما يعتمد على كتاب «الأم» للشافعي و «الموطأ» للمالك، وعندما يجلس على منصة التدريس يحس الطالب أنّه فقيه متضلع خبير بكافة الآراء الفقهية لجميع المذاهب الإسلامية، وهذا كان من أبرز سمات منهجه، ولم يكن استيعابه للصحاح والمسانيد بأقل من استيعابه للكتب الأربعة.

٣. إنّ السيد البروجردي كان يقيم للشهرة الفتوائية أو العملية - على الفرق الواضح بينهما - قيمة كبيرة، فإذا كانت الرواية ممّن أفتى بها القدماء من الفقهاء لم يكن يعدل عنها، بل أنّه كان يتبع هذا الأسلوب فيما لو كانت هناك فتوى مشهورة بين القدماء وإن لم تعضد بالدليل، وكان يقيم الأدلّة على حجّية الشهرة الفتوائية للقدماء بها لا مجال لبيانه.

٤. أنّه ﷺ يذكر حول الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت ﷺ كلمة معروفة، مضمونها كالتالي: كما أنّ للآيات القرآنية شأن نزول، فهكذا لروايات أئمة أهل البيت أسباب ورود، ولا يعلم إلّا بالرجوع إلى فتاوى الفقهاء المعاصرين لهم، فبالتعرف على فتاواهم تعرف إشارات الإمام في كلامه ولطائف مقاله، كما تعرف بها الرواية الصادرة عن مصلحة الراوي من الرواية الواردة لبيان الواقع، وكان

تلاميذ الأئمة على اطلاع بكل النوعين من الفتيا؛ فإذا وصل إليهم فتاوى الصادقين يعرفون ما هو الوارد لبيان الواقع، فيصفونه بأنه أعطاه من عين صافية. و ما هو الوارد على وفق الواقع لمصالح اقتضت ذلك، فيصفونه بأنه أعطاه من جراب النورة.

٥. ومن مميزات منهجه الفقهي في استنباط الأحكام هو أنه كان يلتزم بقراءة كل رواية وردت حول المسألة في وسائل الشيعة والمستدرک و ما في الصحاح والسنن، و كان يقرأ كل رواية بسندها التام، ويذكر خصوصية أكثر الروايات غير المعروفين وأنه من أي طبقة من الطبقات، وكثيراً ما يتنبه على سقوط الواسطة، أو طرود تقليب، أو تصحيف على الرواية أو يشير إلى عدد رواياته قلّة وكثرة.

وفي ظل الإحاطة بالأسانيد كان يجهد في توحيد الروايات، فيرجع الروايات المتعددة ظاهراً إلى أصل واحد، قائلاً: بأن التكثر طراً عليها من قبل الوسائط. وهذا كان من اختصاصاته في الفقه.

٦. كان رحمه الله يجهد في أن يذكر لكل مسألة الدليل المهم الذي يمكن أن يستند إليه المجتهد، وينأى بنفسه عن ذكر الأدلة الضعيفة ومناقشات صيانة لوقت الطالب.

هكذا كانت محاضرات سيدنا الأستاذ الراحل ومنهجه الفقهي الذي أصبح فيما بعد المنهج الرسمي السائد على الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، وأما الكلام في منهجه الحديثي والخدمات التي أسداها في هذا المضمار، فتحيله إلى وقت آخر.

ج. نشاطاته الاجتماعية

إن الإمام الراحل السيد البروجردي كان من أرومة عريقة ضربت

بجرائعها عبر العصور والقرون، فهو سليل الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، فلا عتب على الرياح إن وقف عن سرد محاسنه وفضائله، فإن سيدنا المترجم فدّ في كلّ نواحيها. ونسبة الفضائل إليه كأسنان المشط لا تفاضل بينها، لأنه واقع في نقطة المركز من الدائرة، فخطوط الفضائل إليه متساوية، ومع ذلك نشير إلى بعض ما للسيد من نشاطات ومواقف كريمة، وما كان يحمل من هموم الأمة وما قدّم لها من خدمات.

أ. دعوته إلى التقريب

كان السيد الراحل من دعاة التقريب وعماده، وقد ورث فكره التقريب عن أستاذه السيد محمد باقر الاصفهاني (المتوفى عام ١٣٤٢هـ)، ويعلم مدى دعمه لمسألة التقريب أنه قد كان للسيد مساهمة فعالة في تأسيس دار التقريب بين المذاهب، ودعم المعنيين بتأسيسها من دون فرق بين السنة والشيعة، وقد كان على صلة وثيقة بأخبار دار التقريب عن طريق مندوبه، أعني: الأمين العام لجماعة دار التقريب، الشيخ محمد تقمي القمي، كلّ ذلك يدلّ على شدة اهتمامه بأمر التقريب ولم شمل الأمة كسائر رواده من معاصريه، نظير: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفى ١٣٧٣هـ) والسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (المتوفى ١٣٧٧هـ) وغيرهم من أقطاب التقريب.

ولم يقتصر نشاطه على متابعة أخبار دار التقريب فحسب، بل أنه ﷺ راح يرسل شيخ الأزهر عبد المجيد سليم لما بعث إليه برسالة يستفسر فيها عن صحته بعدما سمع من المذيع أنّ صحته قد تدهورت، وقد اغتنم السيد الفرصة وبعث بجواب إليه، وإليك نصّ رسالة شيخ الأزهر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة صاحب السماحة آية الله الحاج آقا حسين البروجردي

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد: فقد بلغنا - عن طريق المديع - أن صحتكم الغالية قد ألمَّ بها طارئ من المرض، فأسفنا لذلك أشدَّ الأسف لما نعرفه فيكم من العلم والفضل والإخلاص للحق، وإنا لنسأل الله جلَّت قدرته أن يعجل بشفاؤكم، ويلبسكم لباس العافية، حتى تتمكنوا من العود الحميد إلى نشاطكم المعهود في خدمة الإسلام والمسلمين.

ولقد شاءت إرادة الله أن أكون أنا أيضاً في هذه الفترة مريضاً معتكفاً في بيتي أحمل همتين مضمين: هم نفسي وهم قومي، وأطيل التفكير حالياً في حال أمتنا العزيزة، فأخذني من القلق والحزن ما الله به عليم، فأرجو أن تسألوا الله لي العافية كما أسأله لكم، والله يتولانا جميعاً برحمته.

إنَّ الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ الآن، أخرج ما تكون إلى رجال صادقي العزم، راجحي الوزن، يجاهدون في الله حقَّ جهاده، ليدرأوا عنها غوائل الفتن، ونوازل المحن، فقد تألَّبت قوى الشر، وتجمَّعت عناصر الفساد، وزلزل المؤمنون في كلِّ قطر من أقطارهم زلزالاً شديداً، وكان قد أتى الزمان الذي أنبا الصادق الأمين - صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه - : أنَّ القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، وإتيا مثل أهل العلم من المؤمنين الصادقين كأطواد راسية أو حصون منيعة ألقاها الله في الناس أن تميد بهم الأرض من فتنة أو جهالة، أو كنجوم ثابتة في ليل داج، ترشد السارين، وتهدى الحائرين. فادع الله معي أن يحفظ هؤلاء

ويكثر في الأمة منهم، وينشر عليهم رحمته، وينزل عليهم سكنته، ويؤيد بهم الحق والدين، ويهزم بهم المبطلين والملاحدين والمفسدين، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.^(١)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤ من شعبان سنة ١٣٧٠ هـ

ولما وصلت رسالة شيخ الأزهر إلى السيد الراحل قام بكتاب جواب يشكر فيه عواطفه تجاهه، وقال:

حضرة صاحب الفضيلة الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

شيخ الجامع الأزهر - دامت إفاضاته -

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد - فقد بلغنا كتابكم الكريم الحاوي للعواطف الإسلامية السامية، يحكى لنا أنه لما بلغكم عن طريق المدياع أن صحة هذا العبد قد ألم بها طارئ من المرض، أسفتم لذلك، ودعوتم الله تعالى أن يعيد له الصحة.

فأشكركم على ذلك، وأسأل الله تعالى أن يبدل التعارف والتعاطف بين

المسلمين، مما كان بينهم من التناكر والتدابير والتقاطع، إنه على ما يشاء قدير..

١. رسالة الإسلام: العدد الثالث من السنة الثالثة. وليست هذه الرسالة، الرسالة الوحيدة التي تم تبادلها بين شيخي السنة والشيعه، بل ثمة رسالة أخرى كتبها الشيخ عبد المجيد سليم إلى السيد في جواب رسالة شفهوية حملها إليه الأمين العام لدار التصريب، وقد نُشر الجواب على صفحات مجلة رسالة الإسلام العدد الثاني من السنة الرابعة عام ١٣٧١ هـ.

ويحكي كتابكم أيضاً، أنه قد ألمّ بصحتكم الغالية طارئاً من المرض، كما ألمّ بي، فاعتكفتم في البيت حاملين لهمين ممضين: همّ نفسكم، وهمّ قومكم، وأنّ إطالة التفكير في حالة الأمة، توجب لكم من القلق والحزن، ما الله به عليم.

هكذا ينبغي أن يكون رجال العلم ورجال الإسلام، مهما حاقت بالمسلمين زلازل الفتن، وأحاطت بهم نوازل المحن، فأسأل الله عزّ سلطانه، أن يلبسكم لباس العافية، ويوفقكم لخدمة الإسلام والمسلمين، ولما يوجبه الاهتمام بأمر الأمة في مثل هذا الزمان، من أمثال جنابكم الذين وقفوا أنفسهم لخدمة هذه الأمة، ودره عوادى المفسدين والملحدّين عنها، إنّه قريب مجيب.

إنّ هنا أموراً كنت أحبّ إبداءها لكم، لكنّ حالي لا تساعدني على ذلك.

والسلام عليكم وعلى من أحاط بكم من المؤمنين الصادقين ورحمة الله وبركاته.

١٧ من رمضان سنة ١٣٧٠ هـ^(١)

كان السيد يترصد الفرص بين حين وحين لأنّ يُدعم موقف التقريب ومن نماذج ذلك:

إنّ الملك سعود بن عبد العزيز زار إيران وأرسل بهدية سنوية للسيد البروجردي، وقام السيد ببعث كتاب إلى سفير المملكة السعودية في طهران كإجابة لما أُهدي إليه، وقد أشار في ذلك الكتاب إلى أنّ مسألة الحجّ من أهمّ مظاهر الوحدة، فللمسلمين أن يؤدّوا مناسك الحجّ وفق الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وإليك نصّ رسالته إلى السفير:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليكم ورحمته

أما بعد: فقد بلغنا كتابكم مع السيد يوسف بوعلي، ومعه حقيية كبيرة ذكرتم أنها تحتوي على خمس عشرة نسخة من القرآن الكريم، وعلى قطع من حزام ستار الكعبة الشريفة، وأن جلالة الملك أمر بإرسالها إلي، فحيرت في الأمر، لأن سيرتي عدم قبول الهدايا من الملوك والعظماء، ولكن اشتتال هذه الهدية على القرآن الكريم وستار الكعبة الشريفة؛ الزمني قبولها، فأخذت نسخ القرآن الكريم والقطع من حزام ستار الكعبة الشريفة، وأرسلت الحقيية «بما بقى فيها» إلى جنابكم هدية مني إلى شخصكم، لأكون على ذكر منكم في أوقات الصلوات والدعوات، ولما كان أمر الحج في هذه السنين بيد جلالة الملك؛ أرسلت حديثاً طويلاً في صفة حج رسول الله ﷺ، رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه ويستفاد منه أكثر أحكام الحج إن لم يكن كلها، لترسله إلى جلالة الملك هدية مني إليه، وتبلغه سلامي وتحياتي، وأسأل الله عزّ شأنه أن يؤلف بين قلوب المسلمين، ويجعلهم يداً واحدة على من سواهم، ويوجههم إلى أن يعملوا بقول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١) وأن يجتنبوا التدابير والتباغض واتباع الشهوات الموجبة لافتراق الكلمة، وأن يلتزموا بقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا صَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢).

والسلام عليكم ورحمة الله^(٣)

ب. مواقفه السياسية

كان السيد الراحل منذ أوان شبابه إلى أواخر حياته ملقاً بالأوضاع السياسية التي تمرّ على المسلمين في أنحاء العالم، وقد ابتلي المسلمون في أواسط القرن الماضي بفتنة اليهود وإنشائهم لدويلتهم الغاصبية في قلب الأمة الإسلامية وعلى مقربة من أولى القبلتين، وقد كانت هذه الفكرة تراود اليهود منذ عصر الامبراطورية العثمانية إلى أن أُتيحت لهم الفرصة في مختم الحرب العالمية الثانية حيث أعانتهم القوى الكافرة بتأسيس تلك الدولة الغاصبية، فأخذوا يقتلون المسلمين رجالهم ونساءهم وأطفالهم ويشردونهم من أراضيهم إلى أن أُستبّ لهم الأمر بإنشاء دويلتهم عام ١٩٤٧م، وقد ضبط التاريخ جرائمهم في دير ياسين وغيره مما يندى لها جبين البشرية، وليست جرائمهم هذه الأيام غائبة عن أعيننا فقد أعادوا التاريخ بنفسه.

وقد قام السيد البروجردي يومذاك بإصدار بيان يتدّ فيه بتلك الجرائم النكراء، واحتفلت بسماع بيانه الحوزة العلمية وشارك هو ﷺ ذلك الاحتفال، وقرا البيان الخطيب المصقع الشيخ محمد تقي الاشرافي (١٣١٣-١٣٦٨هـ) وإليك نص ذلك البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله تعالى في السراء والضراء وعلى كل حال، ونشكروا له ما لقيه إخواننا المسلمون في زماننا هذا من المشركين بباكستان ومن اليهود بفلسطين، ولقد صدق عملهم بالمسلمين ما أخبرنا الله تعالى به في كتابه الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ

مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١﴾.

ولكن العجب والأسف كله من صنع اليهود، فانهم بعد ما كانوا تحت حماية الإسلام والمسلمين قريباً من أربعة عشر قرناً، محفوظين بنفوسهم وأعراضهم وأموالهم وشعائرهم الدينية، قد أصبحوا في هذا الزمان يتقمون من المسلمين ما صنعوه إليهم في تلك المدة المديدة من الإحسان، فجعلوا يقتلون رجالهم الصالحين بالفتك والغيلة والقتال، ويقتلون ذرارهم، ويهتكون أعراضهم، ويخربون معابدهم وبيوتهم ولا يرقبون فيهم إلاّ ولا ذمة وأولئك هم المعتدون.

فسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين نصراً عزيزاً، ويجعل لهم من لدنه سلطاناً نصيراً، وأن يخذل هذا القوم الذين لم يراعوا حق المسلمين، ويضرب عليهم الذلة والمسكنة، ويجعلهم أذل الأمم، ونرجو من إخواننا المؤمنين ببلاد إيران وغيرها أن يجتمعوا في الدعاء عليهم بالخذلان، ولإخوانهم المسلمين بالنصر والغلبة.

اللهم انصر جيوش المسلمين وسراياهم ومرابطيهم في مشارق الأرض ومغاربها، واخذل أعداءهم وفرّق بين كلمتهم، والحق الرعب في قلوبهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين، وصل على أشرف أنبيائك محمد وآله المنتجبين.

حسين الطباطبائي

ج . مشاريعه الخيرية

كان السيد البروجردي بحق من مصاديق قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١) فقد كانت له في القلوب محبة عريقة وود أصيل ، وفي الوقت نفسه عظمة ومهابة ، وكانت مهابته تملأ القلوب ، وقد اكتسب ذلك الحب بخدماته الجليلة طيلة عمره لا سيما مشاريعه الخيرية ، فقد بُنيت بأمره وتحت إشرافه مساجد في إيران وخارجها ومدارس علمية ومستوصفات ، حتى أنه ﷺ في عام المجاعة في بروجرد بذل جَلَّ ما يملك للفقراء .

ومن أهم مشاريعه العمرانية مسجد «هامبورغ» الذي هو ملجأ لعامة المسلمين في تلك البلاد النائية يقام فيه الجمعة والجماعة ، وتحضره عامة الطوائف في مختلف الأوقات .

د . نشر الإسلام

كان السيد البروجردي على إيمان بأن الغرب لو اطلع على حقيقة الإسلام لرغب إليه بشوق ، فإن الغرب وإن كان نهض ضد القيم الأخلاقية ، إلا أن فيه رجالاً واعين لو وقفوا على الإسلام لاعتنقوه ، وفي ظل تلك العقيدة بعث نخبة من فضلاء الحوزة إلى ألمانيا ، فصار ذلك سبباً لتوثيق الصلة بين جامعة قم الإسلامية والمراكز العلمية فيها ، كما بعث دعاة إلى سائر نقاط العالم .

هـ. إحياءه للتراث الشيعي

إن علماء الإمامية قاموا بخدمات جبارة من خلال تأليف موسوعات وكتب ورسائل في مختلف العلوم، لكن ممّا يؤسف له أنّ أكثر هذه الكتب رهينة محبين: رداء الطباعة، وعدم اطلاع المحققين على هذه الكتب؛ فشمّر^(١) عن ساعد الجد وقام بنشر كثير من المخطوطات التي لم تر النور، ويمكن أن تعدّ الكتب التالية من ثمرات جهوده على هذا الصعيد:

- «الخلاف» للشيخ الطوسي فقد طبع في جزئين في مجلد واحد.

- «قرب الإسناد» للحميري.

- «مفتاح الكرامة» للسيد محمد جواد العاملي: الجزء التاسع والعاشر.

- «جامع الرواة» للأردبيلي.

- «النص والاجتهاد» للسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي.

ومن أهمّ ما قام به هو أنّه أشار إلى الشيخ محمد تقي القمي الأمين العام لجماعة دار التفرّيق أن يقوم بنشر «المختصر النافع» للمحقّق الحلّي، فقد كان لنشر هذا الكتاب صدى عظيم في الأوساط العلمية في القاهرة، حتى نفذت نسخته الناهزة ستة آلاف خلال شهرين.^(١)

و. خلقه

كان السيد الراحل بحق إنساناً أخلاقياً، أبي نفسي، متواضعاً، خائفاً

١. انظر كيفية نشره ومدى تأثيره في الأوساط العلمية في مصر، رسالة الإسلام، العدد الثالث من

من الله سبحانه و كان في نهاية العام الدراسي يعظ الحاضرين في مجلس درسه وابتدى كلامه بتلاوة الآية المباركة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١) فإذا عيناه تمتلئ بالدموع وتسيل على وجهه، وهو بعد لم ينبس ببنت شفة.

وقد بلغ من شعفه بأهل البيت عليهم السلام لا سيما الإمام الحسين عليه السلام أن دموعه كانت تتقاطر دون انقطاع كلما ذكر.

ز. حبه للعلم والعلماء

كان السيد البروجردي يحب العلم والعلماء من كافة الطبقات، وكان يقدم الحوار العلمي على سائر الحوارات، ومع كبر سنه إذا دخل مجلسه كبير من العلماء يقوم له احتراماً ولو بمعونة الآخرين.

وبما أن كاتب هذه السطور أدرك من حياة السيد قرابة خمسة عشر سنة، وتلمذ عليه سنين عديدة، فإنه يحتفظ بذكرات عطرة عنه يضيق بنقلها المجال.

هكذا كانت حياة سيدنا الراحل، فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم مات، ويوم يبعث حياً.

جعفر السبحاني

قم - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

٢١ رمضان المبارك من شهر عام ١٤٢١ هـ ق

العلامة المحقق الشيخ محمدعلي بن محمد

طاهر الخياباني التبريزي المشهور بالمدرّس (١٢٩٦-١٣٧٣هـ)

المدرّس الخياباني رائد العلم و الأدب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله
الطاهرين، الغر الميامين

أما بعد، فإنّه سبحانه - بمقتضى حكمته - لم يخلق الإنسان سدى، وهو
القاتل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾^(١) و﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُون﴾^(٢).

ثمّ إنّهُ سبحانه عزّز تحقيق تلك الغاية السامية ببعث أنبيائه ورسوله،
وإنزال الكتب معهم ليُرِي معالم الحق ومزالق الباطل عبر القرون والأجيال، إلى أن
بعث الله سبحانه محمداً - نذيراً و بشيراً بالحق - لإنجاز عدته وإتمام نبوته،
مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل
متفرقة، وأهواء متشعبة، وطرائق مشتتة، بين مشبه لله بخلقهِ، أو ملحد في أسماهِ،
أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجلالة.

١. المؤمنون: ١١٥.

٢. الذاريات: ٥٦.

بعثه سبحانه بدلائل ساطعة، ومعاجز باهرة، يحتج بها على الناس، و من معاجزه الخالدة شريعته المتبلورة في الواجبات والمندوبات والمكروهات والمحرمات على مختلف الأصعدة.

إنَّ شريعة كشيعة الإسلام والتي تُلبي كافة متطلبات الإنسان في ماضيه وحاضره ومستقبله لا يمكن أن تصدر عن إنسان مهما بلغ من الفكر والتعمُّل ما لم تدعمه السماء، و يتجلَّى ذلك بوضوح في شموليتها للأحكام الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من جوانب حياة الإنسان.

لا شكَّ أنَّ القرآن هو معجزة النبي ﷺ الخالدة بيد أنَّ هناك معاجز أُخرى غير القرآن ومن أبرزها تشريعات الإسلام وأحكامه الواردة في الكتاب والسنة لا سيما المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فإنَّ تلك الشار اليناعة التي تتجواب مع فطرة الإنسان ولا تختلف عنها قيد شعرة، لدليل واضح على أنَّها ليست ثمرة تُوَّي أكلها في حين دون حين، بل هي ثمرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. ثمَّ إنَّ الفقهاء على مرَّ العصور تداولوا أمر هذه الشريعة بالبحث والدراسة والتحليل حتى خرجوا بتأثير باهرة في مجال الفقه والأحكام فكتبوا موسوعات وكتباً ورسائل لغايات شتى.

فالموسوعة لمن رام خوض غمار الفقه واقتحام مجتته، والكتب الفقهية للمتوسطين في هذا الفن، وأمَّا الرسائل والمتون الفقهية فقد وضعوها للمبتدئين.

ومن حسن الحظ أنَّ مؤلفنا الكبير - الذي نحن بصدد تسليط الأضواء على جانب من سيرته - أعني: الإمام جمال الدين أبا منصور الحسن بن يوسف بن المطهر المعروف بالعلامة الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ) قد برع في هذا الفن براعة لا يدانيه أحد، فألف موسوعات فقهية ذات مجلدات ضخمة كـ «تذكرة الفقهاء»،

و«متهى المطلب» وغيرها.

كما ألف كتباً متوسطة في الفقه بين الاختصار والاستيعاب كـ«قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام»، و«تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية»، و«نهاية الأحكام في معرفة الأحكام».

كما قام بتأليف متون مختصرة للمبتدئين كـ«إرشاد الأذهان إلى أحكام الإسلام» و«تبصرة المتعلمين».

وهذا الكتاب الأخير الذي نحن بصدد التقديم لشرح من شروحه قد استأثر باهتمام واسع حيث أكتب عليه العلماء بالدراسة والتعليق والشرح حتى تجاوزت الشروح والتعليق عليه ٣٠ شرحاً، أورد أسماء طائفة كبيرة منها الشيخ الطهراني في ذريعته^(١)، كما تجد أسماء ٣١ شرحاً في مقدمة محقق كتاب شرح التبصرة للشيخ ضياء الدين العراقي^(٢).

كما ذكر قسماً منها زميلنا المغفور له السيد عبد العزيز الطباطبائي^(٣).

وهذا الإقبال الواسع من قبل العلماء والفقهاء دليل على أنّ الكتاب قد حاز شهرة واسعة في الأوساط العلمية.

هذا ويعرفه مؤلفه العلامة الحلي بقوله: هذا الكتاب الموسوم بتبصرة المتعلمين في أحكام الدين وضعناه لإرشاد المبتدئين وإفادة الطالبين مستمدين من الله المعونة والتوفيق فإنه أكرم المعطين^(٤).

١. الذريعة: ٣/ ٣٢١-٣٢٢.

٢. شرح التبصرة للشيخ ضياء الدين العراقي: ١/ ١١، قسم المقدمة.

٣. مكتبة العلامة الحلي: ٧٦.

٤. تبصرة المتعلمين: خطبة الكتاب.

تزامن الجمود والازدهار في عصر واحد

انتاب الفقه في البيئات الشيعية في القرن السادس والسابع موجة من الازدهار والنضوج على يد فقهاء كبار.

كالشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن هبة الله بن نيا المشتهر بابن نيا (المتوفى عام ٦٤٥هـ).

وجعفر بن حسن بن عيسى المشتهر بالمحقق الحلي (٦٠٢-٦٧٦هـ) صاحب كتاب الشرائع وهو غني عن الإطراء والتعريف.

و نجيب الدين يحيى بن سعيد الهذلي (٦٠١-٦٩٠هـ).

إلى غير ذلك من مشايخ الفقه والاجتهاد.

وقد تربي العلامة على يد الأخيرين من مشايخه في الحلقة التي بلغ عدد الفقهاء فيها يومذاك ما يربو على ٤٤٠ فقيهاً^(١) فكان عصره عصر الازدهار الفقهي حيث تم فيه تخريج حجم هائل من الفروع على وجه لا نجد له مثيلاً من بين سائر العصور.

وهذا كتابه «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» مشحون بتخريج الفروع واستنباط الأحكام من الأصول.

في حين أن الفقه السنّي في ذينك القرنين دخل مرحلة الخمود والجمود وضمور الإبداع، يقول مصطفى أحمد الزرقاء في معرض حديثه عن القرن السابع: وفي هذا الدور أخذ الفقه بالانحطاط، فقد بدأ في أوائله بالركود وانتهى في أواخره

إلى الجمود، وقد ساد في هذا العصر الفكر التقليدي المغلق، وانصرفت الأفكار عن تلمس العلل والمقاصد الشرعية في فقه الأحكام إلى الحفظ الجاف، والاكتفاء بتقبل كل ما في الكتب المذهبية دون مناقشة، وطفق يتضاءل ويغيب ذلك النشاط الذي كان لحركة التخريج والترجيح والتنظيم في فقه المذاهب، وأصبح مرید الفقه يدرس كتاب فقيه معين من رجال مذهب فلا ينظر إلى الشريعة وفقهها إلا من خلال سطورها، بعد أن كان مرید الفقه قبلاً يدرس القرآن والسنة، وأصول الشرع ومقاصده.

وقد أصبحت المؤلفات الفقهية - إلا القليل - أواخر هذا العصر اختصاراً لما وجد من المؤلفات السابقة أو شرحاً له، فانحصر العمل الفقهي في ترديد ما سبق، ودراسة الألفاظ وحفظها، وفي أواخر هذا الدور حل الفكر العامي محل الفكر العلمي لدى كثير من متأخري رجال المذاهب الفقهية.^(١)

المصنف في سطور

إنّ العلامة الحلّي غني عن الإطراء والتعريف، فقد ذكره غير واحد من كبار علماء الفريقين.

فهذا هو الصفدي يعرفه بقوله: الإمام العلامة ذو الفنون، عالم الشيعة وفقههم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته، إلى أن قال: وكان إماماً في الكلام والمعقولات.^(٢)

١. المدخل الفقهي العام: ١/١٨٦-١٨٧، ط دارالفكر.

٢. الوافي بالوفيات: ١٣/٨٥، برقم ٧٩.

وعرّفه ابن حجر في لسان الميزان بقوله: عالم الشيعة وإمامهم، ومصنفهم، وكان آية في الذكاء، وكان مشتهر الذكر، حسن الأخلاق.^(١)

لقد كان العلامة الحلبي ملماً بشتى العلوم الإسلامية المعروفة آنذاك دراسة وتدریساً وتأليفاً وكان أثره واضحاً على جميع من تلمذ عنده، أمثال:

١. فخر المحققين (٦٨٢-٧٧١هـ)، وكفى في جلاله قدره وطول باعه ما ذكره الفيروز آبادي (٧٢٩-٨١٧هـ) صاحب «القاموس المحيط» في حقه، حيث قال: ... عن شيخني ومولاي، علامة الدنيا، بحر العلوم، وطود العلي، فخر الدين، أبي طالب، محمد بن الشيخ الإمام الأعظم، برهان علماء الأمم، جمال الدين أبي منصور، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلبي.^(٢)

٢. مجد الدين أبو الفوارس محمد بن علي بن الأعرج الحسيني، يعرفه ابن الفوطي بقوله: اجتمعت به عند التقيب علي بن موسى بن طاووس، وقال: رأيت جميل السمة، وقوراً، ديناً، عالماً بالفقه.^(٣)

ورثاه صفي الدين الحلبي بقصيدة مطلعها:

صروف الليالي لا يدوم لها عهد وأيد المنايا لا يطاق لها ردة^(٤)

٣. ولد أبي الفوارس عميد الدين بن عبد المطلب (٦٨١-٧٥٤هـ).

٤. نجله الآخر ضياء الدين بن عبد المطلب (كان حياً ٧٤٠هـ).

١. لسان الميزان: ٣١٧/٢.

٢. الجاسوس على القاموس، تأليف أحمد فارسي أفندي: ١٣٠.

٣. مجمع الآداب في معجم الألقاب: ٥١٩/٤.

٤. ديوان صفي الدين الحلبي: ٣٧١.

٥. مهتأ بن سنان بن عبد الوهاب الحسيني المدني (المتوفى عام ٧٥٤هـ).
 وقد ألف كتاباً أجاب فيه على عدّة مسائل، أسماه «المسائل المهنية».
 إلى غير ذلك من الشخصيات اللامعة في سماء الفقه والأصول والكلام.
 لا شك أنّ العلامة الحلّي قد خلف تراثاً علمياً ضخماً أغنى المكتبة
 الشيعية، تمثل في مؤلفاته وتصانيفه فقد خاض في أكثر العلوم الإسلامية من فقه
 وكلام وأصول ورجال وتفسير وفلسفة ومنطق إلى غير ذلك.
 وكفى أنّه ألف في حقل المعقول والكلام ما يربو على ٢٠ كتاباً ورسالة، كما
 أنّه ألف في حقل الفقه عدة دورات بين موسوعة وكتاب ومختصر.
 فأثاره المتنوعة تتم عن نبوغه ونظرة الثاقب واستيعابه كافة العلوم.
 وقد سردنا أسماء مصنفاته في المعقول عند تقديمنا لكتاب «نهاية المرام في
 علم الكلام» كما ذكرنا أسماء مصنفاته في الفقه في كتابنا «تذكرة الأعيان»^(١).
 ومن آثاره الفقهية المختصرة كتاب «تبصرة المتعلمين في أحكام الدين».
 والكتاب بوجازته وسلاسة ألفاظه صار موضع اهتمام الفقهاء منذ عصر مؤلفه إلى
 يومنا هذا فتولوه بالشرح والتعليق، والذي منها شرح أستاذنا الكبير، العلامة
 المحقق الشيخ محمد علي بن محمد طاهر الخياباني التبريزي المشهور بالمدرس
 (١٢٩٦-١٣٧٣هـ).

وبما أنّ الشارح أحد أساتذتي الكبار و كان قدوة لي، وإرشاده معيناً لي على
 شقّ طريقي الحافل بالأشواك، فيسرنى أن أكتب شيئاً عن سيرته وترجمته وما عاناه
 من الظروف الحالكة التي مرّت به، وزادت عليه أنّه بقي مغموراً الذكراً، مجهولاً

القدر رغم تضلّعه وبراعته في أغلب العلوم الإسلامية.

ترجمة الشارح وسيرته الذاتية

ولد رحمته في مدينة تبريز عام ١٢٩٦ هـ، فقرأ الأدب الفارسي والعربي في مسقط رأسه على مشايخ عصره، فبلغ في الأدب العربي مقاماً شامخاً حيث درس المعلقات السبع والمقامات الحريية وغيرها من كتب الأدب، و من فرط شغفه بها أنه راح يحفظ عن ظهر قلب كلّ ما وقع عليه بصره، من المتون، كتهذيب المنطق، وألفية بن مالك وغيرهما.

وفي ظلّ اختباره بالأدب العربي ألف كتاب «غاية المنى في تحقيق الكنى» فقد جمع في ذلك الكنى الرائجة في لغة العرب المستعملة في غير الإنسان.

كما قام بجمع ما أثر من الأشعار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وجمعها في ١٢ باباً على عدد الأئمة الاثني عشر، فشرح لغاتها المشكّلة.

والحقّ أنّه كان أستاذاً بارعاً في الأدب العربي بالمعنى الرائج في ذلك الزمان، ولم يكتف بذلك بل أنّه راح يتردد على إندية دروس الفقه والأصول لمراجع عصره وفضاحل دهره، أمثال:

١. المرجع الديني الفقيه السيد أبو الحسن المعروف بالأنججي (١٢٨٢-١٣٥٧ هـ).

٢. المرجع السديني المحقق الأغا ميرزا صادق التبريزي (١٢٧٤-١٣٥١ هـ).

فقد طوى عليهما من عمره الشريف أعواماً لا يستهان بها فألف في مجال

الفقه طيلة تتلمذه على العلمين الجليلين كتاب «حياض الزلازل في رياض المسائل» تعليقة على الشرح الكبير المعروف بـ«رياض المسائل»، ألفه عام ١٣٢٤ وقد ناهز من العمر ٢٨ عاماً.

إن شيخنا الأستاذ مع أنه كان فقيهاً أصولياً ولكن شغفه بتعلم ما راج من العلوم دفع به إلى الحضور في دروس المعقول والكلام على يد الشيخ ميرزا علي اللنكراني الذي كان من تلاميذ الفيلسوف الكبير المعروف بـ«جلوة»، كما برع في الرياضيات والهيئة على يد الأستاذ ميرزا علي المعروف بـ«المنجم» وقد بلغ ولعه بالعلوم الإسلامية بمكان أنه قام بمفرده بكتابة دائرة معارف أسماها «قاموس المعارف» و«سيوافيك شرحها».

كلمات العلماء في حقه

١. يعرفه معاصره المؤرخ الحاج ميرزا علي الواعظ الخياباني بقوله:

عالم، محقق، نحير، وفاصل مضطلع خبير، حبر أديب أعلم، وبحر زاخر عيلم، جامع فنون الفضائل والكمالات، حائر قصب السبق في مضامير السعادات، عالم، بارع، جامع، ما من علم من العلوم إلا قد حلّ في أعماقه، وما من فن من الفنون إلا وقد شرب من عذبه وزعافه، كانت له في اقتناء العلم والأدب همة تراحم الأفلاك وتزاعم بعلو قدرها الأملاك.^(١)

٢. ويعرفه أيضاً سيدنا الجليل السيد محمد الحجة في إجازته له بقوله: لقد

استجاز منّي في الرواية ونقل أحاديث أهل بيت العصمة العالم العامل، والفاضل

الكامل أبو الفواضل والفضائل، قرة عين الفضل والكمال، وقرّة جبين العلم والإفضال، صاحب المقامات العلمية والعملية وحاوي المكارم الصورية والمعنوية.^(١)

٣. كما يعرفه العلامة الحجة السيد هبة الدين الشهرستاني بقوله: شيخنا الأجل الأفضل انموذج عصابتنا البعثة في العصر الأول، حضرة العالم الفاضل والمحدث المحقق الكامل، صفوة المؤلفين الأمثال، ولينا الصفي الروحاني، المولى محمد علي التبريزي الخياباني (حياه الله وجاه بنيل الرغائب والأمان).^(٢)

مشايخ روايته

لقد استجازني من مشايخ عصره فأجازوا له الرواية بأسانيدهم المذكورة في إجازاتهم، منهم:

١. العلامة الحجة السيد محمد الحجة الكوهكمري (١٣٠١-١٣٧٢هـ) فقد أجازته وصرح بكونه ممن ارتقى من حضرة التقليد إلى أوج الاجتهاد.
٢. السيد السند آية الله السيد صدر الدين الموسوي العاملي (١٢٩٩-١٣٧٣هـ)، فقد أجازته أن يروي عنه كما صرح في اجتهاده.
٣. المرجع الديني السيد محسن الحكيم (١٣٠٦-١٣٨٩هـ) فقد أجاز له أن يروي عنه كلياً صحت روايته عنه.
٤. الشيخ والمصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣هـ) فقد أجازته أن يروي عنه.

١. ربحانة الأدب: مقدمة الجزء الثامن.

٢. المصدر نفسه.

٥. العلامة الحجّة الشيخ عبد الحسين الرشتي.

إلى غير ذلك من مشايخ إجازته الذين أجازوا للمؤلف وأطروه و قدروا جهوده و ثَمَّنوا كتبه.

وقد طبعت صور الإجازات في مقدمة الجزء الثامن من كتابه ریحانة الأدب.

آثاره العلمية

لقد كان شيخنا الفقيه يفضّل برفقته الثمين منذ أوان شبابه إلى أن وافته المنية. فلم يكن يهتم إلا بالتدريس والمطالعة والكتابة، وقلما تجده يغادر داره إلا لحاجات ضرورية، وبلغ به الأمر أنه كان يعقد أندية دروسه في داره، ولأجل ذلك خلّف آثاراً جلييلة في مختلف العلوم، وكان بعض تآليفه بمفرده يستوعب عمر كاتب، وإليك الإشارة إلى تلك الآثار وفقاً لتسلسلها الزمني:

١. «حياض الزلائل في رياض المسائل» تعليقة على قسم الطهارة من رياض المسائل، الذي كان كتاباً دراسياً في أكثر الجامعات الإسلامية نظراً لعمقه ودقته. وهو مشحون بالأمر بالتأمل في أكثر مسائله، وقد فرغ شيخنا الأستاذ من تعليقه عام ١٣٢٤ هـ ويقع في ٤٢٨ صفحة من القطع الوزيري، وهو بعد لم ير النور.

٢. «غاية المنى في تحقيق الكنى» والكتاب لبيان الكنى العربية المستعملة في غير الإنسان، فرغ منه عام ١٣٣١ هـ.

٣. «قاموس المعارف» وهو بيت القصيد في تآليفه، ويعد دائرة معارف باللغة الفارسية يحتوي على ٤٥٠٠٠ عنوان دارجاً في اللغة الفارسية سواء أكان

أصيلاً أم دخيلاً، فقد قام بشرح ما يرجع إلى الكلام والفلسفة، والمثل والنحل، والنجوم، والرياضيات، والعروض، والتاريخ، والأدب وغير ذلك، و فرغ منه عام ١٣٤٥ هـ.

وقد سمعت منه رحمه الله أنه استغرق تأليفه ١٧ عاماً واشتملت مقدمته على قواعد اللغة الفارسية، وهي جديرة بطبعها على حدة، والكتاب يقع في ستة مجلدات ضخام، يبلغ عدد صفحاتها ٤٠٠٧ صفحات. والكتاب لم ير النور عسى أن يقبض الله له الهمم العالية لنشره وتحقيقه.

وهو رحمه الله يصف الظروف الصعبة التي قام بتأليف هذا الكتاب فيها بقوله:

«وشرعت بعد الاستمداد من العناية الإلمية في تأليف كتاب «قاموس المعارف» الذي يحكي لفظه عن معناه واسمه عن مسماه حتى انتهت أيام حياتي إلى سنة ست وثلاثين من هجرة سيد البشر (١٣٣٦ هـ) التي وقائعها نموذج من وقائع المحشر، فابتليت بحوادث جمّة وفجائع عمّة، واختلت الأحوال بحيث صار الفؤاد في غشاء من نبال، وذلك لتلاطم أمواج الفتن، وتراكم سحائب المحن في كافة بلاد إيران ولا سيما اذربايجان و خصوصاً الأهل والاخوان، فلقد جرّد الدهر عليهم سيف العدوان، فطرح الأوراق في زوايا الهجران متلهفاً على فراق الأحبة، ومتأسفاً على مفارقة الأعرّة.

مضافاً إلى القحط الشديد والغلاء الأكيد مع شيوخ مرض الحصبة فهلك جمع كثير وجم غفير بين الوباء والجوع، فبقيت على تلك الحال غريقاً في لجاج الملال، بحيث لا أعرف اليمين من اليسار، ولا الليل من النهار.

ثم يذكر أنه عاد إليه شغفه وشوقه بالدراسة والكتابة، فرجع إلى ما جمع

وأكمل الكتاب بفضل من الله سبحانه. (١)

ويشير شيخنا الأستاذ إلى الظروف الصعبة التي مرّ بها، وتلخص في النقاط التالية:

أ. نشوب الحرب العالمية الأولى وتطايير شررها من الغرب إلى الشرق حتى وصلت إيران، فأصبحت ميداناً تجول فيه القوات الغازية كالقوات العثمانية والتزارية والانكليزية في ظروف مختلفة.

ب. نفشي الوباء والجوع في المنطقة.

ج. نشوب الفتن والحروب الداخلية بين مؤيدي ثورة الدستور ومخالفهم، وكان لاذربايجان السهم الأوفر من هذه الفتن والمحن حيث دارت الحروب الأهلية في مدينة تبريز شهوراً بل أعواماً على قدم وساق.

ففي خضم هذه الأوضاع الصعبة للغاية قام المؤلف بتأليف «قاموس المعارف» بعد نكسة ألمت به إبان تأليفه، مما ينم عن شغفه بالعلم، وتفانيه في التأليف.

٤. «فرهنگ نوبهار» معجم باللغة الفارسية يحتوي على ١٩ ألف كلمة، طبع عام ١٣٤٨ هـ في تبريز في جزءين.

٥. «فرهنگ بهارستان» جمع فيه الكلمات المترادفة في اللغة الفارسية على غرار «سرّ الأدب» للشعالي في اللغة العربية، فرغ منه عام ١٣٤٨ هـ.

٦. «الدر الثمين أو ديوان المعصومين» جمع فيه الأشعار المنسوبة إلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وبيّن لغاتها وأوضح معانيها، والكتاب بديع في بابه وهو ينم عن

١. ترجمة المؤلف في آخر التحفة المهديّة بقلمه: ١١٤.

تصلّعه بالأدب العربي، وقد طبع الجزء الثاني منه تحت عنوان «التحفة المهدوية» عام ١٣٥٤ هـ دون الجزء الأول. وقد قامت مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام في قم المقدسة بتحقيق الكتاب ونشره، عام ١٤٢٦ هـ/ق/ ١٣٨٣ هـ.ش.

٧. «نثر اللاكفي في شرح نظم اللاكفي» والمتن للسيد أبي القاسم المقرئ المعروف في عهد شاه عباس الثاني، فرغ من تأليفه ١٣٦٣ هـ وقد طبع على الحجر بخط الكاتب طاهر خوشنويس، وقد قرأت المتن على يد شيخنا الأستاذ وكان يبيّض في ذلك الحين شرحه.

٨. «فرهنگ نگارستان» معجم كبير باللغة الفارسية في ٥ مجلدات كبار من القطع الوزيري يحتوي على ٥٥ ألف لغة بين مفرد ومركب، وقد بلغ عدد صفحاته ٣٣١٥ صفحة، فرغ منه عام ١٣٥٩ هـ والكتاب نفيس في بابه لم ير النور.

٩. «الأمثال والحكم» الدارجة في اللغة التركية الأذرية، يقع في ٣٠٧ صفحات أورد فيه الأمثال والحكم الشائعة بين الأذريين جمعها من الكتب وأفواه الرجال.

١٠. «ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب»، والكتاب يحتوي على تراجم العلماء والفقهاء والفلاسفة والحكماء، والعرفاء والأطباء والشعراء والأدباء والمحدثين وأصحاب أئمة أهل البيت الذين اشتهروا بالكنية أو اللقب، والكتاب باللغة الفارسية فريد في بابه، طبع عدة مرات.

وهو من أهم المصادر في التراجم اعتمد عليه - منذ نشر - العديد من المحققين والكتّاب، يقع في ثمانية أجزاء من القطع الوزيري، فرغ من تأليفه عام ١٣٦٤ هـ، ومع ذلك فكان يملأ ما تخلله من نقص بإضافات هامة.

والناظر في الكتاب يقف على مدى ما كابده وعانى في سبيل تأليف هذا

الكتاب وجمع شوارده، وقد ضمَّ إلى ترجمته ما وقف على صور المترجمين وخطوطهم وقد كان هذا النوع من التأليف جديداً في بابه يوم ذاك، و كان يتمثل في التعريف بهذا الكتاب بقول القائل:

وقد اهديت ریحاناً ظریفاً به حاجيت مستمعي مقالي
وریحان النبات يعيش يوماً وليس يموت ریحان المقال

١١. «كفاية المحصلين في تبصرة أحكام الدين» وهو شرح مزجي لتبصرة العلامة الحلبي في جزعين فرغ من تأليفه عام ١٣٤٩ هـ. وهو رحمته يبيّن ملامح شرحه لهذا الكتاب، ويقول:

لإني رأيت كتاب «تبصرة المتعلمين في أحكام الدين» للعالم البارع، والنور الساطع، حافظ ناموس الهداية، وكاسر ناقوس الغواية، مكسر شوكة المخالفين جمال الملة والدين آية الله في العالمين، العلامة على الإطلاق المشتهر في الآفاق أبي منصور حسن بن الشيخ صدر الدين يوسف بن علي بن مطهر الحلبي رحمته مع إيجازه محتوياً على رؤوس الأحكام الدينية وأمّهاتها، مع اختصاره مشتملاً على جلّ الفروع والفقهية ومهمّاتها، ولم يكن له شرح يكشف الحجاب عن معضلاته، ويرفع النقاب عن مشكلاته، فحداني ذلك إلى كتابة وجيزة فاتحة لمخلقه، ومقيّدة لمطلّقه. فاستعنت بالله وتوكلت عليه، وأضفت هذه الفوائد إليه، مراعيّاً فيه شريطة الاختصار، ومتجافياً عن وصمة الإطالة والإكثار، فإنّ الإيجاز قد يُخلّ، والإطناب قد يُملّ، ولم أعمد في الأغلب إلا على تنقيح مقاصده ومبانيه، وتوضيح ألفاظه ومعانيه، فإنّ التفسير غير الرد، والتقرير غير النقد.^(١)

وقد طبع الجزء الأول منه عام ١٣٥٤ هـ بالطبعة الحجرية، ومنذ ذلك الحين تداولته الأيدي بالمطالعة والدراسة، وبقي الجزء الثاني مغموراً، محفوظاً في مكتبته رحمته كسائر آثاره التي لم تر النور.

ولما كان لهذا الكتاب عناية خاصة بتبيين مقاصد الماتن على وجه يزيل كل إبهام وغموض، وذلك بجعل الشرح ممزوجاً في المتن كأنها صدرا من كاتب واحد، طلب غير واحد من أساتذة الجامعات الإسلامية من نجله الفاضل الأستاذ علي أصغر مدرس طبع الجزءين بصورة تتلاءم مع روح العصر. وقد أوكل - حفظه الله - هذه المهمة إليّ فبعث بالكتاب مع الجزء المخطوط، وبقي عندي إلى أن اقترحت على زميلنا العزيز الدكتور مهدي محقق أستاذ جامعة طهران، ورئيس قسم صيانة الآثار الوطنية، أن يقوم بنشر هذا الكتاب لما للمؤلف من حقوق على العلم وأهله عامة، وعليه خاصة. وقد استجاب لطلبي مشكوراً على أن يطبع الكتاب تحت إشرافي بحلة قشبية.

فقامت لجنة التحقيق في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام بتحقيق الكتاب وتشكيل ما أبهم من الكلم، وفصل المتون عن الشرح بأقواس خاصة مع تخريج مصادره، وجعل عناوين في الكتاب للمسائل الهامة إلى غير ذلك من المهام الرائجة في تحقيق الآثار الخطية.

ومؤسسة الإمام الصادق عليه السلام تقدم باقة الزهور هذه لرواد الفقه في الجامعة الإسلامية على أمل أن تعطر مشامهم برياحينها شاكرة للأستاذ الدكتور مهدي محقق مساهمته في سبيل نشر الكتاب على وجه لولاه لبقني الكتاب رهين الرفوف كسائر آثار المؤلف المخطوطة.

ملاحم من سيرته

كان لشيخنا الفقيه ملاحم خاصة في حياته، تعد من أبرز سمات خلقه وسلوكه، ونحن نشير إلى ما لمسناه منه طيلة مصاحبتنا وتلمذنا عليه.

١. كان رحمته مولعاً بالعلم، مشغولاً بالمطالعة والكتابة، وكان يثمن وقته ولا يضيعه ولا يصرقه إلا فيما هو ضروري، وقد لازمته عدة سنين فما رأته إلا بين مطالع وكتاب وحافظ للمتون والأسفار، أو محاضر يلقي محاضراته على تلامذته، ويكفي في شغفه بالعلم أنه إذا وقف على نكتة علمية أو كشف مجهولاً يلتذُّ به أكثر مما يلتذُّ به الملوك عند فتح البلدان والاستحواذ على كنوزها، وكان لسان حاله في تلك اللحظات السعيدة، قول القائل: أين الملوك وأبناء الملوك.

٢. شارك رحمته في أكثر العلوم الرائجة المتداولة في ذلك الزمان فكان متضلماً في بعضها ومشاركاً في البعض الآخر، فهو في الأدب العربي أديب ماهر، وفي الفقه فقيه بارع، وفي الرياضيات والنجوم أستاذ محنك، وفي التاريخ أستاذ بلا منازع، وفي الأدب الفارسي ذا باع طويل قلماً يدانيه أحد.

إلى غير ذلك من العلوم والفنون التي حازها وحفظ نكاتها واستجلى غوامضها، فكنت أتعجب من إحاطته بشوارد العلوم وغوامضها.

ومن الجميل أن تمثل في حقه بقول شاعر المعرفة حينما زار بغداد و عاد إلى موطنه ومثّل عن الشريف المرتضى بعد عودته فقال:

يا سائلي عنه فيما جئت تسأله ألا هو الرجل العاري من العار
لو جتته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والأرض في دار

٣. غادر المترجم رحمته موطنه عام ١٣٦٤ هـ ونزل العاصمة «طهران» وسكن في إحدى المدارس القديمة بغية طبع كتابه «ريحانة الأدب»، وقد قارب عمره السبعين فكان لا يعرف الغربية ولا العزلة ولا الحرمان من الطعام والشراب ولا مفارقة الأهل والعيال، وقد تحمل العناء المُضني في سبيل نشر كتابه وقام بمفرده بتقديم ملازم الكتاب إلى المطبعة وتصحيح أخطائه مرة بعد أخرى، وتنظيمه وترتيبه إلى أن خرج آخر جزء منه من المطبعة، وقد استغرق من عمره سنين. وفي الوقت نفسه كان يلقي محاضرات لطلاب المدرسة كي يستحل بذلك السكن فيها.

وقلما نجد إنساناً طاعناً في السن يترك الأهل والعيال ويغادر موطنه ويعيش غريباً وحيداً في زاوية من زوايا المدرسة لغاية علمية إلا الأمل فالأمل من الرجال الذين لهم همم عالية تسمو على هذه العلائق والرغبات، وتُقدم الأمانة على الراحة، وكان شيخنا الأستاذ من أبرز هؤلاء.

٤. كان رحمته مثالاً بارزاً لإبساء النفس، وإظهار الغنى، و كان ذلك سبباً لقضاء معظم حياته بالفقر من دون أن يطلع عليه أحد من جيرانه ولا أقربائه. وكان يتموّل بما يرجع إليه الناس في تحرير ما يحتاجون إليه في مجال الزواج والنكاح والأقارب والوصايا إلى غير ذلك مما كان دارجاً في عصره، وكان المرجع في ذلك عالم البلد من دون أن يكون هناك مؤسسة خاصة تتبني هذه الأعمال. ولم يكن يستفد من ذلك إلا الشيء القليل الذي يسدُّ به رمقه وحياته، لأنه كان يرى ذلك سبباً لتضييع الوقت.

٥. أنه تمتع بذهنية منفتحة، وكان يرحّب بالوسائل والأساليب الجديدة في عالم التعليم والتربية أو سائر مظاهر الحياة، إذ لم يكن مخالفاً للدين، ويرى الرغبة

عنها جهلاً بالمصالح، وقد لاقى في ذلك ﷺ من المحن والكوارث ما لا يروقني ذكرها.

٦. كان ﷺ يتمتع بذاكرة وقادة لا ينسى ما حفظ، ولأجل ذلك يقرأ عن ظهر قلب كل ما حفظه أو ان شبابه وكهولته وشيوخه من دون أن ينسى كلمة أو يقرأ آية أو شعراً خطأ، وبذلك كنا نسمع منه غرائب الأمثال وعجائب الحكايات وبدائع الأشعار في جميع الأبواب.

٧. بيا أنّ شخصيته كانت ذائبة في العلم والعرفان والكتابة والتدريس فكانت سائر الأمور عنده أمراً هامشياً، لذلك كان زاهداً في لباسه ومسكنه ومأكله فلا يظهر الرغبة في شيء من زخارف الدنيا إلا إذا كان سبباً لنيل بغيته.

ومن عجيب الأمر أنّ المترجم عاش في بيئة زخرت بالعلم والعلماء ومراجع التقليد، وعلى الرغم من ذلك فقد شاءت الأقدار أن يغمر ذكر العديد منهم ويجهل قدرهم دون أن يعلم بهم الناس، أمثال:

أ: العلامة الأوحد الشيخ موسى بن جعفر بن أحمد التبريزي من تلاميذ شيخنا الأنصاري والمرجع الكبير السيد حسين الكوهكمري مؤلف «أوثق الوسائل في شرح الرسائل» فقد كان بحراً عيلاً في الفقه والأصول، ومع ذلك كان مغموراً الذكر إلا شيئاً لا يذكر.

ب: السيد الجليل ميرزا محمود بن شيخ الإسلام ميرزا علي أصغر الطباطبائي (المتوفى ١٣١٠هـ) أحد الأوحدين في الأدب والتفسير والفقه، المعروف بشيخ الإسلام، وقد رأيت له كتاباً في اللغة على غرار «النهاية» لابن الأثير في جزءين كبيرين قدّمه أحد أحفاده إلى السيد الجليل السيد حسين البروجردي ﷺ ليقوم بطبعه، ولكن حالت الأقدار بينه وبين ما يرمي إليه،

وكان ﷺ كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

تبريز دار لأهل الجهل مُكْرِمَةٌ ولذي الفضائل دار الضنك والضيق
قد عشت فيها كثيراً خائباً خسراً كأنتي مصحف في بيت زنديق^(١)

ج: الشيخ العلامة علي بن عبد الله العلياري (١٢٣٦-١٣٢٧هـ) أحد تلاميذ شيخنا الأنصاري كان فقيهاً، أصولياً، متكلماً، رياضياً، طبيباً، ماهراً جامعاً للمعقول والمنقول مؤلف «إيضاح الغوامض في تقسيم الفرائض» الذي طبع عام ١٣١٨هـ.

وكتابه الكبير في الرجال، أعني: «بهجة الآمال في شرح زبدة المقال» يعرب عن تطلّعه في علم الرجال إلى غير ذلك من الآثار التي خلفها. والمذكورة في مقدمة كتابه «بهجة الآمال».

وهو ﷺ يصف موطنه وما لاقى فيه من المصائب والمتاعب، بقوله:

فسكنت في أقصاه حتى لا أرى أحداً ولا أحد لذا يلقياني
ضاق عليّ الأرض بعد رحبها فغدت كسَمّ الأبرة أوطاني

والمصرع الأخير يعرب عن أنّ البلد مع سمته قد ضاق عليه كسَمّ الأبرة.

د: الفقيه البارع الشيخ محمد إسماعيل المعروف بـ«الفقيه» صاحب الآثار الجليلة في الفقه والهيئة والنجوم (١٢٩٤-١٣٦٠هـ) كان أحد أقطاب العلم في تبريز و على الرغم من ذلك فقد جُهل قدره كسائر أقرانه.

والعجب أنه أيضاً كتب شرحاً للتبصرة أسماه «التكملة في شرح التبصرة» وقال في مقدمته: «ولم يكن له شرح يكشف حجابيه»^(١) وقد ذكر تلك الجملة شيخنا المدرس في مقدمة شرحه مما يعرب عن عدم اطلاعه على ما كتبه الآخر من الشرح بالرغم من معاصرته له وإقامتها في نفس البلدة، وقد طبع الجزء الأول من شرح الفقيه عام ١٣٣٨ هـ.

إلى غير ذلك من علماء فطاحل أهلهم الناس، ولكنهم على مضض الزمان كانوا بين التأليف والتدريس والتحقيق ولم يكن يخس الناس حقهم مانعاً عن أداء الواجب ودفعهم عجلة العلم نحو الأمام.

هذا نزر يسير من أسماء هذه الطبقة الذين جاد بهم الزمان وأنكرت العامة فضلهم وحقوقهم، فعاشوا في زوايا الخمول دون أن يقدر جهودهم ولعلها سيرة سائدة في أكثر البلاد، ولذلك نرى أن أكثر العلماء يشتكون في كتبهم من مواطنهم و مواطنينهم، ونعم ما قال الشاعر:

لو كان للمرء من عز ومكرمة في داره لم يهاجر سيد الرسل

أسرته

لقد أعقب شيخنا المدرس ولدين بسازين كالكوكبين في سماء العلم والأخلاق، أحدهما صديقنا الأستاذ علي أصغر (١٣٣١ - ...) أحد خريجي جامعة طهران قسم الحقوق والعلوم السياسية وله آثار، منها:

١. الأحوال الاجتماعية للعرب قبل الإسلام.

٢. تاريخ القضاء في إيران من العهد القديم إلى عهد الدولة القاجارية.

٣. تاريخ اليابان.

٤. التعاليم الإسلامية.

٥. الحق والقانون.

وهو بعدُ كاتب قدير ومحاضر يجذب القلوب، وله في الأدب العربي يد غير قصيرة، وقد سألته مرّة عند ما زار قم المشرفة في الحرم الشريف عن شعر الزمخشري، فقلت: ماذا يعني صاحب الكشاف من هذا البيت.

ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني أنا الميم والأيام أفلح أعلم^(١)

فقال ما هذا مثاله:

إنّ الزمخشري يشتكي زمانه، ويقول: فمن زمن بعيد تصدّر الجهال منصّة الأمور، أيقنت أنّ مثلي والأيام كمثلي الميم والأفلح والأعلم.

والأفلح من شقّت شفته العليا، والأعلم من شقّت شفته السفلى، فمن كان كذلك فلا يتمكن من التفوّه بالميم لأنّها من الحروف الشفوية، فينبهها مضادة، فهكذا الحال بيني وبين الأيام.

والأستاذ بعد حي يُرزق مدّ الله في عمره.

والنجل الآخر الحاج محمد الشاعر البارع باللغتين الفارسية والتركية.

ومن نهاج شعره ما رثى به والده رحمه الله.

سحرگاه تیری پرید از کمانی
تنی زو تبه شد، رها گشت جانی
تنی تا نگرده تبه، طایر جان
کجا می‌تواند شدن آسمانی
به فصل بهاران که دیده است یا رب؟
وزد در چمنزار، بساد خـزانی
اگر چند او رفت و از درد وارست
رها شد ز شور و شر دار فانی
ولکن ز بار غم هجر رویش
دو تا شد خدنگ قدم چون کمانی
گلی بسود بشکفت و روزی بیفسرد
و یا بین این جمع بُد میهمانی
بهر حال هر آنچه بُد، رفت ولیکن
بدل ماند این حسرتم جاودانی
که در طیّ دوران عمرش نکردم
بدان سان که باشد ره میزبانی
ازین حسرت افسرده بودم که ناگه
به گوشم چنین گفت هاتف نهانی
«مدرس نمرده است هرگز» نمیرد
«که ماندست آثار وی جاودانی»^(۱)

هكذا كانت أيام شيخنا المدرس وهكذا مضت وهكذا طويت أوراق
 عمره فقد عاش سعيداً ومات سعيداً، وقد اختطفته المنية عام ١٣٧٣هـ ودفن
 في أحد مقابر تبريز ثم نُقل إلى قم المشرفة فدفن في مقبرة «شيخان» وقد حك
 على صخرة قبره، هاتان البيتان:

إن الذي صنع الجميل مخلّد

لا سيبا في العلم والعرفان

وإذا انقضت أيام مدّة عمره

فجميل صنع المرء عمر ثان

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم بيعت حياً.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جعفر السبحاني

قم - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

١٥ ربيع الثاني من شهر عام ١٤٢١هـ

المحدث الكليني

(بعد ٢٥٠-٣٢٩هـ)

وأثره الخالد

محمد بن يعقوب بن إسحاق، ثقة الإسلام وشيخ المحدثين أبو جعفر الكليني الرازي، البغدادي، صاحب كتاب «الكافي» أحد الكتب الأربعة عند الشيعة الإمامية.

ولد بعد منتصف القرن الثالث، أي بعد عام ٢٥٠هـ وتوفي عام ٣٢٩هـ.

أسرته

إنّ للأسرة التي يترعرع فيها الإنسان تأثيراً في تكوين شخصيته ونمو سجاياه، ورسم مؤهلاته، وقد ولد الشيخ الكليني في أسرة علمية عريقة، وتربى في أحضان فاضلة شريفة.

فرالده هو أحد علماء الري وقد انتقل إلى موطنه (كلين) وبقي فيها إلى أن تُوفي، وقبره هناك معروف يُزار.

وأخوه إسحاق بن يعقوب أحد من يروي عنه الكليني على ما في غيبة الشيخ الطوسي باسناده عن محمد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب

قال: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فوقع التوقيع بخط مولانا صاحب الدار رحمته: «أما ما سألت عنه - أرشدك الله تعالى وثبتك - من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا...» وجاء في آخره: «والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب، وعلى من أتبع الهدى»^(١).

وأما أمه فهي أيضاً من بيت عريق في العلم والحديث، وكانت عالمة فاضلة، تربت في هذا البيت الذي أنجب العديد من المحذّثين والعلماء.

فوالدها هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن أبان، الذي وصفه الشيخ الطوسي بقوله: محمد بن إبراهيم المعروف بعلّان الكليني، خيّر^(٢).

وعمها هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أبان، الذي يعرفه الشيخ الطوسي بقوله: أحمد بن إبراهيم المعروف بعلّان الكليني، خيّر، فاضل، من أهل الري^(٣).

وأخوها، هو الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني، يعرفه النجاشي بقوله: علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلّان، يكنى أبا الحسن، ثقة، عين، له كتاب أخبار القائم عليه السلام^(٤).

ومما ذكرنا يظهر أنّ «علّان» لقب للعائلة، حيث إنّ الجد والأب والخال يطلق عليهم علّان، وخال الكليني هذا من مشايخه.

ويظهر من العلّامة المامقاني أنّ ابن الخال محمد بن علي وحفيده القاسم بن

١. الغيبة للشيخ: ١٧٦.

٢. رجال الطوسي: ٤٩٦، باب من لم يرو عنهم عليهم السلام، باب الميم برقم ٢٩.

٣. رجال الطوسي: ٤٣٨، باب من لم يرو عنهم عليهم السلام، باب الألف برقم ١.

٤. رجال النجاشي: ٨٨/٢ رقم ٦٨٠.

محمد، كانا من علماء عصرهما.^(١)

وهذا يدل على أن العلم قد ضرب بجمرانه في هذه الأسرة قبل الكليني وبعده، وأنه نشأ بين ظهرانيهم وتألق نجمه عندهم، فصار من أكابر المحدثين وأعظم المجتهدين في عصره على وجه أطلق لسان كل موافق ومخالف للثناء عليه وإطرائه.

الظروف التي نشأ فيها

إن البيئة التي عاش فيها الكليني كان يغلب عليها التشيع، فقد كانت الري وقم من معاقل الشيعة ومراكز تجمعهم.

ولكن الأفكار السائدة في العالم الإسلامي آنذاك، كانت تميل إلى التجسيم والتشبيه وإثبات الجهة لله سبحانه والقول بالجبر والقدر إلى غير ذلك مما طفحت به كتب المحدثين في ذلك العصر، وذلك بعد أن مات المأمون والمعتصم اللذان كانا يؤيدان التيار العقلي ويماريان تيار المحدثين الذين طفئ عليهم الجمود، ولما جاء المتوكل ومن خلفه انقلبت سياسة البيت العباسي إلى تقريب أهل الحديث المتشددين وإقصاء أهل العقل والكلام، وبهذا راجت الروايات المدسوسة من قبل مسلمة أهل الكتاب كما ظهرت طوائف وفرق مختلفة.

فمن محدث يحمل لواء التشبيه والتجسيم، ويضم في جرابه كل غث وسمين لا يبالي بمن أخذ وما أخذ.

إلى خارجي يكفر جميع طوائف المسلمين بملء فمه، ويجب الشيخين ويغض الصهرين.

إلى دُخلاء في الإسلام يتظاهرون به صوناً لدمائهم ويوجهون سهام غدرهم إلى ظهور المسلمين.

إلى غير ذلك من الطوائف والأفكار المنحرفة التي نشأت بعد إقصاء العقل والعقلين.

ويكفيك أن محمد بن أبي إسحاق بن خزيمة (المتوفى ٣١١هـ)، كان من ثمرات ذلك العصر، وقد ألف كتاباً أسماه: «التوحيد في إثبات صفات رب العالمين» وهو في الحقيقة كتاب شرك، وقد قال عنه الرازي: إنّه كان رجلاً مضطرب الكلام، قليل الفهم، ناقص العقل.^(١)

وليس ابن خزيمة هو الوحيد في نشر التجسيم والتشبيه، فقد سبقه في ذلك خشيش بن أصرم (المتوفى ٥٢٥هـ) مصتف كتاب «الاستقامة» والذي عرفه الذهبي بأنه يردّ فيه على أهل البدع.^(٢)

ويريد الذهبي بـ«أهل البدع» أهل التنزيه الذين لا يُثبتون لله سبحانه خصائص الموجود الإمكانية ويتزهونه عن الجسم والجسمانية.

ولحقه أحمد بن محمد السجستاني السجزي، وقد اعتمد عليه الذهبي قائلاً: بلغني أن ابن خزيمة حسن الرأي فيه، وكفى بهذا فخراً.^(٣)

وكان لتلك الأفكار انتشار وصدى في المحواضر الإسلامية، ولأجل نقد هذه المسائل عقد شيخنا الكليني في أصول الكافي أبواباً وفصولاً عديدة لردّها وإبطالها.^(٤)

١. مفاتيح الغيب: ٢٧/ ١٥٠.

٢. تذكرة الحفاظ: ٢/ ٥٥١، سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٥٠.

٣. ميزان الاعتدال: ١/ ١٣٢.

٤. انظر: الكافي (كتاب التوحيد): ١/ ١٣٧-٢٠٥.

وكان أبو الحسن الأشعري (المعاصر للكليني) في أوّل أمره معتزلياً رافعاً لواء العقل والتفكير، إلّا أنّه رجع في عام ٣٠٥هـ عن ذلك المنهج والتحق بمنهج الإمام أحمد منادياً بأعلى صوته في الجامع الكبير في البصرة: مَنْ عرفني فقد عرفني، وَمَنْ لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان كنت قلتُ بخلق القرآن، وإنّ الله لا يُرى بالأبصار، وإنّ أفعال الشّرّ أنا أفعلها، وأنا نائب مقلع معتقد للردّ على المعتزلة.^(١)

وهذا يشير إلى أنّ الجو العام في ذلك العصر لم يكن لصالح الداعين إلى التحرّر من الجمود والتقليد، وإعمال الفكر والنظر.

ثقافته الواسعة

لم يكن الشيخ الكليني متمكناً من فنّ الحديث فحسب، بل كان مع براعته فيه، ملماً بثقافة عصره، مشاركاً أو متخصصاً في أكثر من فرع من فروعها، يظهر ذلك بما جاد به قلمه في كتبه العديدة.

فأدبه الراقى تبدو ملامحه من خلال مقدّمة «الكافي» وكذا من ثنايا هذا الكتاب، كقوله: الحمد لله المحمود لنعمته، المعبود لقدرته، المطاع في سلطانه، المرهوب لجلاله، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في جميع خلقه، علا فاستعلّى، ودنا فتعالّى، وارتفع فوق كلّ منظر، الذي لا بدء لأوليته، ولا غاية لأزليته.^(٢)

ومن ملامح أدبه - أيضاً - أنّه أفرد كتاباً فيها قيل في الأئمة عليهم السلام من الشعر. أمّا معرفته بالرجال فتبرز واضحة في «الكافي» حيث إنّ الأسانيد التي

١. فهرست ابن النديم: ٢٧١.

٢. الكافي: ٤١/١.

يسوقها قبل الرواية تعرب عن اطلاعه الواسع على المشايخ والتلاميذ وطبقاتهم، مضافاً إلى أن له كتاباً خاصاً في علم الرجال، ذكره مترجموه، إلا أنه - للأسف - مفقود، ولو وصلنا هذا الكتاب لنفعنا كثيراً.

هذا ولم تقتصر معرفة الكليني بالأدب والرجال، وإنما شملت علم الكلام أيضاً، حيث ذكر بعض آرائه الكلامية في ثنايا الأحاديث، خصوصاً في الجزء الأول.

أضف إلى ذلك أنه ألف كتاباً في رد القرامطة أصحاب النحلة الفاسدة المنشقة من الإسماعيلية.

أثره الخالد

إن أهم أثر تركه شيخنا المحدث هو «الكافي» الذي أمضى في تأليفه عشرين عاماً من عمره الشريف، ولذلك أصبح الكتاب من أوثق الكتب الحديثية، وقد وصفه الشيخ المفيد بأنه من أجل كتب الشيعة وأكثرها فائدة.^(١) ويقول الشهيد في إجازته لابن الخازن: كتاب «الكافي» في الحديث الذي لم يعمل الإمامية مثله.^(٢)

والمشهور أنه يحتوي على ١٦١٩٩ حديثاً، وهو يزيد على ما في الصحاح الستة من الأحاديث بعد حذف المكررات منها.

ثناء العلماء وأقوالهم فيه

قد سمعت كلمة المفيد والشهيد في حق شيخنا المترجم، وإليك كلمات

١. تصحيح الاعتقاد: ٥٧.

٢. بحار الأنوار: ٧٦/٢٥.

أخرى لعلماء الفريقين - وسنقتصر على القليل بدل الكثير :-

١ . يقول النجاشي: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني، شيخ أصحابنا في وقته بالري ووجههم، وكان أوثق الناس في الحديث وأثبتهم، صنّف الكتاب الكبير المعروف الذي يسمّى «الكافي» في عشرين سنة.^(١) ثم ذكر كتبه.

٢ . وقال الشيخ الطوسي: محمد بن يعقوب الكليني يكتى أبا جعفر، جليل القدر، عالم بالأخبار، وله مصنّفات يشتمل عليها الكتاب المعروف بالكافي.^(٢)

٣ . وقال في الفهرست: محمد بن يعقوب الكليني، يكتى أبا جعفر، ثقة، عارف بالأخبار، له كتب منها كتاب «الكافي» يشتمل على ثلاثين كتاباً.^(٣)

هذا بعض ما قاله علماء الشيعة في حقّه، وإليك بعض النصوص من علماء السنة، وقد ذكروه بإجلال من دون أيّ غمز فيه.

٤ . ذكره مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ) في «جامع الأصول» في تفسير ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلّ مائة سنة من يجدد لها دينها». وقال: أخرجه أبو داود.^(٤)

ثمّ ذكر أنّ العلماء تكلموا في تأويل هذا الحديث كلّ واحد في زمانه، ثمّ قال: ونحن نذكر الآن المذاهب المشهورة في الإسلام التي عليها مدار المسلمين في

١ . رجال النجاشي: ٢/ ٢٩٠، برقم ١٠٢٧.

٢ . رجال الطوسي: ٤٩٦، باب من لم يرو عن الأئمة، باب الميم برقم ٢٧.

٣ . الفهرست: ١٦١، برقم ٦٠٣.

٤ . لسان الميزان: ٥/ ٤٣٣.

أقطار الأرض وهي: مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، ومالك، وأحمد، ومذهب الإمامية، ومن كان المشار إليه من هؤلاء على رأس كل مائة سنة.

ثم ذكر أنّ الإمام الباقر هو مجّد مذهب الإمامية على رأس المائة الأولى، والإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام على رأس المائة الثانية.

ثم قال: وأما من كان على رأس المائة الثالثة ... أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي من الإمامية.^(١)

٥. وذكره عزّ الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٥٨هـ-٦٣٠هـ) في حوادث عام ٣٢٨هـ وقال: وفيها توفّي محمد بن يعقوب، (وقتل محمد بن علي) أبو جعفر الكليني وهو من أئمة الإمامية وعلمائهم.^(٢)

٦. وقال عنه ابن حجر: محمد بن يعقوب بن إسحاق، أبو جعفر الكليني سكن بغداد وحديث بها عن محمد بن أحمد بن عبد الجبار وعلي بن إبراهيم بن هاشم، كان من فقهاء الشيعة والمصنفين على مذهبهم، توفّي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ببغداد.^(٣)

إلى غير ذلك من الكلمات التي لا مجال لتقلها.

رحلاته في أخذ الحديث وعرض كتابه

إنّ التاريخ لم يسجّل رحلات الكليني في أخذ الحديث وعرضه، إذ لا شك

١. جامع الأصول: ١١/٣٢٣ ضمن الرقم ٨٨٨١، في الملاحم باب ما يذكر حول المائة.

٢. ما بين القوسين موجود في الطبعين القديمة والحديثة. لاحظ الكامل في التاريخ: ٨/٣٦٤ حوادث عام ٣٢٨هـ، ولاحظ الطبعة القديمة: ٦/٢٧٤. ولعلّ «قتل» مصحف «قيل».

٣. لسان الميزان: ٥/٤٣٣، والطبوعة مغلوطة أثبتنا ما هو الصحيح.

أنه كانت له رحلات في أخذ الحديث وعرض كتابه فإن أكثر مشايخه وإن كانوا متواجدين في قم والري، ولكنّ قسماً منهم كانوا في خارج دينك البلدين، حتى أنّ بعض مشايخه كان من منطقة آذربايجان، وبما أنّ الكليني كان ملتزماً بأخذ الحديث من الراوي شفهياً فلا بدّ من أن تكون له رحلات إلى بعض المناطق التي يتواجد فيها أئمة الحديث وكتبهم.

والذي ذكره التاريخ هو رحلته إلى بغداد عام ٣٢٧هـ ولكنه لم يقتصر على هذه الرحلة بل إنّه قصد دمشق وبعلبك، وهذا ما يذكره الحافظ أبو القاسم المعروف بابن عساكر حيث يقول: محمد بن يعقوب من شيوخ الرافضة قدم دمشق وحدث ببعلبك عن أبي الحسين محمد بن علي الجعفري السمرقندي، ومحمد بن أحمد الخفاف النيسابوري، وعلي بن إبراهيم بن هاشم.

روى عنه أبو سعد الكوفي شيخ الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي، وأبو عبد الله أحمد بن إبراهيم (بياض في الأصل)، وأبو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي، وعبد الله بن محمد.

أنبأنا أبو الحسن... (بياض في الأصل) بن جعفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد بن حسين بن السراج، أنبأنا أبو القاسم المحسن حمزة... الوراق بتيس، أنبأنا أبو علي الحسن بن علي بن جعفر السديلي بتيس في المحرم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، أنبأنا أبو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي، أخبرني محمد بن يعقوب الكليني، عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن موسى بن إبراهيم المحاربي، عن الحسن بن موسى، عن موسى بن عبد الله، عن جعفر بن محمد قال: قال أمير المؤمنين: «عجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله».

أخبرنا أبو محمد بن حمزة - بقراءتي عليه - عن أبي زكريا عبد الرحيم بن

أحمد.

وأخبرنا أبو القاسم بن السوسي، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن يونس، أنبأنا أبو زكريا.

وأخبرنا أبو الحسين أحمد بن سلامة بن يحيى، أنبأنا سهل بن بشر، أنبأنا رشاً بن نظيف، قالاً: حدثنا عبد الغني بن سعيد قال:

فأما الكليني - بضم الكاف والنون بعد الياء - فمحمد بن يعقوب الكليني، من الشيعة المصنفين، مصنف على مذاهب أهل البيت.

قرأت على أبي محمد بن حمزة، عن أبي نصر بن ماکولا، قال: ^(١)

وأما الكليني - بضم الكاف، وإمالة اللام، وقيل الياء نون - فهو: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي من فقهاء الشيعة المصنفين في مذهبيهم، روى عنه أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم الصيمري وغيره، وكان ينزل بباب الكوفة في درب السلسلة ببغداد، وتوفي فيها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ودفن بباب الكوفة في مقبرتها. قال الأمير بن ماکولا: ورأيت أنا قبره بالقرب من صرة الطائي عليه لوح مكتوب فيه: هذا قبر محمد بن يعقوب الرازي الكليني الفقيه. ^(٢)

العناية بكتاب «الكافي»

حظي كتاب «الكافي» منذ أن ظهر إلى النور باهتمام العلماء والمحدثين قراءة واستنساخاً ونشراً، ثم تعليقاً وشرحاً ودراسة. وإليك بعض ما يدل على ذلك:

قال النجاشي (٣٧٢-٤٥٠ هـ) في ترجمته للكليني: كنت أتردد إلى المسجد

١. الإكمال لابن ماکولا: ٧/١٤٤.

٢. تاريخ مدينة دمشق: ٥٦/٢٩٧-٢٩٨.

المعروف بمسجد اللؤلؤي، وهو مسجد نفطويه النحوي، أقرأ القرآن على صاحب المسجد، وجماعة من أصحابنا يقرأون كتاب الكافي، على ابن الحسين أحمد بن أحمد الكوفي الكاتب، (حدثكم): محمد بن يعقوب الكليني، ورأيت أبا الحسن العقرائي، يروي عنه. (١)

وهذا يعني أن الشيخ العقرائي يروي الكافي عن مؤلفه بلا واسطة وهو صريح قول النجاشي: «يروي عنه».

ويقول في ترجمة العقرائي: إسحاق بن الحسن بكران أبو الحسين العقرائي (وقد مر في ترجمة الكليني أنه أبو الحسن) كثير السماع ضعيف في مذهبه، رأته في الكوفة وهو مجاور وكان يروي كتاب الكليني عنه، وكان في هذا الوقت علواً، فلم أسمع منه شيئاً. (٢) وفي النسخ المطبوعة (غلوياً) والظاهر أنه تصحيف (علواً) والمراد به أي أنه كان طاعناً في السن، وعلواً في الاسناد حيث ينقل عن المؤلف بلا واسطة.

والشاهد على ما ذكرنا أن النجاشي ذكر ذلك في ترجمة أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن عبدون، قال: ولقد لقي أبا الحسن علي بن أحمد القرشي المعروف بابن الزبير، وكان علواً في الوقت (أي عمر مائة سنة ومات ابن الزبير سنة ٣٤٨هـ). (٣)

ومن روى كتاب الكافي عن المؤلف: المحدث الشريف جعفر بن محمد بن قولويه صاحب «كامل الزيارات» (المتوفى ٣٦٩هـ) ويدل على ذلك ما ذكره

١. رجال النجاشي: ٢/ ٢٩٠ برقم ١٠٢٧.

٢. رجال النجاشي: ١/ ١٩٩ برقم ١٧٦.

٣. رجال النجاشي: ١/ ٢٢٨ برقم ٢٠٩.

النجاشي في سنده إلى الكافي يقول: عن جماعة شيوخنا، محمد بن محمد (بن النعمان المفيد)، والحسين بن عبيد الله (الغضائري)، وأحمد بن علي بن نوح (السيرافي) عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عنه. (١)

ولأبي غالب أحمد بن محمد الزراري (المتوفى ٣٦٨هـ) عناية خاصة بهذا الكتاب، يكشف عنها قوله في رسالته إلى حفيده في ذكر آل أعين: وجميع كتاب الكافي تصنيف أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني: روايتي عنه. بعضه قراءة، وبعضه إجازة. وقد نسخت منه كتاب الصلاة والصوم في نسخة، وكتاب الحج في نسخة، وكتاب الطهر والحيض في جزء، والجميع مجلد. وعزمني أن أنسخ بقية الكتاب إن شاء الله في جزء واحد، ورقّ طلحي. (٢)

وفي هذا المجال يأتي قول العلامة الحلي (المتوفى ٧٢٦هـ) في إجازته للسيد ابن مهنا: وأما الكافي للشيخ محمد بن يعقوب الكليني فرويت أحاديثه المذكورة المتصلة بالأئمة عليهم السلام عني وعن والدي والشيخ أبي القاسم جعفر بن سعيد وجمال الدين أحمد بن طاووس وغيرهم باسنادهم المذكور إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن رجاله المذكورة في كل حديث عن الأئمة عليهم السلام. (٣)

أما التعليقات والشروح والدراسات، فلا نرى حاجة للحديث عنها، لكثرتها، وانتشار عدد كبير منها.

١. رجال النجاشي: ٢٩٠ / ٢، برقم ١٠٢٧.

٢. رسالة أبي غالب الزراري: ١٧٦-١٧٧، برقم ٩٠.

٣. بحار الأنوار: ١٠٤ / ١٤٦، كتاب الإجازات، رقم ٨.

الكليني وتهمة تحريف القرآن

اتهم الشيخ الكليني بالقول بتحريف القرآن أكثر من الآخرين، وما ذلك إلا لأنه أورد في كتابه روايات رتباً يستظهر منها المخالف - من دون دراسة السند والتمت - القول بالتحريف، وقد قام غير واحد من المحققين بالإجابة عن هذه الروايات ببيان ضعف أسنادها وعدم دلالتها على ما يرومه الخصم، والذي يهتّمنا هو ما رتباً يوجد في بعض النسخ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ القرآن الذي جاء به جبرئيل إلى محمد عليه السلام سبعة عشر ألف آية»^(١).

وهذه رواية شاذة لا تفيد علماً ولا عملاً ولا يقبلها العقل السليم، مضافاً إلى أنّ نسخ الكافي مختلفة، فهذا هو المحدث الكبير الفيض الكاشاني نقلها عن الكافي على لفظ سبعة آلاف آية.^(٢)

يقول المحقق الشعراني: أنّ لفظ «عشر» من زيادة النساخ أو الرواة والأصل هو سبعة آلاف، فإنّ لفظة «سبعة آلاف» هي القرية من الواقع الموجود بأيدينا، وظاهر الحديث أنّه ليس بصدد إحصاء عدد الآيات، بل الغاية من ذلك إطلاق العدد التام المتناسب مع الواقع بعد حذف الكسور أو تميمها، كما هي العادة والمتعارف في الاستعمال.^(٣)

والعجب أنّ خصوم الكليني بين من ينقله عنه بلفظ سبعة عشر ألف آية، كالألوسي^(٤)، وبين من ينقله بلفظ سبعة آلاف آية، كموسى جار الله.^(٥)

١. الكافي: ٢/٦٣٤، الحديث رقم ٢٨.

٢. الوافي: ١٩/١٧٨١، الحديث رقم ٧/٩٠٨٩.

٣. شرح أصول الكافي للمازندراني: ٧٦/١١ و ٨٧.

٤. مختصر التحفة: ٥٢. ٥. الشيعة: ٢٣.

غير أنّ أحد خصومه كأبي الحسن الندوي لم يرتض كلا العددين، فنقله في رسالته^(١) بصورة: سبعين ألف آية!!

والذي اقترحه على اللجنة المشرفة على تصحيح الكافي دراسة الموضوع، وملاحظة النسخ قديمها وحديثها حتى يتجلى الحق بأظهر صورته. وهناك اقتراحات أخرى نذكرها تباعاً:

١. التعليق على المواضع التي روي فيها الحديث معلقاً أو الاسناد محولاً، أو نقل بلفظ «هذا الاسناد»، أو «بالاسناد» فيجب توضيح هذه الموارد في كل صفحة وردت فيها دون أن يقتصر على مورد واحد ثم تعطف عليه سائر الموارد.

٢. تفسير المفردات المشككة في النثر والنظم الواردين في الكتاب.

٣. التعليق على الأحاديث الشاذة التي لا تتفق مع ظاهر الكتاب والسنة المتواترة، أو ما اتفقت عليه الإمامية.

٤. نشر الكتب التي نقل عنها الكليني بواسطة أو بلا واسطة، كبصائر الدرجات والمحاسن للبرقي، والنوادر لأحمد بن محمد بن عيسى، إلى غير ذلك مما يمكن أن نصل إليه في المكتبات.

٥. إنّ للشيخ الكليني كتاباً - كما ذكرنا - باسم رسائل الأئمة عليهم السلام وكان هذا الكتاب موجوداً عند ولد الفيض حيث ينقل عنه في كتابه: «مكاتب الأئمة عليهم السلام» بلا واسطة، فيجدر بأصحاب هذا الشأن البحث عنه في المكتبات، فربما يكون موجوداً فيها.

٦. التأكد من كتاب «روضة الكافي» هل هو من تأليفه أو لا؟ وعلى الأول

فهل هو جزء من الكافي أو كتاب مستقل؟

٧. الفحص عن قبره في بغداد والاهتمام به، فقد اتفق المترجمون على أنه دفن في باب الكوفة ببغداد، وقيل: إن قبره في درب السلسلة ببغداد بالقرب من صراة الطائي^(١).

٨. التحقيق والفحص عن قبور نواب الإمام المهدي عليه السلام الأربعة عليهم السلام.

وفي الختام نقدّم هذه الصفحات القليلة إلى الإخوة الكرام المشاركين في المؤتمر العالمي لثقة الإسلام الكليني عليه السلام، عسى أن نشاركهم في هذا الثواب الجزيل، وأن تكون خدمة متواضعة لروح هذا المحدث الكبير الذي لم يزل يشع نور كتابه على العالم الإسلامي أجمع.

وكما نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان إلى الإخوة المحققين والمشرفين في مؤسسة «دار الحديث» العامرة.

والحمد لله رب العالمين

الفهارس

١. فهرس مصادر التأليف

٢. فهرس المحتويات

فهرس مصادر التأليف

نبدا تبركاً بالقرآن الكرم.

1

1. اثنا عشرة مسألة: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى

٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٢. الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصحابة: محمد بن عبد الله

الزركشي (المتوفى ٧٩٤هـ) تحقيق سعيد الأفغاني، المكتب

الإسلامي، بيروت - ١٤٠٥هـ.

٣. أحسن التواريخ: حسن بيك روملو (معاصر للمحقق الكركي) طهران -

١٣٤٩هـ.

٤. أخبار السيد الحميري: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى ٣٨٤هـ)

شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢ - ١٤١٣هـ.

٥. أخبار شعراء الشيعة: محمد بن عمران المرزباني الخراساني (المتوفى ٣٨٤هـ)

المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٦. الاختصاص: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦ - ٤١٣هـ) المؤتمر العالمي

لألفية الشيخ المفيد، قم - ١٤١٣هـ.

٧. الأدب الجديد: محمد جمال الهاشمي، المكتبة الرضوية، النجف الأشرف.
٨. الاستنصار في النص على الأئمة الأطهار: أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي (المتوفى ٤٤٩هـ) دار الأضواء، بيروت - ١٤٠٥هـ.
٩. أسد الغابة: ابن الأثير الجزري (المتوفى ٦٣٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٠. الإصابة: ابن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١. أصول السرخسي: أبويكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (المتوفى ٤٩٠هـ) تحقيق أبي الوفاء الأفغاني، مكتبة المعارف، الرياض.
١٢. الأعلام: خير الدين الزركلي (١٣١١-١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، بيروت - ١٤٠٤هـ.
١٣. إعلام الوري بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى ٥٤٨هـ) مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم - ١٤١٧هـ.
١٤. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (المتوفى ١٣٧١هـ) دار التعارف، بيروت.
١٥. الأغاني: أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (المتوفى ٣٥٦هـ) بيروت.
١٦. الإنصاح: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣هـ) مؤسسة البعثة، قم - ١٤١٢هـ.
١٧. إكمال الكمال: ابن ماكولا (المتوفى ٤٧٥هـ) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

١٨. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل: حسن محمد مكى العاملى
(محاضرات الشيخ جعفر السبحانى) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

قم-١٤١٧هـ

١٩. إمتاع الأسعاع: أحمد بن على المقرزى (المتوفى ٨٤٥هـ) طبع مصر.

٢٠. أمل الأمل: محمد بن الحسن الحر العاملى (١٠٣٣-١١٠٤هـ) مكتبة
الأندلس.

٢١. الإنصاف فى مسائل دام فىها الخلاف: جعفر السبحانى (تولد ١٣٤٧هـ)

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم-١٤٢٣هـ

٢٢. أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) المؤتمر

العالمى لألفية الشيخ المفيد، قم-١٤١٣هـ.

٢٣. إيضاح الفوائد فى شرح القواعد: فخر المحققين محمد بن الحسن الحلى

(٦٨٢-٧٧١هـ) المطبعة العلمية، قم-١٣٨٧هـ

ب

٢٤. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسى (المتوفى ١١١٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت-

١٤٠٣هـ

٢٥. البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقى (المتوفى ٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت-

١٤٠٢هـ

ت

٢٦. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطى (٨٤٩-٩١١هـ) مطبعة المدني،

القاهرة-١٣٨٣هـ

٢٧. تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير الطبرى (المتوفى

- ٣١٠هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢٨. تاريخ مدينة دمشق: علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر(٤٩٩هـ-٥٧١هـ) دار الفكر، بيروت-١٤١٨هـ.
٢٩. تأويل مختلف الحديث: عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (٢١٣-٢٧٦هـ) دار الجليل، بيروت-١٣٩٣هـ.
٣٠. تبصرة المتعلمين: العلامة الحلي الحسن بن يوسف(٦٤٨-٧٢٦هـ) مجمع الذخائر الإسلامية، قم.
٣١. التحفة المهدوية: الميرزا محمد علي المدرس (١٢٩٦-١٣٧٣هـ) الطبعة الحجرية، إيران-١٣٥٤هـ.
٣٢. تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣. تصحيح الاعتقاد: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم-١٤١٣هـ.
٣٤. تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم): إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ) دار عالم الكتب، الرياض.
٣٥. تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(المتوفى ٦٧١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت-١٤٠٥هـ.
٣٦. تفسير القمي: علي بن إبراهيم(من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري) مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم-١٤٠٤هـ.
٣٧. التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر-١٣٩٦هـ.

٣٨. تكملة الرجال: عبد النبي الكاظمي (المتوفى ١٢٥٦هـ) تحقيق محمد صادق بحر العلوم، مكتبة الإمام الحكيم العامة، النجف الأشرف.

٣٩. تنقيح المقال: عبد الله المامقاني (١٢٩٠-١٣٥١هـ) النجف الأشرف-١٣٥٠هـ.

٤٠. مهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران-١٣٩٧هـ.

ج

٤١. الجاسوس على القاموس: أحمد فارس بن يوسف الشدياق (المتوفى ١٣٠٥هـ) طبع الأستانة-١٢٩٩هـ.

٤٢. جامع الأصول: ابن الأثير الجزري المبارك بن محمد (٥٤٤-٦٠٦هـ) دار الفكر، بيروت-١٤٠٣هـ.

٤٣. جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ) دار الفكر، بيروت.

٤٤. جامع المقاصد: المحقق الثاني علي بن الحسين (المتوفى ٩٤٠هـ) مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم-١٤٠٨هـ.

٤٥. جامع الرواة: محمد بن علي الأربيلي (المتوفى ١١٠١هـ) منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم-١٤٠٣هـ.

٤٦. جوابات الشيخ الصيمري: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم-١٤٢٣هـ.

٤٧. جوامع الجامع: الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى ٥٤٨هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم-١٤١٨هـ.

٤٨. جواهر الكلام: محمد حسن النجفي (المتوفى ١٢٦٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٩٨١م.

ح

٤٩. حاشية الألفية: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٥٠. حاشية الشرائع: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٥١. حياة المحقق الكركي وآثاره: الشيخ محمد الحسنون، منشورات الاحتجاج، موسوعة من اثني عشر جزءاً، قم - ١٤٢٣هـ.

خ

٥٢. الخصال: الشيخ الصدوق (نحو ٣٠٦ - ٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم - ١٤٠٣هـ.

٥٣. الخلاصة: العلامة الحلي (٦٤٨ - ٧٢٦هـ) النجف الأشرف - ١٣٨١هـ.

د

٥٤. الدروس الشرعية: الشهيد الأوّل محمد بن مكي العاملي (المتوفى ٧٨٦هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.

٥٥. ديوان صفي الدين الحلي: صفي الدين الحلي (٦٧٧ - ٧٥٢هـ) دار صادر، بيروت - ١٤١٠هـ.

ذ

٥٦. الذريعة: آقا بزرگ الطهراني (المتوفى ١٣٨٩هـ) دار الأضواء، بيروت.

د

٥٧. الرجال: ابن داود الحسن بن علي الحلبي (من أعلام القرن السابع الهجري)
منشورات الرضي، قم المقدسة.
٥٨. الرجال: البرقي أحمد بن عبد الله (٢٧٤ أو ٢٨٠هـ) طهران - ١٣٨٣هـ.
٥٩. الرجال: الطوسي محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) مؤسسة النشر
الإسلامي، قم.
٦٠. الرجال: الكشي محمد بن عمر بن عبد العزيز (من أعلام القرن الرابع
الهجري) مؤسسة الأعلمي، كربلاء.
٦١. الرجال: النجاشي أحمد بن علي (٣٧٢ - ٤٥٠هـ) مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجامعة المدرسين، قم - ١٤٠٧هـ.
٦٢. الرحلة المدرسية: محمد جواد البلاغي (١٢٨٢ - ١٣٥٢هـ) مركز العلوم
الثقافية الإسلامية ومركز إحياء التراث الإسلامي، قم - ١٤٢٨هـ.
٦٣. رسالة أبي غالب الزراري: أبو غالب الزراري أحمد بن محمد بن أعين الكوفي
(٢٨٥ - ٣٦٨هـ) مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية التابع
لمكتب الإعلام الإسلامي، قم - ١٤١١هـ.
٦٤. الرسالة الجعفرية: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى
٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.
٦٥. الرسالة الخراجية (السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج): الفاضل
القطيفي إبراهيم بن سليمان (المتوفى نحو ٩٥٠هـ) مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم - ١٤١٣هـ.
٦٦. الرسالة النجمية: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى

٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٦٧. روضات الجنات: محمد باقر الخوانساري (المتوفى ١٣١٣هـ) طهران - ١٣٩٠هـ.

٦٨. رياض العلماء: الميرزا عبد الله أفندي التبريزي (من أعلام القرن الثاني عشر الهجري) منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم - ١٤٠١هـ.

٦٩. ربحانة الأدب: الميرزا محمد علي المدرس (١٢٩٦-١٣٧٣هـ) مكتبة الخيام، قم المقدسة.

س

٧٠. السجود على التربة المشوية: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٧١. سماء المقال في علم الرجال: أبو الهدى الكلباسي (المتوفى ١٣٥٦هـ) مؤسسة ولي العصر، قم - ١٤١٩هـ.

٧٢. السنن: الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن (١٨١-٢٥٥هـ) دار إحياء السنة النبوية.

٧٣. سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٩هـ.

ش

٧٤. شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني (المتوفى ١٠٨١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٤٢١هـ.

٧٥. شرح الألفية: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى

٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٧٦. شرح التبصرة: ضياء الدين العراقي (١٢٧٨-١٣٦١هـ) طبع إيران.

٧٧. شرح المعلقات: الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، مكتبة القاهرة، مصر - ١٣٨١هـ.

٧٨. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفى ٦٥٦هـ) دار إحياء الكتب العربية، بيروت.

٧٩. شعراء الغري: علي الخاقاني، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم - ١٤٠٨هـ مصوّر على طبعة النجف الأشرف.

٨٠. شهداء الفضيلة: عبد الحسين الأميني (المتوفى ١٣٩٠هـ) دار الشهاب، قم.

٨١. شبر و شكر: بهاء الدين العاملي (المتوفى ١٠٣٠هـ) طبع اصفهان - ١٣٢٨هـ والقاهرة - ١٣٤٦هـ.

٨٢. الشيعة والحاكمون: محمد جواد مغنية (المتوفى ١٤٠٠هـ) دار الجواد، بيروت - ١٩٨١م.

ص

٨٣. الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (المتوفى ٣٩٣هـ) دار العلم للملايين، بيروت - ١٤٠٧هـ.

٨٤. الصحيح: البخاري محمد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر - ١٣١٤هـ.

٨٥. الصحيح: مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى ٢٦١هـ) مؤسسة عز الدين، بيروت - ١٤٠٧هـ.

٨٦. الصراط المستقيم: علي بن يونس البياضي العاملي (المتوفى ٨٧٧هـ) المكتبة

الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية - ١٣٨٤هـ.

٨٧. صلاة الجمعة: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى

٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

٨٨. صورتان متضادتان لتسليح جهود الرسول الأعظم: أبو الحسن الندوي،

لكهنو - ١٤٠٥هـ.

ط

٨٩. طبقات الشعراء: أبو العباس عبد الله بن المعتز العبّاسي (المتوفى ٢٩٦هـ)

تحقيق عبد الستار فراج، دار التعارف.

٩٠. طريق استنباط الأحكام: المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي

(المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم - ١٤٢٣هـ.

ع

٩١. العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى ٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية،

بيروت - ١٤٠٤هـ.

٩٢. علل الشرائع: الشيخ الصدوق (نحو ٣٠٦ - ٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي،

بيروت.

٩٣. العلل ومعرفة الرجال: أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ) المكتب الإسلامي،

بيروت.

٩٤. العلماء المعاصرون: الميرزا الواقظ الخياباني (١٢٨٢ - ١٣٦٧هـ) المكتبة

الإسلامية، طهران - ١٣٦٦هـ.

٩٥. عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (نحو ٣٠٦ - ٣٨١هـ) مؤسسة

الأعلمي، بيروت - ١٤٠٤هـ.

غ

٩٦. الغدير: عبد الحسين الأميني (المتوفى ١٣٩٢هـ) دار الكتاب العربي، بيروت
-١٣٩٧هـ.

٩٧. الغيبة: الطوسي محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠هـ) مؤسسة المعارف
الإسلامية، قم-١٤١١هـ.

ف

٩٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل: ابن حزم الأندلسي (المتوفى ٤٥٦هـ) دار
المعرفة، بيروت.

٩٩. الفصول المختارة من العيون والمحاسن للمفيد: الشريف المرتضى (٣٥٥-
٤٣٦هـ) مكتبة الداوري، قم-١٣٩٦هـ.

١٠٠. الفهرست: ابن النديم محمد بن إسحاق (٢٩٦-٣٨٥هـ) القاهرة-
١٣٤٨هـ.

١٠١. الفهرست: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) مؤسسة نشر
الفقاهة، قم-١٤١٧هـ.

١٠٢. الفهرست: متجب الدين بن بابويه الرازي (من أعلام القرن السادس
المجري) تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، دار الأضواء،
بيروت-١٤٠٦هـ.

١٠٣. الفوائد الرضوية: عباس القمي (١٢٩٤-١٣٥٩هـ) المكتبة المركزية،
طهران.

ق

١٠٤. قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج: المحقق الكركي علي بن الحسين بن

عبد العالي (المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم -
١٤٢٣هـ.

١٠٥. قواعد الأحكام: العلامة الحلي الحسن بن يوسف (٦٤٨-٧٢٦هـ)
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم - ١٤١٣هـ.

ك

١٠٦. الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (المتوفى ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية،
طهران - ١٣٦٧هـ.

١٠٧. كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه (المتوفى
٣٦٧هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم.

١٠٨. الكامل في التاريخ: علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير (٥٨٨-
٦٣٠هـ) دار صادر، بيروت - ١٣٨٦هـ.

١٠٩. الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني (٢٧٧-٣٦٥هـ)
دار الفكر، بيروت، ط ٣- ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١١٠. الكشاف في تفسير القرآن: محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ)
مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة - ١٣٦٧هـ.

١١١. كشف الظنون: حاج خليفة مصطفى بن عبد الله (المتوفى ١٠٦٧هـ)
استنول - ١٣٦٢هـ.

١١٢. كشف الغمة: علي بن عيسى الأربلي (المتوفى ٦٩٣هـ) دار الأضواء،
بيروت - ١٤٠٥هـ.

١١٣. كشف اللثام: بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني (١٠٦٢-
١١٣٧هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم،

١٤١٦-١٤٢٤هـ.

١١٤. كفاية المحصلين في تبصرة أحكام الدين: الميرزا محمد علي المدرس (١٢٩٦-
١٣٧٣هـ) نشر انجمن آثار و مفاخر فرهنگي، طهران
-١٣٨٠هـ.ش.

١١٥. كمال الدين: الشيخ الصدوق (نحو ٣٠٦-٣٨١هـ) مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقلسة-١٤١٦هـ.

ل

١١٦. لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢هـ) مؤسسة
الأعلمي، بيروت.

١١٧. لؤلؤة البحرين: يوسف البحراني (المتوفى ١١٨٦هـ) النجف الأشرف-
١٣٨٦هـ.

م

١١٨. المبسوط: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) طبع طهران-
١٣٨٧هـ.

١١٩. مجالس المؤمنين: القاضي التستري (المتوفى ١٠١٩هـ) طبع المكتبة
الإعلامية، طهران.

١٢٠. مجلة الرسالة: القاهرية، العدد ٧١٥، ٧١٨، ٧٢١، ٧٢٤، ٧٢٥، مصر-
١٩٤٧م.

١٢١. مجلة رسالة الإسلام: مجلة فصلية، تصدرها دار التقريب بين المذاهب
الإسلامية، القاهرة.

١٢٢. مجلة العرفان: اللبنانية، صيدا.

١٢٣. مجلة المنار: المصرية.
١٢٤. مجمع الآداب في معجم الألقاب: ابن الفوطي عبد الرزاق بن أحمد الشيباني الخنيلي (المتوفى ٧٢٣هـ) حققه مصطفى جواد، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق - ١٩٦٧ م.
١٢٥. مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى ٥٦٠هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت - ١٤١٥هـ.
١٢٦. مجمع الرجال: عناية الله علي القهبائي (من أعلام القرن العاشر والحادي عشر الهجري) انتشارات إسماعيليان، قم - ١٣٨٧هـ.
١٢٧. مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٤هـ.
١٢٨. مختصر التحفة الاثني عشرية: محمود شكري الألويسي (١٢٧٣ - ١٣٤٢هـ) مكتبة إيشيق (أوفيسيت عن طبعة مصر) استنبول - ١٣٩٩هـ.
١٢٩. مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول: أبو شامة المقدسي، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت.
١٣٠. المدخل الفقهي العام: مصطفى أحمد الزرقاء، دار الفكر.
١٣١. المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين (١٢٩٠ - ١٣٧٧هـ) موسوعة الإمام شرف الدين، دار المؤرخ العربي، بيروت - ١٤٢٧هـ.
١٣٢. مسالك الأنهام: الشهيد الثاني زين الدين العاملي (٩١١ - ٩٦٥هـ) مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة - ١٤١٣هـ.
١٣٣. المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (المتوفى

- ٤٠٥هـ) دار المعرفة، بيروت.
١٣٤. المسند: أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ) دار الفكر، بيروت.
١٣٥. مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي الحنفي (المتوفى ٣٢١هـ) دار صادر، بيروت.
١٣٦. معالم العلماء: ابن شهر آشوب محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨هـ - ٥٨٨هـ) النجف الأشرف - ١٣٨٠هـ.
١٣٧. معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي (المتوفى ١٤١٣هـ) بيروت - ١٤٠٣هـ.
١٣٨. معجم رجال الفكر والأدب: محمد هادي الأميني النجفي، بيروت - ١٤١٣هـ.
١٣٩. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٣٧٦هـ.
١٤٠. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الفخر الرازي محمد بن عمر (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٤١. مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني (تولد ١٣٤٧هـ) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، المجلد العاشر، قم - ١٤٢٠هـ.
١٤٢. مقابس الأنوار: أسد الله الدزفولي الكاظمي (المتوفى ١٢٣٧هـ) مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الحجرية.
١٤٣. مقالة في الإسلام: جرجس صال الإنجليزي، طبع مصر - ١٩٢٥م.
١٤٤. مكتبة العلامة الخلي: السيد عبد العزيز الطباطبائي (المتوفى ١٤١٦هـ) مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم - ١٤١٦هـ.

١٤٥. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (نحو ٣٠٦-٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
١٤٦. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر (٦٤٨-٧٢٦هـ) مؤسسة عاشوراء، مشهد-١٣٧٩هـ.
١٤٧. منهج المقال: الميرزا الاسترآبادي (المتوفى ١٠٢٨هـ) الطبعة الحجرية.
١٤٨. المؤلف من المختلف: الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى ٥٤٨هـ) مجمع البحوث الإسلامية، مشهد-١٤١٠هـ.
١٤٩. موسوعة طبقات الفقهاء: تأليف اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم المقدسة، ١٤١٨-١٤٢٤هـ.
١٥٠. موسوعة العلامة البلاخي: محمد جواد البلاخي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ) موسوعة من ثمانية أجزاء، نشر مركز العلوم الثقافية الإسلامية ومركز إحياء التراث الإسلامي، قم-١٤٢٨هـ.
١٥١. ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت.

ن

١٥٢. نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: إسماعيل الكردي.
١٥٣. نظام القضاء والشهادة في الشريعة الإسلامية الغراء: جعفر السبحاني (تولد ١٣٤٧هـ) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام قم-١٤١٨هـ.
١٥٤. نظرية الإمامة: أحمد محمود صبحي، دار المعارف، مصر.
١٥٥. نفحات اللاهوت في لعن الجبوت والطاغوت: المحقق الكردي علي بن الحسين بن عبد العالي (المتوفى ٩٤٠هـ) منشورات الاحتجاج، قم.

-١٤٢٣هـ-

١٥٦. نقياء البشر في القرن الرابع عشر: آقا بزرك الطهراني (المتوفى ١٣٨٩هـ)

دار المرتضى للنشر، الطبعة الثانية، مشهد - ١٤٠٤هـ.

١٥٧. نقد الرجال: مصطفى التفرشي، نشر مكتبة الرسول المصطفى، قم.

١٥٨. نور الثقلين: عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (المتوفى ١١١٢هـ)

مؤسسة إسماعيليان، قم - ١٤١٢هـ.

هـ

١٥٩. الهدى إلى دين المصطفى: محمد جواد البلاغي (١٢٨٢-١٣٥٢هـ) ضمن

موسوعة العلامة البلاغي، نشر مركز العلوم الثقافية الإسلامية

ومركز إحياء التراث الإسلامي، قم - ١٤٢٨هـ.

و

١٦٠. الوافي: الفيض الكاشاني (١٠٠٧-١٠٩١هـ) منشورات مكتبة الإمام أمير

المؤمنين عليه السلام، اصفهان - ١٤٠٦هـ.

١٦١. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي (المتوفى ٧٦٤هـ) منشورات

جهان، طهران - ١٣٨١هـ.

١٦٢. الوشيعية في نفوس عقائد الشيعة: موسى جار الله، القاهرة - ١٩٨٤م.

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧	١ . أبو هاشم إساعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميري (١٠٥- ١٧٣هـ)
١٣	السيد الحميري
١٧	أسرة السيد
١٩	تفانيه في حب أهل البيت <small>عليهم السلام</small> ونشر مناقبهم
٢٧	ارتجاله في إنشاء الشعر
٢٨	صلته الوثيقة بالإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
٣٤	وفاته
٤٠	قصيدته العينية
٤٧	٢ . أبو بصير شخصيته وثقافته
٤٩	في مَنْ يَكْتَبُ بَأبي بصير
٤٩	١ . أبو بصير يوسف بن الخارث
٥١	٢ . أبو بصير عبد الله بن عماد الأسدي

الصفحة	الموضوع
٥٤	٣. أبو بصير حماد بن عبيد الله بن أسيد الهروي
٥٥	أبو بصير مشترك بين رجلين ثقتين
٥٥	١. أبو بصير يحيى بن أبي القاسم الأسدي
٥٦	إيهامات حول شخصيته
٥٦	الأول. هل اسم والده: القاسم أو أبو القاسم؟
٥٨	الثاني: هل يحيى بن أبي القاسم هو يحيى الخذاء أو غيره؟
٦٠	٢. أبو بصير ليث بن البخري
٦٢	ميزات المحدثين: الأسدي والمرادي
٦٢	فيا يميّز به الأسدي عن المرادي
٦٢	أسماء من تخرّج على الأسدي
٦٢	١. علي بن حمزة البطائني
٦٣	٢. شعيب المقرئوف
٦٣	٣. الحسين بن أبي العلاء
٦٣	٤. الحسن بن علي بن أبي حمزة
٦٤	٥. المعلّى بن عثمان
٦٤	فيا يميّز به المرادي عن الأسدي
٦٤	في من روى عن أبي بصير المرادي مصرحاً باسمه
٦٤	١. عبد الله بن مسكان
٦٧	٢. المفضل بن صالح (أبو جميلة)
٦٩	٣. عاصم بن حميد
٧١	٤. حميد بن المنثى العجلي المعروف بأبي المعز

الصفحة	الموضوع
٧١	٥. أبان بن عثمان
٧١	٦. رفاعة بن موسى الأسدي النخاس
٧٢	٧. أبو أيوب الخزاز و عبد الله بن بكير
٧٥	٣. الشيخ الطبرسي إمام المفسرين في القرن السادس، حياته وأثاره (٤٦٧-٥٤٨هـ)
٧٥	الشيخ الطبرسي مؤلف التفاسير الثلاثة
٧٦	ولادته
٧٧	مجمع البيان كتاب خالد
٨٠	براعته في الترتيب والتنظيم
٨١	الطبرسي وأداؤه لحقّ معاصره
٨٢	اختبار صحّة ما ادّعه المؤلف
٨٧	نفسيات المؤلف
٨٩	تقديره لكتاب «التبيان»
٩٠	من «التبيان» إلى «الميزان»
٩١	فقاهاة الإمام الطبرسي
٩٢	آثاره العلمية
٩٣	جامعية مجمع البيان
٩٤	تضلّعه في التاريخ والقصص
٩٥	بين إعلام الوري و ربيع الشيعة
٩٦	مشايخه وتلامذته
٩٨	كلمات العلماء في حقّه

الصفحة	الموضوع
١٠٠	حديث الجري والتطبيق في «مجمع البيان»
١٠٢	وفاته
١٠٢	بيت الطبرسي شجرة طيبة
١٠٤	ما نسب في حق الطبرسي من أوهام
١٠٤	١. أنه مات شهيداً
١٠٤	٢. أنه قام من القبر حياً
١٠٦	٣. أنه رأى موسى <small>عليه السلام</small> في منامه
١٠٨	بعض الآراء الكلامية للشيخ الطبرسي
١٠٩	١. الجهاد العلمي جهاد أكبر
١٠٩	٢. رفض التقليد في أصول الدين
١١١	٣. ضرورة معرفة الله
١١٢	٤. برهان التمانع
١١٤	٥. برهان النظم
١١٥	٦. امتناع رؤية الله في الدنيا والآخرة
١١٧	٧. الله عادل
١١٨	٨. القرآن محدث
١٢٠	٩. الأنبياء أفضل من الملائكة
١٢١	١٠. الأنبياء لا يجوز لهم التقية
١٢٢	١١. إعجاز القرآن من منظار عدم الاختلاف
١٢٣	١٢. إخبار القرآن بالغيب من وجوه إعجازه
١٢٤	١٣. النسخ في الشريعة

الصفحة	الموضوع
١٢٥	١٤ . نسخ السنة بالقرآن
١٢٥	١٥ . نسخ القرآن بالسنة
١٢٦	١٦ . رأيه في التصوير رسماً كان أو مجسماً
١٢٧	١٧ . الاتهام بإنكار علم الغيب
١٣٠	١٨ . ترتيب السور على رؤية الإمام الطبرسي
١٣٥	١٩ . الاستدلال على ما تنفرد به الإمامية
١٣٥	١ . الاستدلال على المسح بالقرآن الكريم
١٣٧	تفسير القراءتين على القولين
١٣٨	٢ . الاستدلال على حلية المتعة بالكتاب
١٤٠	بعض القرائن على أن المراد هو عقد المتعة
١٤١	٣ . الاستدلال على أن الأنبياء يورثون
١٤٢	٢٠ . آزر لم يكن والد إبراهيم
١٤٥	٤ . المحقق علي بن عبد العالي الكركي رجل العلم والسياسة
١٤٨	العاملون في إيران
١٥٠	البلاء للولاء
١٥٤	الفصل الأول: حياته الشخصية منذ ولادته إلى وفاته
١٥٤	مولده، ونحواله في البلاد طلباً للعلم والحديث
١٥٨	عودته إلى كرك
١٦٠	الهجرة الثانية إلى إيران
١٦٣	الفصل الثاني: كلمات الثناء في حق المحقق
١٦٣	١ . ثناء أستاذه محمد بن علي العاملي

الصفحة

الموضوع

- ١٦٤ ٢. ثناء أستاذه علي بن هلال الجزائري
- ١٦٦ ٣. ثناء الشهيد الثاني (المتوفى ٩٦٥هـ)
- ١٦٦ ٤. ثناء المجلسي الثاني (المتوفى ١١١٠هـ)
- ١٦٧ ٥. ثناء الأفندي التبريزي (المتوفى ١١٣٤هـ)
- ١٦٧ ٦. ثناء المحدث البحراني (المتوفى ١١٨٦هـ)
- ١٦٧ ٧. ثناء شيخ الشريعة الاصفهاني (المتوفى ١٣٣٩هـ)
- ١٦٩ **الفصل الثالث: جولة في آثاره وتصانيفه**
- ١٧٠ ١. جامع المقاصد
- ١٧٠ ٢. قاطعة اللجاج في حل الخراج
- ١٧١ ٣. صلاة الجمعة
- ١٧٣ ثمرة ناضجة لحوزة الشهيد الأول
- ١٧٦ **الفصل الرابع: تلاميذه والمستجيزون منه**
- ١٧٧ ١. الشيخ عبد الله اليزدي (المتوفى ٩٨١هـ)
- ١٧٧ ٢. عبد العلي بن علي الاسترآبادي (كان حياً ٩٢٩هـ)
- ١٧٨ ٣. أسد الله التستري (المتوفى ٩٦٦هـ)
- ١٧٨ ٤. ابن خاتون (كان حياً عام ٩٣٤هـ)
- ١٨٠ ٥. علي بن عبد الصمد (كان حياً ٩٣٥هـ)
- ١٨٣ **الفصل الخامس: آراؤه الكلامية والأصولية والفقهية**
- ١٨٤ **آراؤه الكلامية**
- ١٨٤ ١. موضوع علم الكلام
- ١٨٥ ٢. كونه سبحانه عادلاً مع الإلماع إلى دليله

الصفحة	الموضوع
١٨٦	٣. الغرض للفعل لا للفاعل
١٨٧	٤. الإمامة في الأصول
١٨٨	٥. عدالة الصحابة بين العاطفة والبرهان
١٩١	آرائه الأصولية
١٩١	٦. من علامات الوضع، حسن الاستفهام
١٩٢	٧. الأصل يقدم على الظاهر
١٩٣	٨. الفرق بين الحكم والإفتاء
١٩٤	٩. تأسيس قاعدة الترتب
١٩٥	ما هي قاعدة الترتب؟
١٩٦	١٠. لا يتسخ الكتاب بخبر الواحد
١٩٨	آرائه الفقهية
١٩٨	١١. لا يجوز تقليد الميت
١٩٩	١٢. وجوب تقليد الأعم
٢٠٠	١٣. المعاطة مفيدة للملكية المتزلزة
٢٠٢	١٤. نقد عموم المتزلة في الرضاع
٢٠٦	١٥. حلية الخراج
٢١٠	فتوى الكركي في قفص الاتهام
٢١١	١٦. الإفتاء بوجوب صلاة الجمعة التخيري
٢١٤	١٧. ولاية الفقيه في مدرسة المحقق الكركي
٢١٦	ولاية الفقيه في كلمات المحقق الكركي
٢٢١	الفصل السادس: حياته السياسية والخدمات التي قدمها للمجتمع

الصفحة	الموضوع
٢٢٢	الحكومة حق لله سبحانه
٢٢٩	المحقق الكركي والتدخل في شؤون الحكم
٢٣٠	الهجرة الثانية إلى إيران
٢٣١	المرسوم الملكي الأول
٢٣٣	المرسوم الملكي الثاني
٢٣٦	المرسوم الملكي الثالث
٢٣٧	لماذا ترك إيران؟
٢٣٧	القوى المعادية للمحقق الكركي
٢٣٧	١. رجال الفرقة الصوفية المعروفة بالقزلباش
٢٣٨	٢. أتباع مدرسة الخلفاء الذين أظهروا التشيع
٢٤٠	٣. مخالفة بعض رجال الدين الشيعة
٢٤٠	٤. بعض رجال البلاط
	٥. المولى محمد باقر المجلسي مجتهد المذهب في القرن الحادي عشر (١٠٣٧-١١١٠هـ)
٢٤٣	
٢٤٤	ابتكار دائرة معارف شيعية
٢٤٦	ابتكار التفسير الموضوعي
٢٤٨	ابتكار العمل الجماهي في التأليف
٢٤٩	إبداع التأليف باللغة الفارسية
٢٥٠	الاهتمام بشرح الأحاديث
٢٥١	إحياء التراث الديني
٢٥٤	كلمة ختامية

الصفحة	الموضوع
	٦. بهاء الدين محمد بن الحسن الاصفهاني المشهور بالفاضل الهندي (١٠٦٢-١١٣٧هـ)
٢٥٥	المرء يعرف بأفكاره وآرائه
٢٥٨	ملاحم الكتاب وبمبازاته
٢٦١	١. بيان معاني المفردات
٢٦١	٢. استعراض التفاسير المطروحة وتقييمها
٢٦٢	٣. الأمانة في النقل
٢٦٢	٤. محاولة ربط القصيدة بالواقع الموضوعي
٢٦٣	٥. دعم موقفه بأيات الذكر الحكيم
٢٦٥	٧. العلامة البلاضي سيرته الذاتية وآثاره العلمية (١٢٨٢-١٣٥٢هـ)
٢٦٧	مولده ونشأته
٢٦٧	مراحل حياته
٢٦٨	آثاره وتآليفه
٢٦٩	أساتذته ومشائخه
٢٦٩	تلامذته والرايون عنه
٢٧٠	مؤلفاته وآثاره
٢٧٢	استعراض لبعض تأليفاته المهمة
٢٧٢	١. الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة
٢٧٤	٢. الهدى إلى دين المصطفى
٢٧٨	٣. آلاء الرحمن في تفسير القرآن
٢٧٨	بحث رائع في معنى التوفى

الصفحة	الموضوع
٢٨٠	٤. دعوة الهدى إلى الورع في الفعال والتقوى
٢٨٣	٥. الأسئلة والأجوبة
٢٨٩	انفتاحه على الثقافات الأخرى
٢٨٩	أدبه الرائع
٢٩٣	المواقف السياسية للشيخ
	٨. الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي باحثاً ومجاهداً وداعياً
٢٩٥	للإصلاح والوفاق (١٢٩٠-١٣٧٧هـ)
٢٩٩	أضواء على جوانب من حياته ﷺ
٢٩٩	١. خصائصه ومنتجزاته
٢٩٩	أ. كان رجلاً عالمياً
٣٠٠	ب. الاهتمام بتوعية الشيعة
٣٠١	ج. فتح باب الحوار بين الطائفتين
٣٠٤	د. اهتمامه بالفقه الأكبر
٣٠٥	هـ. تبين المسائل الخلافية
٣٠٧	و. تأسيس منهج لتمييز الصحيح من الأحاديث
	٢. رسائل متبادلة بين العلمين عبد المتعال الصعدي والسيد
٣١١	شرف الدين حول كتاب (أبو هريرة)
٣١٥	كتاب (أبو هريرة)
٣١٦	حول أبي هريرة
٣١٨	أبو هريرة والصعدي
٣٢١	كلعة أخيرة في أبي هريرة

الصفحة	الموضوع
٣٢٣	دفاع عن الحق والحقيقة
٣٢٦	التحديث بنصف ما حفظه
٣٢٧	التدليس في الحديث
٣٣٠	وشهد شاهد من أهلها
٣٣٠	الكاتب السوري إسماعیل الكردي ونقده روايات أبي هريرة
٣٣٠	أ. أبو هريرة وروايته عن كعب الأحبار وتدليسه عنه
٣٣٥	ب. ما أخذ عدد من الصحابة على كثرة رواية أبي هريرة
٣٤٢	ج. علماء الكوفة وتركهم بعض ما يروى عن أبي هريرة
٣٤٤	د. ارتياب عدد من أعلام المعتزلة القدماء في أحاديث أبي هريرة
٣٤٦	٣. مواجهة المستعمرين
٣٤٨	في دمشق
٣٤٨	في مصر
٣٤٩	في فلسطين
٣٥١	٤. كلمات الأعظم في حق السيد
٣٥١	كلمة المحقق الخراساني في حقه
٣٥٢	كلمة الحجة الطهراني
٣٥٣	الإمام الخميني والسيد شرف الدين
٣٥٤	٥. مشايخه وأساتذته
٣٥٦	٦. تلامذته والمجازون منه
٣٥٨	٧. مؤلفاته وآثاره
٣٦٠	السيد البروجردی وكتاب المراجعات

الصفحة	الموضوع
٣٦١	٨. نماذج من رشحات قلمه الفياض
٣٦٢	رسالة تأيينية إلى آية الله صدر الدين الصدر
٣٦٥	رسالة إلى الشيخ الواعظ الجزائري
٣٦٧	تقريره لموسوعة الغدير
٣٧٠	٩. السيد شرف الدين والتقريب بين المسلمين
٣٧٣	٩. آية الله العظمى البروجردي والخطوط المريرة لتراثه الفكري (١٢٩٢-١٣٨٠هـ)
٣٧٤	ابتكاراته وخدماته العلمية
٣٧٥	أ. ابتكاراته الرجالية
٣٧٨	ب. منهجه الفقهي
٣٨٠	ج. نشاطاته الاجتماعية
٣٨١	١. دعوته إلى التقريب
٣٨٣	رسالته إلى شيخ الأزهر عبد المجيد سليم
٣٨٦	٢. مواقفه السياسية
٣٨٨	٣. مشاريعه الخيرية
٣٨٨	٤. نشر الإسلام
٣٨٩	٥. إحيائه للتراث الشيعي
٣٨٩	٦. خلقه
٣٩٠	٧. حبه للعلم والعلماء
٣٩١	١٠. العلامة المحقق الميرزا محمد علي بن محمد طاهر الخياباني التبريزي المشهور بالمدرس (١٢٩٦-١٣٧٣هـ)

الصفحة	الموضوع
٣٩٤	تزامن الجمود والازدهار في زمان واحد
٣٩٥	المصنف في سطور
٣٩٨	ترجمة الشارح وسيرته الذاتية
٣٩٩	كلمات العلماء في حقه
٤٠٠	مشايخ روايته
٤٠١	آثاره العلمية
٤٠٧	ملاحظ من سيرته
٤١١	أسرته
٤١٥	١١. المحدث الكليني وأثره الخالد (بعد ٢٥٠-٣٢٩هـ)
٤١٥	أسرته
٤١٧	الظروف التي نشأ فيها
٤١٩	ثقافته الواسعة
٤٢٠	أثره الخالد
٤٢٠	ثناء العلماء وأقوالهم فيه
٤٢٢	رحلاته في أخذ الحديث وعرض كتابه
٤٢٤	العناية بكتاب «الكافي»
٤٢٧	الكليني وتهمة تحريف القرآن
٤٣١	الفهارس
٤٣٣	فهرس مصادر التأليف
٤٥١	فهرس المحتويات